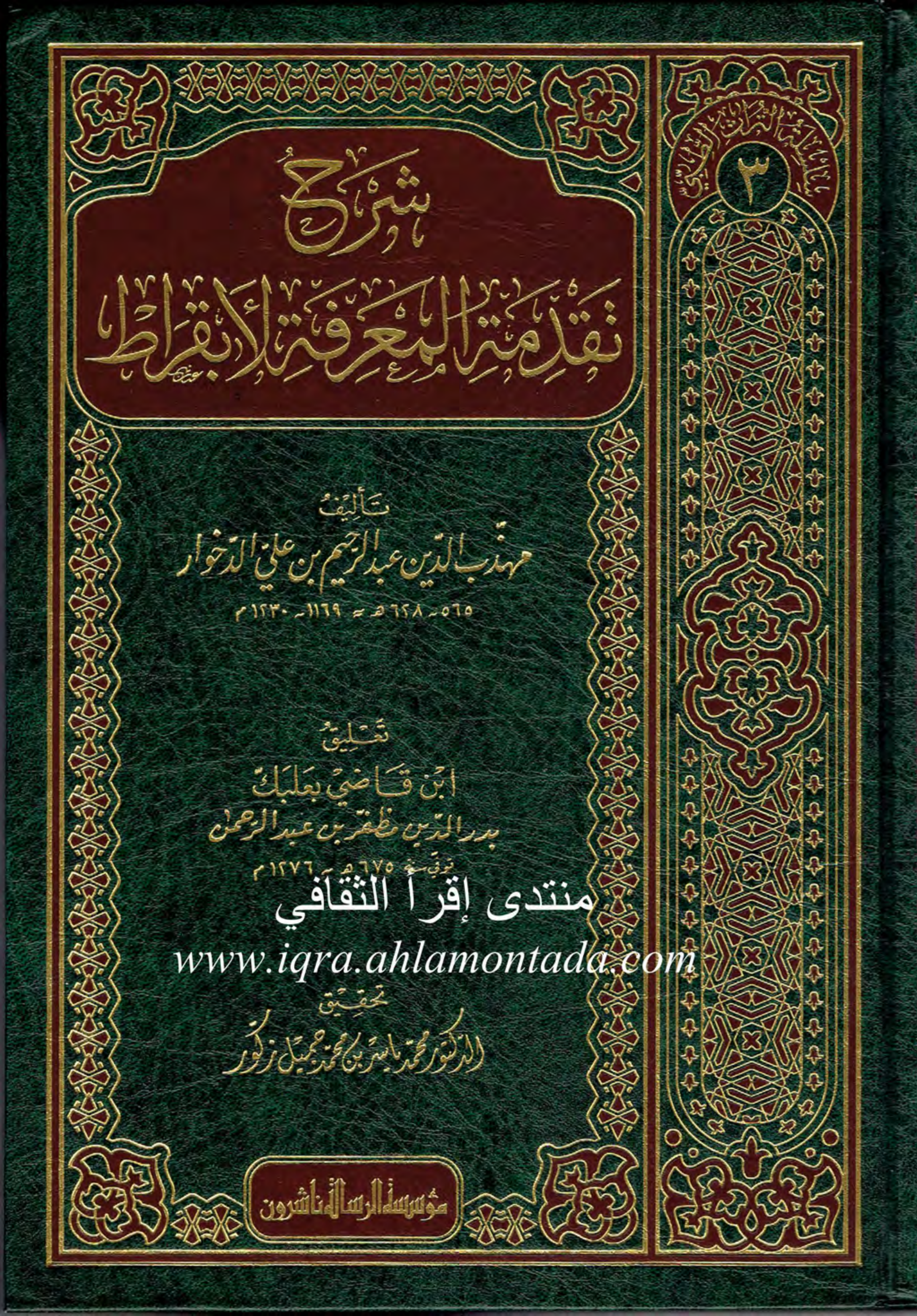


شرح
تقدمة المعرفة لأبقراط
تأليف
مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار
٥٦٥ - ٦٢٨ هـ = ١١٦٩ - ١٢٣٠ م
تعليق
ابن قاضي بعلبك
بدر الدين مظفر بن عبد الرحمن
توفي سنة ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦ م
تحقيق
الدكتور محمد ياسر بن محمد جميل زكور
مؤسسة الرسالة ناشرون
٣

شرح
تقدمة المعرفة لأبقراط

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤسسة الرسالة ناشرون
انتشار بألوان الطيف

دمشق - سورية
هاتف: ٢٣٢١٢٧٥ ١١ (٩٦٣)
فاكس: ٢٣١١٨٣٨ ١١ (٩٦٣)
ص.ب: ٣٠٥٩٧

بيروت - لبنان
تلفاكس: ٧٠٠٣٠٢ ١ (٩٦١)
٧٠٠٣٠٤ ١ (٩٦١)
ص.ب: ١١٧٤٦٠

Resalah Publishers
Damascus - Syria
Tel:(963) 11 2321275
Fax:(963) 11 2311838
P.O.Box: 30597
Telefax: (961) 1 700 302
(961) 1 700 304
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

Http://www.resalah.com
E-mail: resalah@resalah.com
facebook.com/resalah2007
twitter.com/resalah1970
instagram.com/resalahpublishers.

ISBN 978-9933-23-085-2



①

سلسلة التراث الطبي (٣)

شرح تقدمة المعرفة لأبقراط

تأليف

مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار

٥٦٥ - ٦٢٨ هـ = ١١٦٩ - ١٢٣٠ م

تعليق

ابن قاضي بعلبك

بدر الدين مظفر بن عبد الرحمن

توفي سنة ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦ م

طالعه

كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن مسلم الطبيب

توفي سنة ٦٨٧ هـ

تحقيق

الدكتور محمد ياسر بن محمد جميل زكور

مؤسسة الرسالة ناشرون

الإهــــداء

إلى من زرعوا الأمل في نفسي

أهدي هذا العمل

ياســـر

مقدّمة المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل المعرفة عنوان كلّ علم وفنّ، وقرنَ بها صنوفَ الأفعال والأعمال لتكون مبنيّة على أساس المعرفة، وأبعدَ الجهلَ عن كثير من عباده المخلَصين، فزيّن العقول بصنوف العلوم والمعارف، ثمّ هيّأ لكلّ عالِم ما يهدي به قلبَه، وينوّر به دربَه، فنوّر به بصيرته، وفتح به أبواب المعرفة السابقة والحاضرة واللاحقة، ليكون علمُه كامل القواعد والأسس، مبنيّاً على معرفة الأشياء واستخلاص مكنوناتها، وسابقِ ذلك العلم ولاحقِه. نحمده أن هيأ للبشرية من يمشي بنور العلم والهداية، وصلّى الله على معلّم الناس الخير، سيّدنا محمّد النبيّ الأمّيّ، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً، وبعد؛

لمّا وقع بخاطري أن أطّلع على أعمال المتقدّمين في الطب، وفي هذا المجال بالخاصّة؛ (**تقدمة المعرفة**)، وهو الذي يعتبر ركناً من أركان الدراسة

السريرية لكلّ مريض في عصرنا الحديث، والمسمّى بالإنذار (Prognosis)) وذلك ليُعلَم بسابقِ معرفة وعلم وخبرة الطبيب ما تؤول إليه حالة المريض من خير أو شر، وهو المسمّى في الطبِّ الحديث (الإنذار السيّئ Bad prognosis والإنذار الحسن Good prognosis) ولمّا اطلعت على شروحات الأطباء القدامى عن هذا العلم الذي أسسه أبقراط، أمثال جالينوس، وعبد اللطيف البغدادي، وابن النفيس، وغيرهم، ووقعت عيني على التفسير النادر للطبيب الدمشقيّ عبد الرحيم بن علي الدَّخوار، ومن أشرك فيه وتشاور معه ليكون ذاخراً بالمعلومات النادرة؛ كابن المطران، وابن النقّاش، وابن التلميذ، ثم يودع هذا الشرح أمانة عند تلميذه ابن قاضي بعلبك، ويكلّفه بتعليقه، ولا يُطلع عليه إلا مستحقّيه، فكان من ابن قاضي بعلبك ذلك بعد وفاة أستاذه الدخوار، فكتبه وأطْلع عليه شيخ الأطبّاء في المدرسة الدخواريّة الطبيب ابن مسلم، ثم انتشر الكتاب لتعمّ الفائدة منه. أمام هذا كلّه يسّر الله لي تحقيق هذا الكتاب إتماماً للفائدة، وليكون بين أيدي مستحقّيه من القرّاء والأطبّاء والباحثين والمهتمّين.

ولا غرر أن المعلومات الطبّيّة التي كانت قدماً قد تتغيّر من زمن إلى زمن، وتصنيفات الأمراض تتغيّر، ولاسيّما موضوع الحمّيات ولواحقها

كالبَحَارين والأدوار؛ فإنّ تصنيف الحميات في وقته كان كذلك، بينما تغيّرت بعد اكتشاف الأسباب الفيروسيّة، والجرثومية، والطفيلية حين تهيّأت أسباب المعرفة كالكهرباء والمجاهر وغير ذلك من التقنيات الحديثة. ولكن تبقى العبقريّة العربيّة والإسلاميّة شاهدة على مر مئات السنين لاكتشاف المزيد من المعارف والخوض في بحور كلّ علم للوصول إلى الحقيقة المرضية في وقتها.

أقدّم هذا الكتاب ليكون أحد المقتنيات التي تفخر بها مكتبات العالم العربي والأجنبيّ، وهو لعَلَم من أعلام الحضارة العربيّة الإسلامية، أحد الأطبّاء الدمشقيين في القرنين السادس والسابع الهجريّين، في عهد ازدهار وإشعاع نور العلم من دمشق وغيرها من عواصم البلاد العربيّة والإسلامية، هذا الكتاب الذي أبدعه عبد الرحيم بن علي الدَّخوار. وأفتتح الكتاب بترجمة مطوّلة له كما يستحقّه، مع المدرسة الدَّخواريّة التي أسّسها وفتحها لنشر علوم الطب، والتي بقيت لعدّة قرون تنشر نور العلم، وقد تخرّج منها الكثير الكثير من الأطباء في زمنهم. والله من وراء القصد.

ويتوجّب عليّ هنا أن أقدّم شكري الجزيل للأخ الصديق الدكتور مصطفى عبد الفتّاح الأديب، وذلك لتكرّمه بتدقيق الكتاب لغويّاً، وتفضّله بالتقديم الجميل للكتاب، فله منّي كلّ الشكر والامتنان.

الدكتور

محمّد ياسر بن محمّد جميل زكّور

اختصاصي بأمراض الأذن والأنف والحنجَرة وجراحتها

باحث في تاريخ العلوم الطبّيّة

عضو الجمعية السورية لتاريخ العلوم

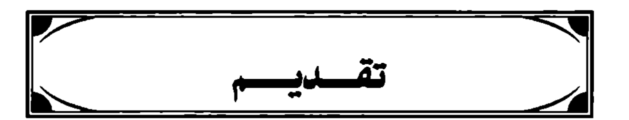
عضو شرف في الجمعيّة الأردنيّة لتاريخ العلوم

عضو اتّحاد الكتّاب العرب

إدلب ـ سوريّة

yzakkour@hotmail.com



تقديم

بقلم الدكتور مصطفى عبد الفتّاح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يعتبر كتاب (تقدمة المعرفة) لأبقراط من كتب الطب اليونانية التي نقلها العرب إلى لغتهم في عصور النهضة العلمية الإسلامية التي ازدهرت في أواسط العصر العباسي، وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة، يبحث في الأعراض التي ترافق مختلف الأمراض الحادة، والتي يمكن بواسطتها أن يستدل على مستقبل الأمراض، وما ينبغي لكل واحد منها من التدابير.

الفرادة التي يتميز بها الكتاب أن أبقراط دوَّنه في عصر مبكر، وأنه سبق

(١) أديب وطبيب أسنان سوري. عضو اتحاد الكتاب العرب.

عصره في هذا الصدد، ولا أَدَلَّ على ذلك من أن معاصريه من الأطباء اتهموه بالكهانة، وعابوا عليه معرفة الطبيب وتوقعه لما ستؤول إليه حال المريض في قابل الأيام، رغم أن أبقراط كان حذراً في التعامل مع هؤلاء ببعض العبارات التي ينسب فيها هذا العلم لرأيه الشخصي اتقاءً لنقدهم.

هذا الكتاب يبحث في إنذار الأمراض، وهو علم هام للغاية في الطب، حيث يحمي الطبيب من عواقب المرض السيئة التي قد تطرأ على المريض، فلا يلام فيما حصل إن سبق بعلمه توقع هذه التطورات السلبية للحالة المرضية التي بين يديه.

وكتاب «**شرح تقدمة المعرفة لأبقراط**» هذا، هو من تأليف الطبيب العالِم مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي الدَّخوار الدمشقيّ، وتعليق ابن قاضي بعلبك بدر الدين مظفّر بن عبد الرحمن، وهذا الشرح للكتاب ليس سابقاً في مجاله وليس وحيداً، فقد شرح كتاب أبقراط عدد من الأطباء العرب، لكن الدَّخوار تميّز عنهم بالكثير الكثير مما أضافه من علمه وعلوم المتقدمين، وتعتبر خبرته الكبيرة عامل تميّز لهذا الكتاب.

وكعادة المحقق الباحث الطبيب محمد ياسر زكّور؛ فقد وضع في الكتاب من جهده الكبير وخبرته الطويلة في التحقيق وفي ممارسة الطب؛ ما يجعله مصنَّفاً جديراً بالاقتناء في مكتبات الجامعات ومراكز الأبحاث.

فالمطالع للكتاب في تحقيقه لا يعوزه الطلب حين يبحث عن أية معلومة يحتاجها، ففي بداية التحقيق يعرج المحقق على سيرة المؤلف مهذّب الدين الدَّخوار متنقلاً من قصة حياته إلى أساتذته وتلاميذه، والنسخ التي اعتمد عليها في التحقيق، إلى أن يختم الكتاب بالمسارد اللازمة.

وقد رأيتُ في أسلوب الكاتب الدَّخوار وفي عناية المحقق بإنجاز هذا الأثر النافع ما أبهج النفس بالمطالعة والاستفادة ودفع الملل الذي قد يعتري من يطالع الكتب القديمة.

كما لاحظت ـ بتنبيه المحقق ـ أن الشارح الدَّخوار يحمل من العمق في تحرّي العلوم الطبّيّة ما يجعلنا نقف احتراماً لتلك المرحلة الرائعة من تاريخ أمّتنا، فالمعارف الطبية في ذلك العصر لا تقل قيمة عن المعارف في عصرنا، بل نراها قد نضجت أكثر مما نضج الطب الحديث إذا كان قياسنا يعتمد على الأدوات المتاحة في أيادي الأطباء، وليس في ذلك مبالغة.

وفي هذا أرى اليد البيضاء للدكتور محمّد ياسر زكّور في تبيان نصاعة صفحات حضارتنا العربية الإسلاميّة التي يحاول الكثير بخسها ما تستحقّ.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب مصنّفه ونسّاخه ومحقّقه ومن يطالعه ويبحث فيه.

د. مصطفى عبد الفتّاح

السبت ١٤/ ربيع الأول/ ١٤٣٩هـ

٢/ كانون الأول/ ٢٠١٧م

تركيا ـ هاتاي

تعريف تقدمة المعرفة وأنواعُها

لابدّ هنا من شرح أو تعريف لموضوع (تقدمة المعرفة) وأنواعها، فهي كما قال المؤلّف الدخوار ـ رحمه الله ـ في الفصل الأوّل من الكتاب: **اعلم** أنّ تقدمة المعرفة، وتقدمة الإنذار، وسابق النظر، وسابق العلم، كلّ واحد من هذه الأربعة له معنى؛

١ ـ **أمّا تقدمة المعرفة**: فهي عبارة عن أن تتقدّم إحاطة الطبيب بجميع جزئيّات الطبّ، لأنّ المعرفة مخصوصة بإدراك الجزئيّات.

٢ ـ **وتقدمة الإنذار** أخصّ منها، لأنّه ما ينذر إلّا ببعض ما علمه منها، فتقدمة المعرفة أعمّ.

٣ ـ **وأمّا سابق العلم**؛ فهو تقدّم إدراك الأمور الكلّيّة، وتحصيلها، وذلك لا يجدي المريض ولا الطبيب شيئاً، فإنّ أهل صناعة العلم الطبيعي يعرفون صناعة الطبّ على وجه كلّيّ؛ مثلاً إنّ معالجة الحارّ بالبارد (أي معالجة الأمراض الحارّة بالأدوية المبرّدة)، وهذا أيضاً لا يجدي المرضى شيئاً، فإنّهم لا ينتفعون إلا بمعالجة الأمور الجزئيّة.

٤ ـ **وأمّا سابق النظر**؛ فهو مطابق لسابق العلم، إذ اسم النظر والعلم يُطلقان على إدراك الأمر الكلّيّ، فهما من الأسماء المشتركة.

فوائد تقدمة المعرفة:

ننتقل من تعريف معنى هذا العلم وأنواعه إلى الفائدة منه، وذلك على رأي أبقراط، لأنّه في زمنه تعرّض لنقد بعض الأطبّاء زاعمين بأن (تقدمة المعرفة) هي من عمل الكهنة والمنجّمين، وليس هو كذلك، ولهذا السبب قال أبقراط رأيه حسب ما يرى من هذا العلم الحقيقي الذي يستند إلى أعراض وعلامات منبئة عن إنذار هذا المرض؛ الحسن من غيره السيّئ، تماماً كما هو الحال في الطب الحديث من وجوب إعطاء إنذار Prognosis لكلّ مرض، ولذلك نرى الدَّخوار يقول: إنّ أبقراط إنّما استفتح قولَه بأنْ قال: «إنّي أرى»، ولم يقل: «إنّ أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر والإنذار»؛ وذلك لأنّ جماعةً من الأطبّاء في زمانه عاندوه وقالوا: «إنّ الطبّ عبارة عن حفظ الصحّة، وردِّها إذا زالت»، وأمّا أنّ الطبيب يتقدّم ويخبر بما كان، وبما هو حاضر، وبما هو آت، فهذا من فعل المتكهّنين والمنجّمين وغيرهم، ولم يوافقوه على هذا.

وخلص المؤلّف من ذلك إلى فائدة هذا العلم (تقدمة المعرفة) التي وضعها أبقراط **فقال**: «إنّي أرى على ما عندي أن يتقدّم الطبيب ويعمل بهذا القول، فإنّه إذا فعله حصل له ثلاثة أمور؛

الأوّل أنّه كمل بما حصَل عنده من تحرير علم الطب.

الثاني أنّ أهل المريض، والمرضى، يعتقدون في حُسْن مداواته ومداراته.

الثالث أنّهم لا يعتقدون فيه التقصير إذا وقع أمرٌ مؤلمٌ (وكان الطبيب قد أخبر باحتمال وقوعه).

ترجمة المؤلِّف
ومن في حكمه

مهذَّب الدين عبد الرحيم بن علي الدَّخْوار

(٥٦٥هـ/١١٦٩م ـ ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)

✍ هو عبد الرحيم بن علي بن حامد الدمشقي المعروف بالدَّخوار[(١)].

مدحه ابن فضل الله العمري في كتاب مسالك الأبصار بقوله: «طبيب نهض به طيب العناصر، ونهى علمه أن تعقد على غيره الخناصر، كان في الحكماء علماً، وفي إثبات الحكم قلماً عز وجوده، وقلما فاض إناؤه، وآض[(٢)] اجتناؤه، وكان لفروع الطب شجرة يكاد زيتها يضيء، ويقال في ظلها ويفيء، كأنما جالس أرسطوطاليس، وجال مع تلك الجماعة في تقرير تلك النواميس، ولهذا اشتهر، وملأ العيون وبهر، وكان ممن يستصح برأيه، ويستصبح بذكائه، هذا إلى خط أوتيه، وحظ كان يواتيه.

---

(١) دخ: فارسية تعني فوج أو صف. وار: فارسية بمعنى صاحب، شبه، لائق. (التونجي: المعجم الذهبي). وقد فسرها د. ماهر عبد القادر في كتابه دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، في حاشية ص٢٢٥: بقوله دُخ تعني الشهاب أو النجم الساطع في السماء، والمقطع وار أداة تشبيه مثل يشبه، عن برهان قاطع، وبذلك تكون الكلمة مجملة تعني إما صاحب الصف، حسب التفسير الأول، أو الشهابي أو شبه النجم الساطع في السماء، والله أعلم.

(٢) آض: (صار).

وترجمه تلميذه ابن أبي أصيبعة بقوله: «هو شيخنا الإمام الصدر الكبير، العالم الفاضل مهذّب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد، ويعرف بالدَّخوار. وكان رحمه الله أوحد عصره، وفريد دهره، وعلّامة زمانه، وإليه انتهت رئاسة صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغي، وتحقيق كلياتها وجزئياتها، ولم يكن في اجتهاده من يجاريه، ولا في علمه من يماثله، أتعب نفسه في الاشتغال، وكدّ خاطره في تحصيل العلم حتى فاق أهل زمانه في صناعة الطب، وحظي عند الملوك، ونال من جهتهم من المال والجاه ما لم ينله غيره من الأطبّاء إلى أن توفّي.

وكان مولده ومنشؤه بدمشق، وكان أبوه علي بن حامد كحّالاً مشهوراً، وكذلك كان أخوه وهو حامد بن علي كحّالاً. وكان الحكيم مهذّب الدين أيضاً في مبدأ أمره يكحل، وهو مع ذلك مواظب على الاشتغال والنسخ، وكان خطّه منسوباً[١]، وكتب كتباً كثيرة بخطّه، قال ابن أبي أصيبعة: وقد رأيت منها نحو مائة مجلد أو أكثر في الطبّ وغيره. ولم يزل مجتهداً في تحصيل العلوم وملازمة القراءة والحفظ حتى في أوقات خدمته وهو في سنّ الكهولة.

وكان إذا فرغت الجماعة من القراءة يعود إلى نفسه فيأكل شيئاً ثم يشرع بقيّة نهاره في الحفظ والدرس والمطالعة يسهر أكثر الليل في الاشتغال.

ثم عرض له ثقل في لسانه واسترخاء، فبقي لا يسترسل في الكلام سنة ٦٢٦هـ، ثم زاد به ثقل لسانه حتى بقي إذا حاول الكلام لا يفهم ذلك منه إلا بعسر، وكانت

(١) الخط المنسوب هو الخط المبني على القواعد التي وضعها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨هـ (حاجي خليفة: كشف الظنون ج١ ص٥٤٦).

الجماعة تبحث قدّامه فإذا استعصى معنى يجيب عنه بأيسر لفظ يدل على كثير من المعنى، وفي أوقات يعسر عليه الكلام فيكتبه في لوح وتنظره الجماعة. ثم اجتهد في مداواة نفسه، واستفرغ بدنه بعدة أدوية مسهلة، وكان يتناول كثيراً من الأدوية والمعاجين الحارة ويغتذي بمثلها فعرضت له حمّى وتزايدت به حتى ضعفت قوّته وتوالت عليه أمراض كثيرة، ولما جاء الأجل بطل العمل، فكانت وفاته رحمه الله صبيحة الاثنين ١٥ صفر سنة ٦٢٨هـ ودفن بجبل قاسيون، ولم يخلف ولداً».

شيوخه

• **والده علي بن حامد الكحّال**: أخذ الدَّخوار الطبّ بداية عن والده كحّال دمشق علي بن حامد.

• **رضي الدين الرحبي (أو الرخّي)**[1]: أبو الحجّاج يوسف بن حيدرة، (٥٣٤ ـ ٦٣١هـ)، قدم دمشق مع أبيه حيدرة الكحّال في سنة ٥٥٠هـ، ولازم الاشتغال على المهذب بن النقاش (أبو الحسن علي بن عيسى بن هبة الله) ونوّه باسمه ونبّه على محل علمه، وصار من أطباء صلاح الدين، وحياته امتدت وصار أطبّاء البلد تلامذته حتى إنّ من جملة أصحابه المهذب الدَّخوار حيث كان من أجلّ

(١) في عيون الأنباء وأكثر المراجع (الرحبي) نسبة إلى الرحبة؛ وهي مدينة أسسها مالك التغلبي على الفرات الأوسط في خلافة المأمون وهي اليوم أطلال وآثار تعرف برحبة مالك، ويقول ابن أبي أصيبعة أن مولده كان بجزيرة ابن عمر ونشأ بها وأقام أيضاً بنصيبين، ما بين النهرين، وبالرحبة سنين. وما أثبتناه (الرخّي) من النعيمي: «الدارس في تاريخ المدارس» والذهبي: «العبر في خبر من غبر»، نسبة إلى رخ ناحية بنيسابور.

من قرأ عليه في أول أمره قبل ملازمته لابن المطران، وعاش سبعاً وتسعين سنة ممتعاً بالسمع والبصر. من أهمّ مؤلفاته: اختصار كتاب المسائل لحنين.

• **موفّق الدين بن المطران:** لازم الدَّخوارُ الموفقَ بن المطران، أسعد بن إلياس ابن جرجس (توفي سنة ٥٨٧هـ)، وتتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطب ولم يزل ملازماً له في أسفاره وحضره إلى أن تميّز ومهر.

ومما حكاه المهذّب الدَّخوار قال: إنّ أسد الدين شيركوه صاحب حمص طلب ابن المطران فتوجّه وأنا معه، فبينا نحن في بعض الطريق وإذا رجل مجذوم قد استقبله وكان المرض قد قوي به حتى تغيرت خلقته وتشوّهت صورته، فاستوصف منه ما يتناوله وما يتداوى به، فبقي كالمتبرم من رؤيته، ثم قال له: كلْ لحوم الأفاعي، فعاود في المسألة، فقال: كلْ لحوم الأفاعي فإنّك تبرأ. ثم مضينا إلى حمص وأقمنا بها نعالج المريض الذي طلب لأجله إلى أن صلح، ثم رجعنا، فلمّا كنّا في الطريق، وإذ بشابّ حسن الصورة، كامل الصحة قد سلّم عليه وقبّل يده، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا صاحب ذلك المرض الذي كنت شكوت إليك، وإنني استعملت ما وصفته لي فصلحت من غير أن أحتاج معه إلى دواء آخر.

توفي ابن المطران سنة ٥٩٠هـ بدمشق. من مؤلفاته: بستان الأطباء وروضة الألباء.. وغيره.

• **فخر الدين المارديني:** ثمّ أخذ عن الفخر المارديني، محمّد بن عبد السلام بن عبد الرحمن (توفي سنة ٥٩٤هـ)، لمّا قدم دمشق سنة ٥٧٩هـ في أيّام صلاح الدين، واشتغل عليه بشيء من القانون لابن سينا. وبقي حتّى سنة ٥٨٩هـ، ولمّا عزم على

السفر أتاه الشيخ مهذّب الدين وسأله إن كان يمكنه أن يقيم بدمشق ليتمّ عليه قراءة كتاب القانون، وأن يكون يوصل إلى وكيله برسم النفقة في كلّ شهر ثلاثمائة درهم ناصريّة فلم يفعل، وقال: العلم لا يباع أصلاً، بل من كان معي فإنني أشغله أين كنت، ولم يمكن مهذب الدين التوجه معه.

• **تاج الدين الكندي**: وأخذ الأدب والعربيّة عن الشيخ تاج الدين الكندي أبي اليمن. وهو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري، من ذي رعين، أبو اليمن، تاج الدين الكندي (٥٢٠ ـ ٦١٣هـ/ ١١٢٦ ـ ١٢١٧م)، أديب من الكتّاب الشعراء العلماء، ولد ونشأ ببغداد، وسافر إلى حلب سنة ٥٦٣هـ، وسكن دمشق، قصده الناس يقرأون عليه، وتوفّي بدمشق. له كتاب شيوخه على حروف المعجم، وشرح ديوان المتنبي، وديوان شعر.

• **سيف الدين الآمدي (٥٥١ ـ ٦٣١هـ/ ١١٥٦ ـ ١٢٣٣م)**: وكان أيضاً في ذلك الزمان يجتمع بالشيخ سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي، وكان يعرفه قديماً فلازمه في الاشتغال عليه بالعلوم الحكميّة، وحفظ شيئاً من كتبه، وحصّل معظم مصنفاته ليشتغل بها مثل كتاب دقائق الحقائق، وكتاب رموز الكنوز، وكتاب كشف التمويهات في شرح التنبيهات، وكتاب أبكار الأفكار، وغير ذلك من مصنفات سيف الدين.

ثم بعد ذلك أيضاً نظر في علم الهيئة والنجوم، واشتغل بها على أبي الفضل الإسرائيلي المنجم، واقتنى من آلات النحاس التي يحتاج إليها في هذا الفن، ما لم يكن عند غيره، ومن الكتب شيئاً كثيراً.

منزلته العلمية ومآثره

✍ كان الدَّخوار من كبار الأطبّاء البارزين في البيمارستان النوري الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، فقد كان يقوم فيه بتدريس الأطبّاء وتعليمهم بالإضافة إلى تطبيب نزلاء البيمارستان من المرضى[(١)].




مدخل وصحن البيمارستان النوري بدمشق

(كاميرا المحقّق)

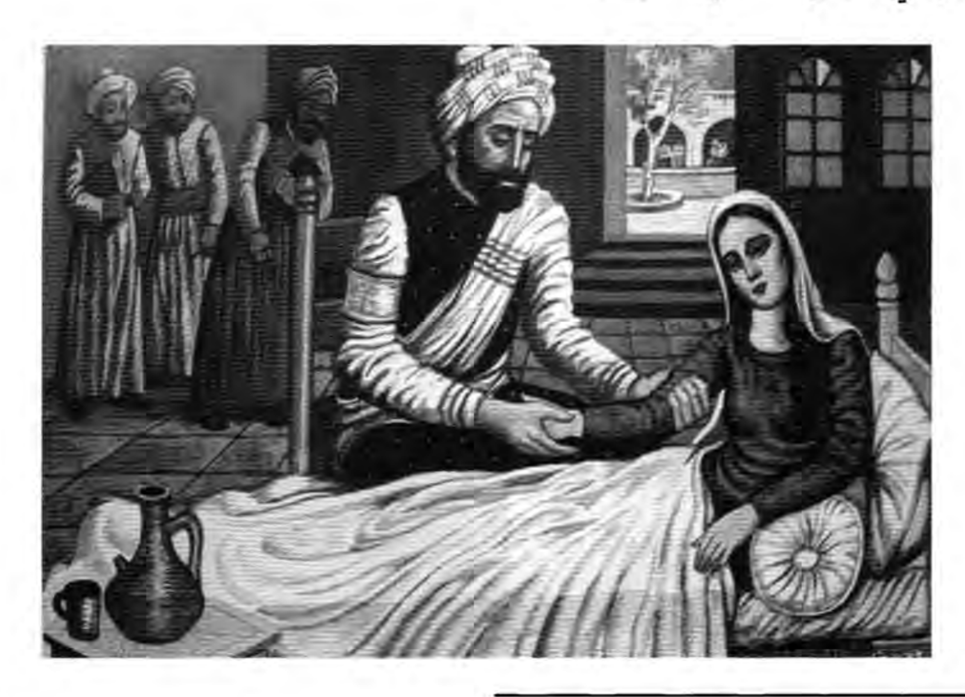
(١) قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بترميم البيمارستان النوري وجهزته ليكون مقراً لمتحف الطب والعلوم عند العرب.

ثم في سنة ٦٠٤هـ أصبح مع الحكيم موفّق الدين عبد العزيز برسم خدمة العسكر والتردّد عليهم في أمراضهم، ثم بعد شهر حلّ محلّ الحكيم عبد العزيز في البيمارستان بعد وفاته، واستمرّ في خدمة الملك العادل من ذلك الوقت، ثم لم تزل تسمو منزلته عنده وتترقّى أحواله حتى صار جليسه وأنيسه وصاحب مشورته.

وكان طلّاب الدخوار يجتمعون حوله في البيمارستان حين كان يتفقّد المرضى فيعلمهم ويشرح لهم الحالة المرضيّة التي أمامه.

ومن مآثره في ذلك ما رواه تلميذُه ابن أبي أصيبعة، فقال: «ورأيته يوماً في قاعة المحمومين وقد وقفنا عند مريض، وجسّت الأطباء نبضه فقالوا: عنده ضعف، ليُعْطَ مرقة الفروج للتقوية، فنظر إليه وقال: إنّ كلامَه ونظرَ عينيه يقتضي الضعف، ثم جسّ نبض يده اليمنى وجسّ الأخرى وقال: جسّوا نبض يده اليسرى، فوجدناه قويّاً، فقال: انظروا نبض يده اليمنى وكيف هو من قريب كوعه قد انفرق العرق الضارب شعبتين، فواحدة بقيت التي تُجسّ، والأخرى طلعت في أعلى الزند وامتدّت إلى ناحية الأصابع؛ فوجدناه حقّاً، ثمّ قال: إنّ من الناس، وهو نادر من يكون النبض فيه هكذا، ويشتبه على كثير من الأطبّاء ويعتقدون أنّ النبض ضعيفٌ، وإنّما يكون جسّاً لتلك الشعبة التي هي نصف العرق فيعتقدون أنّ النبض ضعيف».

فلعلّ الدَّخوار هنا يكون أوّل من وضع هذا الاختلاف التشريحي الطبيعي غير المرضي، وهو ما ندعوه حالياً Anomaly[١].



(١) ذكرت كتب الطب الحديث هذا الشذوذ التشريحي الطبيعي، غير المرضي، ونبهت إليه أيضاً، وعلى سبيل المثال نورد ما ذكر في الكتابين التاليين حول هذا الموضوع.

If the pulse cannot be felt, try the other wrist; occasionally an anomaly of the radial artery makes even a full pulse difficult or impossible to feel.

(Hamilton Bailey's Demonstrations of physical & signs in clinical surgery. Bristol John Wright & sons 1967.P8.). & Kiss Franciscus, Sentagothai Johannes: Atlas Anatomiae coporis Humani, Akademiai Kiado,Budapest 1973. Tomus III, p: 125. Cunningham's Manual Of Practical Anatomy, Oxford University Press, Voluml 1 p: 82.

It is modified by vasomotor tone and local condition such as a sclerotic or anatomically small artery.

(Davidson Stanley, Macleod John: The principle and Practice of Medicine. Churchill Livingstone Edinburgh and London 1972. P: 242).

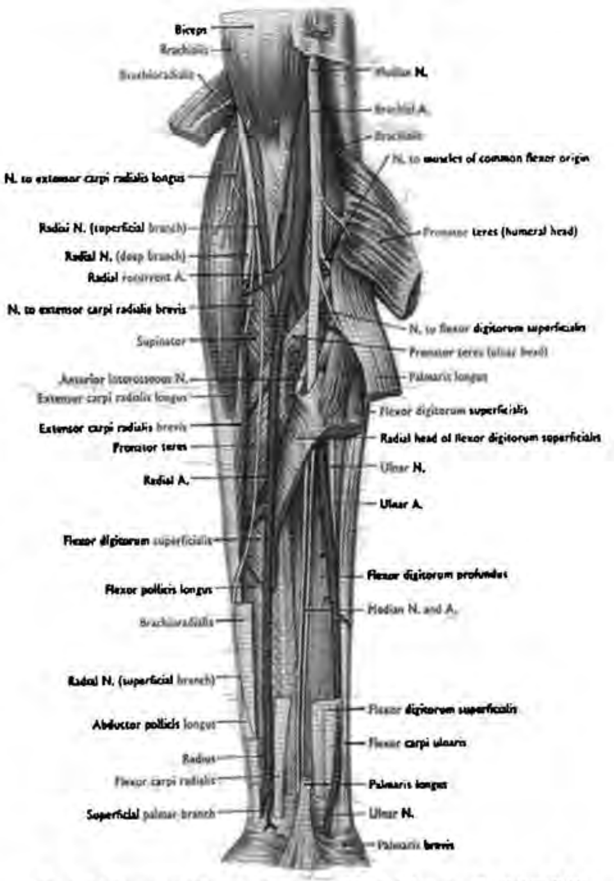


FIG. 53 Deep dissection of muscles, and nerves of front of forearm. The division of the brachial artery is slightly lower than usual.

ونال من الملك العادل الإكرام الجزيل على معالجته له سنة ٦١٠هـ، وكذلك ابنه الملك الكامل لمّا مرض في الديار المصرية سنة ٦١٢هـ. وفي مصر ولّاه السلطان الكبير رئاسة أطبّاء ديار مصر بأسرها وأطباء الشام. يقول ابن أبي أصيبعة: «وكنت في ذلك الوقت مع أبي وهو في خدمة الملك العادل، ففوّض إليه النظر في أمر الكحّالين واعتبارهم، وأنّ من يصلح منهم لمعالجة أمراض العين ويرتضيه يكتب له خطّاً بما يعرفه منه ففعل ذلك، ولمّا استقر ملك المعظم بالشام، بعد وفاة أبيه الملك العادل سنة ٦١٥هـ، استخدم جماعة عدّة ممّن كانوا في خدمة أبيه الملك العادل، وانتظم في

خدمته منهم من الحكماء الحكيم رشيد الدين بن الصوري وأبي، وأمّا الحكيم مهذب الدين فإنّه أطلق له جامكيّة (رواتب ديوانيّة) وجراية، ورسم أنّه يقيم بدمشق، وأن يتردّد إلى البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ويعالج المرضى به».

تميّز الدَّخوار في عصره وظهرت له نوادر في تقدمة المعرفة؛ وهي ما ندعوه حالياً (الإنذار prognosis) فالطبيب ينبغي أن يخبَر بما تقدم، ويعْلَم ما هو حاضر، وينذر بما هو كائن. وأفضل الأطباء من علم ما سيحدث بالمريض فاستعدّ له قبل ذلك بمدة طويلة، وتأهّب وهيّأ ما يحتاج إليه لشيء شيء ممّا يحدث. وقد ألّف أبقراط كتاباً في ذلك باسم «كتاب تقدمة المعرفة»، شرحه الدَّخوار أيضاً.

من هذه الأمور أن الملك العادل كان قد مرض ولازمه أعيان الأطبّاء، فأشار مهذّب الدين عليه بالفصد فلم يستصوب ذلك الأطبّاء الذين كانوا معه، فقال: والله لم نخرج له دماً إلّا خرج الدم بغير اختيارنا. ولم يوافقوه في قوله، فما كان بعد ذلك بأيسر وقت إلّا والسلطان قد رعف رعافاً كثيراً وصلح فعرف أنّ ما في الجماعة مثله.

ومن ذلك أيضاً أنّه كان يوماً على باب دار السلطان ومعه جماعة من أطبّاء الدور، فخرج خادم ومعه قارورة جارية يستوصف لها من شيء يؤلمها (يبدو أنها كانت سائدة عادة وصف الدواء على القارورة، وهذا ما نهى عنه الكثير من الأطباء في ذلك العصر أيضاً دون مشاهدة المريض)، فلما رآها الأطبّاء وصفوا لها ما حضرهم، وعندما عاينها الحكيم مهذّب الدين قال: إنّ هذا الألم الذي تشكوه لم يوجب هذا الصبغ الذي للقارورة، يوشك أن يكون الصبغ من حنّاء قد اختضبت به (الجلد يمتص

الأصبغة إلى الدم وتطرح عن طريق البول)، فأعلمه الخادم بذلك وتعجّب منه، وأخبر الملك العادل فتزيّد حسن اعتقاده فيه.

ومما قيل في الدخوار:

أنْــعِــمْ ولُــذْ بــأقــدارٍ تــواتــيــكــا حتّى تنالَ بها أقصى أمانيكا
مهذّب الدين يا عبد الرحيم لقد شأوتَ يا ابن عليٍّ من يباريكا
فازت قداحُك في حفظ الدروس بأيْـ ـيامٍ سلفْنَ وما خابت لياليكا

زملاء الدَّخوار ومعاصروه

● **عمران بن صدقة (٥٦١ ـ ٦٣٧هـ/ ١١٦٥ ـ ١٢٣٩م)**: هو الحكيم أوحد الدين عمران بن صدقة، مولده بدمشق، وكان أبوه أيضاً طبيباً مشهوراً، واشتغل عمران على الشيخ رضي الدين الرحبي بصناعة الطبّ، وتميّز في علمها وعملها. وكان الدَّخوار من الأطبّاء الذين يحبّون التعاون فيما بينهم لمعالجة المرضى؛ فمن ذلك ما ذكره عنه ابن أبي أصيبعة بأنّه كان معه في البيمارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من أعيان الأطباء وأكابرهم في المداواة والتصرّف في أنواع العلاج فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما، وممّا كان يجري بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها وممّا كانا يصِفانه للمرضى، وكان يظهر في اجتماعهما كلّ فضيلة، ويتهيّأ للمرضى من المداواة كلّ خير، ويقول ابن أبي أصيبعة: وكنت في ذلك الوقت أتدرّب معهما في أعمال الطب.

● **رضيّ الدين الرحبي (الرخّي)**: وكان في ذلك الوقت أيضاً في البيمارستان الشيخ رضي الدين الرحبي (الرخّي)، وهو من أقدم الأطبّاء سنّاً وأعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً، ولم يجتمع في البيمارستان منذ بني وإلى ما بعده من الزمان من مشايخ الأطبّاء كما اجتمع فيه في ذلك الوقت من هؤلاء المشايخ الثلاثة وبقوا كذلك مدة.

● **موفق الدين يعقوب بن سقلاب** (توفي ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م): خدم الملك المعظّم عيسى بن أبي بكر الأيوبي سنة ٦٢٤هـ، كان شديد الاستقصاء والتعمّق في دراسة أعراض المرضى، ودقيق التوثيق من الكتب. قال عنه ابن أبي أصيبعة: وكان في أوقات كثيرة لمّا أقام بدمشق يجتمع هو والشيخ مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي في الموضع الذي يجلس فيه الأطبّاء عند دار السلطان ويتباحثان في أشياء من الطبّ، فكان الشيخ مهذّب الدين أفصح عبارة وأقوى براعة وأحسن بحثاً، وكان الحكيم يعقوب أكثر سكينة وأبْيَن قولاً وأوسع نقلاً.

● ومن زملائه المعاصرين: **مهذب الدين علي بن أحمد بن هبل** (مقبل) الموصلي، شيخ الحديث، وكان أعلم أهل زمانه بالطبّ وله فيه تصنيف حسن، وكان كثير الصدقة حسن الأخلاق. من مؤلفاته كتاب «المختارات في الطب»، توفي سنة ٦١٠هـ.

تلاميذه

كان الشيخ مهذّب الدين رحمه الله إذا تفرّغ من البيمارستان، وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم، يأتي إلى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة، ولا بدّ مع ذلك من نسخ، فإذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون

إليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين. وكان يقرأ كل واحد منهم درسه، ويبحث معه فيه، ويفهمه إياه بقدر طاقته، ويبحث في ذلك مع المتميّزين منهم إن كان الموضع يحتاج إلى فضل بحث، أو فيه إشكال يحتاج إلى تحرير. وكان لا يُقرئ أحداً إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب يقرأه ذلك التلميذ، ينظر فيه ويقابل به، فإن كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمره بإصلاحه، وكانت نسخ الشيخ مهذّب الدين التي تقرأ عليه في غاية الصحّة، وكان أكثرها بخطّه.

وكان من تلاميذه:

• **موفّق الدين أبو العباس، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، المعروف بابن أبي أصيبعة،** توفي سنة ٦٦٨هـ، قال: ولما أقام الشيخ مهذّب الدين بدمشق شرع في تدريس صناعة الطبّ، واجتمع إليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه، وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه، وأمّا أولاً فكنت أشتغل عليه في المعسكر لما كان أبي والحكيم مهذّب الدين في خدمة السلطان الكبير فبقيت أتردّد إليه مع الجماعة. لازمته أيضاً في وقت معالجته للمرضى بالبيمارستان فتدرّبت معه في ذلك وباشرت أعمال صناعة الطبّ. وقال: كنت بعدما يفرغ الحكيم مهذّب الدين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان وأنا معهم أجلس مع الشيخ رضيّ الدين الرحبي فأعاين كيفية استدلاله على الأمراض، وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها.

• **بدر الدين بن قاضي بعلبك،** المظفّر بدر الدين بن عبد الرحمن بن إبراهيم البعلبكي (توفي سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م): قرأ صناعة الطبّ على مهذّب الدين

عبد الرحيم بن علي وأتقنها في أسرع الأوقات. قال ابن أبي أصيبعة: إن الشيخ مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي كان قد صنّف مقالة في الاستفراغ، وقرأها عليه كلّ واحد من تلامذته، وأما هو (المظفر) فإنّه شرع في حفظها، وقرأها عليه من خاطره غائباً من أوّلها إلى آخرها، فأعجب الشيخ مهذّب الدين ذلك منه، وكان ملازماً له مواظباً على القراءة والدرس. ورافقه حينما توجه لخدمة الأشرف موسى ابن الملك العادل سنة **٦٢٢**هـ ولم يقطع الاشتغال عليه. خدم في بيمارستان الرقّة، ودرّس بالدخوارية. من كتبه: مقالة في مزاج الرقّة وفي أحوال أهويتها وأطبائها، مفرح النفس، وكتاب الملَح في الطب، وغيرها... ولعلّ تعليقه لشرح الدخوار هذا على «تقدمة المعرفة» لأبقراط من آثاره المهمّة أيضاً، فهو شرح أملاه عليه أستاذه الدخوار، وقد عمل بدر الدين بوصية أستاذه وفاء له وحفظاً للعلم.



بيمارستان الرقّة

(أطلق عليه حديثاً اسم قصر البنات)

• **عزّ الدين السويدي (٦٠٠ ـ ٦٩٠هـ)**: ابن الحكيم العلّامة شيخ الأطباء عزّ الدين أبو إسحق، إبراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الأنصاري الدمشقي الشافعي، من ولد سعد بن معاذ ﵁، أخذ الطب عن أكابر الحكماء كالمهذّب عبد الرحيم الدخوار، وغيره، برع في الطب، وصنّف فيه «الباهر في الجواهر» و «التذكرة في الطب». درّس بالدخوارية، وخدم السلطان والمارستان.

• **علاء الدين علي بن أبي الحزم بن النفيس الدمشقيّ**، صاحب «شرح تشريح القانون» وغيره، نشأ بدمشق، وكان اشتغاله على المهذّب الدخوار، توفي بمصر سنة **٦٨٧هـ**.

• **كمال الدين محمّد بن عبد الرحيم بن مسلم بن كمال الدين**، طبيب، شيخ قديم عارف بالطب بصير بأصوله ومفرداته، درّس الطب بالدخوارية بدمشق، وكان فيه صلاح وخير لفقراء المرضى، توفّي عن عمر مديد عام **٦٨٧هـ**.

• **الصاحب نجم الدين بن اللبّودي**، (٦٠٧ ـ ٦٦٦هـ) يحيى بن محمد بن عبدان ابن عبد الواحد، الصاحب نجم الدين أبو زكرياء: ولد بحلب سنة **٦٠٧هـ**، وأتى دمشق وقرأ على المهذّب عبد الرحيم، وخدم المنصور إبراهيم صاحب حمص. له العشرات من المؤلفات، منها: مختصر الكليات من القانون، ومختصر المسائل لحنين، وغيرها.

• **محمد الكلّي** شمس الدين أبو عبد الله (كان حياً سنة **٦٢٢هـ/ ١٢٢٨م**): محمد ابن إبراهيم بن أبي المحاسن المعروف بالكلّي لإتقانه حفظ (الكلّيّات في الطب من القانون لابن سينا)، طبيب مغربي الأصل، كان أبوه أندلسيّاً ثم أتى إلى دمشق، ونشأ

شمس الدين بدمشق وأخذ الطبّ على عبد الرحيم بن علي الدخوار، ودخل في خدمة الملك الأشرف موسى بن العادل الأيّوبي، ثم خدم بعد ذلك في البيمارستان الكبير النوري.

• **موفق الدين عبد السلام** (كان حيّاً سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م): أصله من حماة، وأقام بدمشق، واشتغل على الحكيم مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي، وعلى غيره، ثم سافر إلى حلب وتزيّد في العلم، وخدم الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي صاحب حلب، ثم صحبه إلى دمشق، ثم توجّه إلى مصر، ثم إلى حماة حيث خدم الملك المنصور صاحب حماة.

• **نجم الدين بن المنفاخ** (٥٩٣ ـ ٦٥٢هـ): أبو العبّاس أحمد بن أبي الفضل أسعد بن حلوان، ويعرف بابن العالمة، أبوه أسعد بن حلوان أصله من المعرّة، اشتغل على الحكيم مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي بصناعة الطب حتى أتقنها، خدم بصناعة الطبّ الملك المسعود صاحب آمد، ثم الملك الأشرف ابن الملك المنصور صاحب حمص. له من الكتب: التدقيق في الجمع والتفريق، هتك الأستار في تمويه الدخوار، وغيرها. . .

• **شرف الدين بن الرحبي** (٥٨٣ ـ ٦٦٧هـ/ ١١٨٧ ـ ١٢٦٨م): شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي، ولد بدمشق واشتغل بصناعة الطبّ على الدّخوار وعبد اللطيف البغدادي وغيرهما، وخدم مدة في البيمارستان الكبير النوري، ودرّس بالمدرسة الدخواريّة.

• **زين الدين الحافظي سليمان بن علي (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)**: سليمان بن المؤيّد علي بن عامر العُقرُباني، ابن خطيب عقرباء في غوطة دمشق، خدم الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن أبي بكر بن أيّوب صاحب قلعة جعبر قرب الرقة على الفرات. قال ابن أبي أصيبعة: اشتغل بصناعة الطب على شيخنا مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله فحصل علمها وعملها، وأتقن فصولها وجملها.

• **رشيد الدين أبو حُليقة (٥٩١ ـ ٦٦٠هـ/ ١١٩٤ ـ ١٢٦١م)**: رشيد الدين بن الفارس بن أبي الخير بن داود بن أبي المنى بن أبي فانة، المعروف بأبي حُليقة، طبيب حكيم شاعر، ولد بقلعة جعبر في الرقّة، وعاش في الرَّها في الجزيرة السورية، ثم انتقل إلى دمشق، درس الطب في أول أمره على عمه مهذّب الدين أبي سعيد محمّد أبي حليقة بدمشق، واشتغل بعد ذلك في الديّار المصرية، وقرأ أيضاً على مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي. من كتبه مقالة في ضرورة الموت.

• **رشيد الدين أبو سعيد القدسي (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)**: هو الحكيم الأجلّ العالم، أبو سعيد بن موفّق الدين يعقوب من نصارى القدس، اشتغل بعلم الطبّ على رشيد الدين علي بن حُليقة، لما كان في خدمة الملك المعظم، واشتغل أيضاً على الشيخ الحكيم مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار. وكان في خدمة الملك الكامل، ثم الملك الصالح نجم الدين أيّوب بن الملك الكامل. من كتبه: عيون الطبّ.

مؤلفات الدخوار

- كتاب الجنينة في الطب (وقيل الحسبة، وقيل الجنين).
- اختصار كتاب الحاوي في الطبّ لأبي بكر الرازي.
- مقالة في الاستفراغ، ألّفها بدمشق سنة ٦٢٢هـ.
- اختصار كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.
- تعاليق ومسائل في الطبّ وشكوك طبّيّة ورد أجوبتها.
- كتاب الردّ على شرح ابن صادق لمسائل حنين بن إسحق.
- مقالة يردّ فيها على رسالة أبي الحجاج يوسف الإسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها.
- ما يقع في الأدوية المفردة من التصحيف: نسخة في إستانبول ـ حكيم أوغلي برقم (٥٧٤) بخط مأمون بن محمد بن مأمون الأسطبهاني الإيجي، من عام ٦٩٨هـ.
- **شرح تقدمة المعرفة لأبقراط**: صنّفه لتلميذه كمال الدين محمد بن عبد الرحيم ابن مسلم، أتم نسخه مأمون بن محمد بن مأمون الأسطبهاني الإيجي سنة ٦٩٨هـ في مدينة حماة، نسخه الخطّيّة في: الإسكندرية ـ البلدية برقم (٣٤٢٠/ج ـ ف/ ٣٣٠) مصورة بمعهد التراث بحلب برقم (٩٧٥). إستانبول ـ حكيم أوغلي برقم (٥٧٤). أكسفورد ـ بودليان برقم (٢/ ٥٣٣/ ١) وثانية برقم (١٩١/ ٢). الرقم الجديد: MS. Thurston 10, MS.Bodl.Or.231. وفي الرياض برقم ١٩٤٩.

ولكتاب تقدمة المعرفة عدة شروحات أيضاً، غير شرح الدخوار، هي: شرح ابن أبي صادق النيسابوري. أرجوزة قدّمها ابن البذوخ (٥٧٦هـ) يشرح فيها كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط. شرح موفّق الدين عبد اللطيف البغدادي. شرح عماد الدين الدنيسري. شرح ابن النفيس.

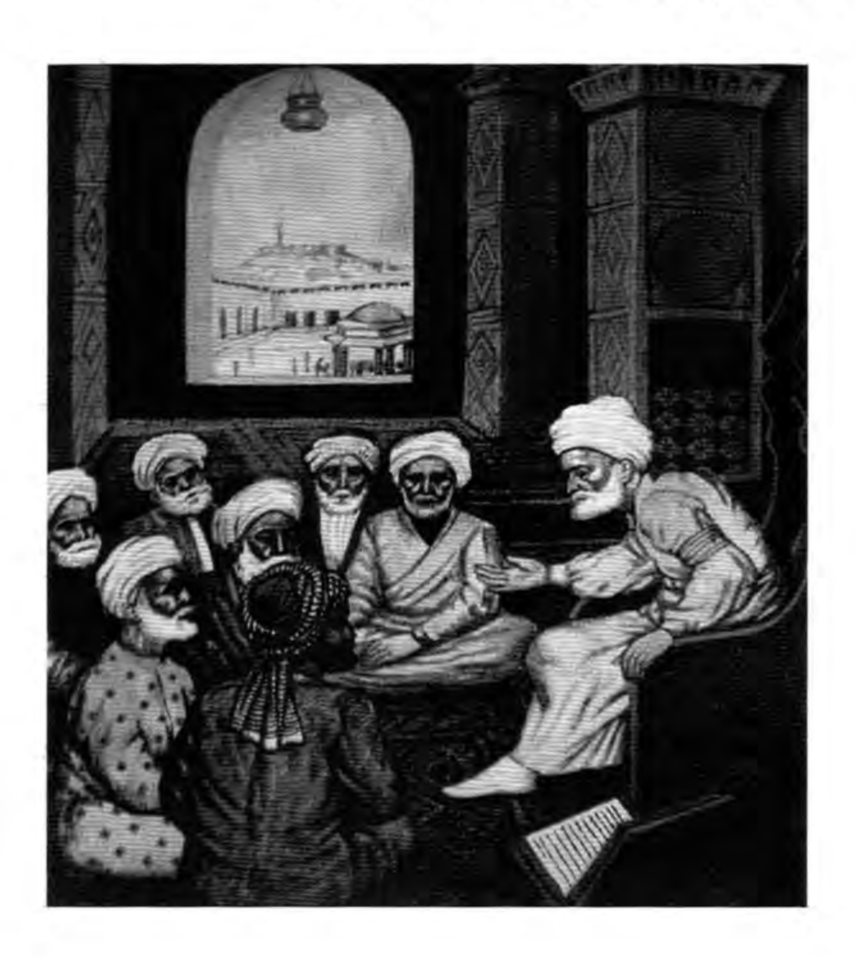
أما نسبة هذا الكتاب إلى الدخوار، فقد أوردها بروكلمان في كتاب تاريخ الأدب العربي ج٤ص١١٢، وماهر عبد القادر في كتابه دراسات وشخصيات في تاريخ الأدب العربي ص٢٩٠، وما أورده الزركلي في الأعلام، وكحالة في معجم المؤلفين، فأثبتا هذا الكتاب للدخوار، فهي مبنية على ما جاء في صفحة غلاف المخطوط، وفي مقدمته.

ففي صفحة الغلاف نرى: «كتاب فيه شرح تقدمة المعرفة لمهذب الدين عبد الرحيم (بالأصل عبد الرحمن) بن علي بن الدخوار عفا الله عنه وكتبه مظفر بدر الدين بن قاضي بعلبك لكمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن مسلم الطبيب الدمشقي رحمهما الله».

وسنتحدّث لاحقاً عن النسخ الخطّية للكتاب بشكل مفصّل، وكذلك نسبته إلى مؤلّفه الدَّخوار.

المدرسة الدخواريّة الطبيّة

كانت دار الدَّخوار في بداية عمله التدريسي عبارة عن مجلس لتدريس صناعة الطبّ، إلا أنّ داره هذه التي كان يسكنها انقلبت إلى مدرسة للطبّ بعد وفاته، واستحقت اسم «مدرسة طبية»، ذلك أن الدَّخوار، وهو الطبيب العالم الذي لم يخلف أولاداً، كان قد وقف داره الكائنة عند الصاغة العتيقة شرقي سوق المناخليّين بدمشق لتكون مدرسة يجري فيها تدريس صناعة الطبّ من بعده.



تأسيس المدرسة الدخواريّة:

في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) أوقف مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي الدَّخوار، شيخ الأطباء ورئيسهم، داره بدمشق (المدرسة الدخوارية)[1] بدرب العجل، شرقي سوق المناخليّين عند الصاغة العتيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الأموي، وجعلها مدرسة يدرّس فيها من بعده صناعة الطبّ، ووقف لها ضياعاً وعدة أماكن يستغلّ منها ويتصرف في مصالحها وفي جامكية المدرسين وجامكية المشتغلين بها. فكان إذا فرغ من البيمارستان وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرهم وغيرهم، يأتي إلى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة، ولا بد له مع ذلك من نَسْخ، فإذا فرغ منه أيضاً أذن للجماعة فيدخلون عليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين، وكان يقرئ كل واحد منهم درسه ويبحث معه فيه، ويفهمه إيّاه بقدر طاقته. ويبحث في ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضع يحتاج إلى فضل بحث أو فيه إشكال يحتاج إلى تحرير. وكان إلى جانبه ما يحتاج إليه من الكتب الطبّيّة، ومن كتب اللغة: كتاب

---

(١) يقول جعفر الحسني محقق كتاب «الدارس في تاريخ المدارس» سنة ١٩٥١م: هذه المدرسة درست وضاعت معالمها. بينما يقول محمود الأرناؤوط محقق كتاب شذرات الذهب سنة ١٩٩١م: وقد تحولت مدرسته في هذه الأيام إلى متحف للطب العربي الإسلامي القديم، وتقام فيها على فترات متباعدة بعض الندوات العلمية، وتلقى فيها المحاضرات في الأمسيات الصيفية غالباً، ومن جملة من حاضر فيها محاضرة علمية إسلامية الشكل والمضمون قبل ثلاث سنوات، العالم الجزائري الفاضل الدكتور أحمد عروة، تحدث فيها عن خلق الإنسان في القرآن الكريم، وقد تنادى إلى حضورها أهل العلم والثقافة والأدب في دمشق في حينه. بينما كما ذكرنا سابقاً بأنها قد درست معالمها، وأن المتحف هو في البيمارستان النوري الكبير، والله أعلم.

الصحاح للجوهري، والمجمل لأحمد بن فارس (توفي ١٠٠٤م)، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، فكان إذا جاءت في الدرس كلمة لغة يحتاج إلى كشفها وتحقيقها نظرها في تلك الكتب.

ثم مرض مهذب الدين عبد الرحيم بن علي وتوفي في يوم الإثنين الخامس عشر من شهر صفر سنة ٦٢٨هـ/ ٢٤ كانون الأول سنة ١٢٣٠م، ودفن في تربة له بسفح جبل قاسيون فوق الميطور، وعلى قبره قبّة على أعمدة في أصل الجبل شرقي الركنيّة، وقد ابتلي بستة أمراض متعاكسة منها ريح اللقوة.

ووصّى أن يكون أوّل مدرّس فيها من بعده الحكيم شرف الدين علي بن الحكيم رضي الدين الرحبي (أو الرخّي) أستاذ الدخوار.

افتتاح المدرسة الدخواريّة(١):

لما كان في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٦٢٨هـ (/ ٢٨ شباط سنة ١٢٣١م) حضر الحكيم سعد الدين إبراهيم بن الحكيم موفّق الدين عبد العزيز، والقاضي شمس الدين الخوئي، والقاضي جمال الدين الحَرَسْتاني(٢)، والقاضي عزّ الدين السِنْجاري، وجماعة من الفقهاء والحكماء، وشرع الحكيم شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة الرخّي (الرحبي) في تدريس الطب فيها، واستمر على ذلك وبقي سنين عدّة.

---

(١) عن مخطوط كتاب تنبيه الطالب وإرشاد الدارس عما كان في دمشق من المدارس. وهو ذاته «الدارس في تاريخ المدارس» والاسم الأول أطلقه عليه المؤلف وهو ما يزال في مسوداته. واختصره عبد الباسط العلموي (٩٠٧ ـ ٩٨١هـ).

(٢) الحرستاني: في عيون الأنباء؛ الخرستاني.

الأطباء الذين درّسوا في المدرسة الدخواريّة:

• إن أوّل من درّس في هذه المدرسة، واقفها **مهذّب الدين الدخوار** سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م.

• ثم درّس فيها عن وصيّة واقفها، كما ذكرنا، **شرف الدين الرخّي (الرحبي)**، (٥٨٣ ـ ٦٦٧هـ/ ١١٨٧ ـ ١٢٦٨م): شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي، ولد بدمشق واشتغل بصناعة الطب على الدخوار وعبد اللطيف البغدادي وغيرهما، وخدم مدة في البيمارستان الكبير النوري، ودرّس بالمدرسة الدخواريّة.

• ثم صار المدرس فيما بعد الحكيم بدر الدين محمد (المظفر) **ابن قاضي بعلبك**، وذلك أنّه لما ملك دمشق الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل الأيّوبي، كتب للحكيم بدر الدين ابن قاضي بعلبك، منشوراً برئاسته على سائر الحكماء في صناعة الطبّ، وأن يكون مدرساً للطبّ في مدرسة الحكيم مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار. وتولّى ذلك في يوم الأربعاء رابع صفر سنة ٦٣٧هـ.

• ثم درّس بعده **عماد الدين الدُّنَيْسَري**، قال عزّ الدين بن شداد (٦١٣ ـ ٦٨٤هـ) في «الأعلاق الخطيرة»: وهو بها إلى الآن.

• والجمال المحقّق **أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي**، كان فاضلاً في الطبّ، وقد ولّي مشيخة الدخواريّة لتقدّمه في صناعة الطبّ على غيره، وعاد المرضى بالبيمارستان النوري على قاعدة الأطبّاء، وكان معيداً بعدة مدارس. توفي سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م.

• كمال الدين الطبيب: **محمد بن عبد الرحيم بن مسلم** كمال الدين الطبيب، شيخ قديم عارف بالطبّ بصير بأصوله ومفرداته، درّس بالدخوارية، وطال عمره، توفي سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٧م).

• **عزّ الدين السويدي** (٦٠٠ ـ ٦٩٠هـ): السويدي ابن الحكيم العلّامة شيخ الأطباء عز الدين أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الأنصاري الدمشقي الشافعي، من ولد سعد بن معاذ ﷺ، أخذ الطبّ عن أكابر الحكماء كالمهذب عبد الرحيم الدخوار، وغيره، برع في الطب، وصنف فيه «الباهر في الجواهر» و «التذكرة في الطب». درّس بالدخوارية، وخدم السلطان والمارستان. كان له جامكية في أربع جهات؛ في البيمارستان النوري، وفي بيمارستان باب البريد في دمشق، ولتردّده على قلعة دمشق، ولتدريسه في مدرسة الدخْواريّة.

• **بدر الدين السويدي** (٦٣٥ ـ ٧١١هـ): الشيخ الرئيس بدر الدين محمد ابن رئيس الأطباء أبي إسحق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري من سلالة سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه، وهو السويدي أي من سويداء حوران، سمع الحديث وبرع في الطبّ، وتوفي في شهر ربيع الأول ببستانه بقرب الشبليّة، ودفن بتربة له في قبّة عن سبعين سنة. ذكره النعيمي في كتاب الدارس في تاريخ المدارس، بين الأطباء الذين درّسوا في المدرسة الدخواريّة.

• وأمين الدين **سليمان بن داود الدمشقي (٦٦٥هـ ـ ٧٣٢هـ/ ١٣٣١)** مات في دمشق بالقبيبات، فيها درّس بالدخواريّة، كان رئيس الأطباء بدمشق ومدرّسهم مدّة، ثم عزل بجمال الدين محمد بن الشهاب أحمد الكحّال مدّة قبل موته لأمر تعصب عليه فيه نائب السلطنة. وكان شيخه بالطبّ عماد الدين الدنيسري.

● وجمال الدين **محمد بن شهاب الدين أحمد الكحّال** المتوفى سنة **٧١٧هـ/١٣١٧م**: درّس بالدخوارية، ورتّب في رئاسة الطب عوضاً عن أمين الدين سليمان الطبيب، بمرسوم نائب السلطنة دنكز واختياره لذلك.

يقول النعيمي في «الدارس في تاريخ المدارس»: «(تنبيه) الدخوارية هذه بالراء [المهملة] قبل الياء المثناة [من] تحت، ووجدت قائمة فيها وقف المدارس، وفيها أيضاً في سنة عشرين وثمانمائة قال: الدخواريّة عمّر بعضها الناظر برسم رئيس الأطباء العمالة له، كذا وجد».

(يقول كمال شحادة: من المؤسف أننا حتى الآن لا نعرف إلى متى استمرت هذه المدرسة في مهماتها التعليمية قبل توقفها الكامل عن العمل).

وذكرها النويري في (نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢٩ ص١٠٩) بين وفيّات سنة ٦٢٨ هـ فقال: وفيها توفي المهذّب الدخوار، الطبيب: رئيس الأطبّاء بدمشق. وكان طبيباً حاذقاً، وما كان يرى أنّ في الدنيا مثله. وكان يقرأ عليه الطب. وكانت له دار بدمشق وبستان، فوقف الدار مدرسةً يُقرأ فيها الطبّ، ووقف بستانه عليها. والمدرسة باقيةٌ بدمشق، تعرف بالدخواريّة، رأيتها في سنة ثلاث وسبعمائة.

ولكن لم يُعرف إلى متى استمرت هذه المدرسة، سوى أنّها امتدّت على الأقل بين القرنين السابع والثامن الهجريين، وذلك من تواريخ الأطبّاء الذين درّسوا فيها. والمدرسة كما قيل قد درست معالمها وهي غير مذكورة بين الأماكن الأثرية القائمة حالياً في منطقتها في دمشق.

مصادر ومراجع ترجمة المؤلِّف

• **النديم**، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب: **الفهرست**، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠٠٢م. ص٣٥٦.

• **التونجي**، محمد: **المعجم الذهبي**، المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ١٩٩٣م.

• **حاجي خليفة**، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ٦مجلدات، دار الفكر، بيروت ـ لبنان ١٩٩٢م. المجلدان الثالث والرابع هما (إيضاح المكنون للبغدادي)، والمجلدان الخامس والسادس هما (هدية العارفين أسماء المؤلفين للبغدادي). ج١ص٣٩٤، ٥٤٦. ج٣ص٨٠. ج٥ص٤٥٣.

• **حميدان**، زهير: **أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية**، وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٦، ج٣ص٣٣، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٦٠. ج٤ ص٢٥ ـ ٢٦، ٢٨،، ١٦٥، ١٩٤، ١٩٥، ٢٤٦، ٤٢٤، ٥٠٤.

• **الدخوار**، عبد الرحيم بن علي: مخطوط **شرح تقدمة المعرفة لأبقراط**، نسخة بودليان MS. Thurston 10.

• **ابن العماد الحنبلي**، أبو الفلاح عبد الحي (المتوفى سنة ١٠٨٩هـ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ١٩٩٣م. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، (١١ مجلد). ج٧ص٢٢٤، ج٩ص١٧٣. ج١٠ص٢١٠.

• **الخزرجي**، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس

الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة بيروت. ص٥٤، ٤٠٢، ٥٩٠، ٥٩٩، ٦٦٨، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٩٦، ٦٩٨، ٧٢٨ ـ ٧٥١، ٧٣٦، ٧٥٥، ٧٥٨.

• **الرهاوي**، إسحق بن علي (توفي في الربع الأول من القرن الرابع الهجري تقديراً): **أدب الطبيب**، تحقيق مريزن سعيد العسيري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٩٩٢م. ص١٨٤

• **الزركلي**، خير الدين: **الأعلام**، الطبعة الرابعة عشرة ١٩٩٩م، دار العلم للملايين بيروت. ٩ مجلدات. ج٣ص٥٧، ٢٧٠، ٣٤٧. ج٤ص٤٣.

• **شحادة**، محمد كمال: **تاريخ التعليم الطبي في البلاد العربية**، معهد التراث بجامعة حلب ٢٠٠٠م، ص٣٦.

• **الشهابي**، قتيبة: **معجم ألقاب أرباب السلطان** في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٥م، ص٢٤٧.

• **ابن طولون الصالحي**، محمد (٩٥٣هـ): **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، تحقيق محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق سنة ١٩٤٩م. ج١ص٢٣١.

• **عبد القادر محمد**، ماهر: **دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي**، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ١٩٩١م. ص٢٢٥، ٢٨٩، ٢٩٠.

• **العمري**، ابن فضل الله، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى

عقلة ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠١م. ج٩ص٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٠، ٤٠٩، ٣٩٤ـ ٤١٥، ٤١٢، ٤٢٠، ٥٠١.

• عيسى، أحمد: **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٣٩م. ص ٢٩، ٣٢، ٣٩. ٤٢ ـ ٤٨، ٢٠٦، ٢٢١.

• عيسى، أحمد: **معجم الأطباء**، دار الرائد العربي ـ بيروت ١٩٨٢م ص٤٠٥.

كحالة: معجم المؤلفين. ج١ص. ١١٨،٧٣٩ ج٢ص١٣٣، ٤١، . ٤٧٩، ١٩٦

• قطاية، سلمان، ومغاربة، وحيد، **شخصيات الطب العربي في لوحات**، ١٩٨٣م.

• النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧هـ، **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقي دمشق ١٩٥١م، ج٢ ص١٢٧ ـ ١٣٣.

Bailey's, Hamilton, Demonstrations of physical Signs, edited by Allan Clain, Bristol: John wright & Sons LTD. 1967. p8.

Davidson, Sir Stainley & Macleod, John: The principles & practice of medicine, Churchill Livingstone Edinburg & London 1972. p242.

Kiss Franciscus, Sentagothai Johannes: Atlas Anatomiae coporis Humani, Akademiai Kiado,Budapest 1973. Tomus III, p: 125.

Cunningham's Manual Of Practical Anatomy, London Oxford University Press, New York Bombay 1967 Voluml 1 p: 82

ترجمة ابن قاضي بعلبك

(٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م)

مظفّر بن عبد الرحمن (مجد الدين) بن إبراهيم البعلبكي، بدر الدين: طبيب، كان أبوه قاضياً ببعلبك فنسب إليها، نشأ وتعلّم بدمشق، وخدم في بيمارستان الرقّة، ثمّ عاد إلى دمشق، فولّاه الملك الجواد (يونس بن ممدود) رئاسة جميع الأطبّاء والكحّالين والجرّاحين سنة ٦٣٧ هـ، وتجدّد التقليد له برئاسة جميع الأطبّاء سنة ٦٤٥ هـ، وتوفي بدمشق. له كتب منها «مفرّح النفس» اطّلع عليه الغزولي صاحب مطالع البدور ونقل عنه بضعة أدوية مركّبة من المفرّحات والمقوّيات، و«الملَح في الطبّ» ذكر فيه فوائد من كتب جالينوس وغيره، و«مزاج الرقّة» رسالة، و«شرح تذكرة المعرفة لأبقراط» في مكتبة قاسم الرجب ببغداد، لعلّه «شرح تقدمة المعرفة لأبقراط» في مكتبة الرياض[1] برقم ١٩٤٩. (عن الأعلام للزركلي ج٧ ص٢٥٦).

وقد علّق ما أملاه عليه أستاذه الدخوار من شرح لكتاب «تقدمة المعرفة» لأبقراط حفاظاً عليه من الضياع، فعمل بوصيّة أستاذه وكان هذا الكتاب الذي بين أيدينا ـ رحم الله الجميع.



(١) لدينا صورة عنه واستخدمناه في التحقيق. وهو من تعليق ابن قاضي بعلبك مما أملاه عليه الدخوار كما هو معلوم.

ترجمة ابن مسلم الطبيب

(٦٨٧هـ)

كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن مسلم، طبيب، شيخ قديم عارف بالطب بصير بأصوله ومفرداته، درّس الطب بالدخوارية بدمشق، وطال عمره، وكان فيه صلاح وخير لفقراء المرضى، توفي في ربيع الأول عام ٦٨٧هـ بدمشق. (عن معجم الأطباء ص ٤٠٥، تاريخ الإسلام للذهبي: ج٥١ ص٣١٦، من سنة ٦٨١ ـ ٦٩٠، وفي الوافي بالوفيات للصفدي ج٣ ص٢٠٣).

وكان ابن قاضي بعلبك قد أودع الطبيب ابن مسلم هذا الشرح ـ شرح تقدمة المعرفة ـ الذي أملاه عليه أستاذه الدخوار، ليطلعه عليه ويخصّه به ويمنحه له.

ابن المطران

(٥٨٧هـ)

أسعد بن إلياس بن جرجس المطران (موفّق الدين): طبيب السلطان صلاح الدين الأيّوبي، ولد بدمشق ونشأ بها، له من الكتب؛ بستان الأطبّاء وروضة الألبّاء، وغيره. (معجم المؤلفين ١/ ٣٤٩).

وكان الدخوار ملازماً له، وتتلمذ عليه، وكان كثيراً ما يتشاور معه على مسائل في هذا الكتاب «شرح تقدمة المعرفة لأبقراط».

ابن النقّاش

علي بن عيسى بن هبة الله، مهذّب الدين ابن النقّاش (٥٧٤ هـ/ ١١٧٨ م)، مولده ومنشؤه ببغداد، وتوفّي بدمشق. (الأعلام ٤/٣٢٨، وعيون الأنباء). كان ابن المطران حين يسأله الدخوار عن مسألة في شرح تقدمة المعرفة يسأل أستاذه ابن النقّاش عنها ويقرأها عليه.

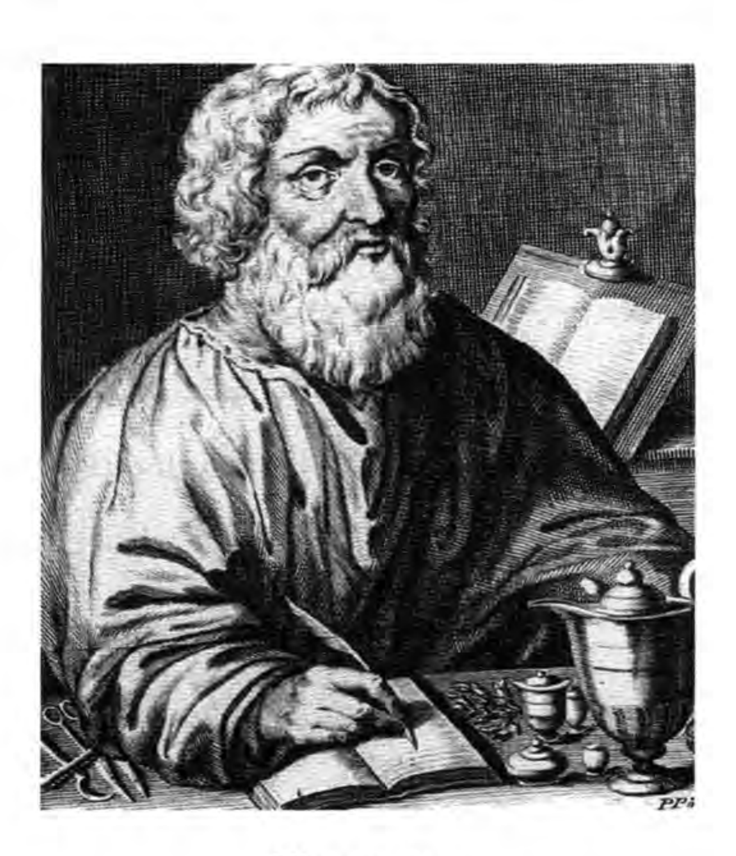
ابن التلميذ

هبة الله بن صاعد، المعروف بابن التلميذ (٤٦٦ ـ ٥٦٠ هـ/ ١٠٧٤ ـ ١١٦٥ م) توفّي ببغداد. (معجم المؤلفين ٤/ ٥٦). كان ابن المطران حين يسأله الدخوار عن مسألة في شرح تقدمة المعرفة يسأل أستاذه ابن النقّاش عنها، وابن النقّاش يسأل شيخه ابن التلميذ ويقرأها عليه.

أبقراط

لابد من ذكر ترجمة مختصرة لواضع الكتاب الأساسي «تقدمة المعرفة»، وقد وجدت ترجمة له مع جالينوس ـ وهو أوّل من فسّر هذا الكتاب ـ ما ورد في الصفحة الأخيرة من مخطوط تقدمة المعرفة نسخة الإسكندريّة برقم ٣٧٢٢،

ص٣٤: اعلم أن مولد أبقراط كان قبل المسيح بأربعمائة وخمس وخمسين سنة، في جزيرة تدعى قوس، من أب يسمّى أراقليدوس، من نسل أسقلابيوس، ومن أمّ تسمّى فراقسيتا من نسل هيركولوس. وأمّا جالينوس فقد كان مولده بعد المسيح بمائة وأربعين سنة، من نيقون معلّم الهندسة في مدينة برغاموس من أعمال آسيا، والله أعلم بالصواب.



Hippocrates

أهمّيّة الكتاب التاريخيّة والعلميّة

✍ **إنّ الأهمّيّة التاريخيّة** للكتاب تكمن في المراحل الطويلة التي بدأت منذ عهد أبقراط، حيث قام بوضع التصنيف الأساسي للكتاب (تقدمة المعرفة)، ثم قيام حنين ابن إسحق بترجمته من اليونانيّة إلى العربيّة. وكان جالينوس أوّل من فسّر هذا النصّ وترجمه عيسى بن يحيى (كما ورد في الفهرست للنديم ص ٣٤٧، ٣٥٢). ثمّ شرحه بعض الأطباء العرب في عهد الحضارة العربيّة الإسلامية؛ أمثال عبد اللطيف البغدادي، وابن النفيس، وابن أبي صادق، وابن البذوخ.

أمّا شرح الدَّخوار فكان ذا أهمّيّة بالغة؛ فقد بدأ عبد الرحيم بن علي الدخوار بالإملاء على تلميذه ابن قاضي بعلبك ما يجول في خاطره وما تمخّض البحث عنه في وضع شرح مميّز لكتاب (تقدمة المعرفة لأبقراط)، وأثبت فيه ما كان يدور بينه وبين أساتذته من مناقشات حول تحقيق بعض المسائل فيه، مثل ابن المطران وغيره. فما كان لابن قاضي بعلبك إلا الالتزام بوصيّة أستاذه الدخوار بتعليق كل ما أملاه عليه أستاذه من شرح لهذا الكتاب، ففعل ذلك وأنجز التعليق الذي بين أيدينا. لم يكتفِ ابن قاضي بعلبك بذلك، بل عرض الكتاب على ابن مسلم شيخ الأطبّاء ليطّلع عليه وينال رضاه، ومن ثَمّ يجعله في متناول مستحقّيه.

✍ **أمّا الأهمّيّة العلميّة** التي تكمن في هذا الكتاب خاصّة، والتي يتميّز فيها عن غيره من الشروحات هو ما وجدناه بين سطور صفحات المخطوط من معلومات

نادرة، لا بل لعلّها ترد هنا دون غيرها من الكتب الطبّيّة، ناهيك عن قيمته في الشرح المفصّل لما ذكره أبقراط عن علم تقدمة المعرفة، ولو أنّ بعض هذه المعلومات تطوّرت وتغيّرت في الطب الحديث إلّا أنّ قيمتها التاريخيّة والعلميّة في وقتها تجعلني أقف عندها مليّاً، وهأنذا أوردها لنتعرف على بعض ما جاء في الكتاب ونقف بإجلال أمام محقّقيها من الأطبّاء العرب والمسلمين.

✍ أبدأ بالأهمّية العامّة لتقدمة المعرفة وهي الإنذار الجيّد، والإنذار السيّئ، وأنّها ليست كهانة كما ادّعى بعض الأطبّاء في زمن أبقراط، لا بل هي في الطبّ الحديث أحد مبادئ الطبّ وهو الإنذار Prognosis في كل حالة مرضيّة، وهل الإنذار جيّد أم سيّئ، لذلك يشرح الدخوار ردّ أبقراط على ذلك بأن جعله في زمنه رأياً خاصاً به، فيقول في الصفحة (٢/ ظ/ ك): إنّما استفتح قولَه بأنْ قال: «إنّي أرى»، ولم يقل: «إنّ أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر والإنذار»؛ وذلك لأنّ جماعةً من الأطبّاء في زمانه عاندوه وقالوا: «إنّ الطبّ عبارة عن حفظ الصحّة، وردِّها إذا زالت»، وأمّا أنّ الطبيب يتقدّم ويخبر بما كان، وبما هو حاضر، وبما هو آت، فهذا من فعل المتكهّنين والمنجمّين وغيرهم، ولم يوافقوه على هذا.

✍ هذا بشكل عام، أمّا النوادر التي ذكرها الدَّخوار وتجدر الإشارة إليها، فمنها ما ذكره في الصفحة (٣٩/ ظ/ ك) أنّ القيء بالإرادة خصّه الله بالإنسان فقط دون غيره من الحيوان، فقال: اعلم أنّ القيء بالإرادة جعله الله مخصوصاً بالإنسان دون غيره من الحيوان، عُرف ذلك بالاستقراء والتجربة، ذكر ذلك **أرسطو**، فاعلمْه.

✍ ومنها تشبيه الاختلاج بالزلزال، فيقول في الصفحة (٤٥/ ظ/ك): الاختلاج في الأعضاء أشبه شيئاً بالزلزلة في الأرض، فإنّها توجب فيها حركة مضطربة من الريح التي فيها لطلبها الخروج إلى مركزها، والأرض ليس لها في نفسها حركة، بل الحركة الموجودة فيها في تلك الحال للرياح، كذلك الأمر في الاختلاج.

✍ ومنها معرفة مكان وجود التقيّح في نواحي الصدر في عصر لم تكن فيه تقنيات التشخيص الشعاعيّ موجودة بعد، فيقول في الصفحة (٤٩/ و/ك): ذكر بعض الأطبّاء لذلك علامة، وهي أن تؤخذ خرقة رقيقة، فتبلّ بماء فيه طين حرّ ناعم معجوناً عجناً رقيقاً، وتبسط على جميع الصدر؛ فالموضع الذي يسرع فيه الجفاف منها ففيه المرض، وعلى ذلك الموضع تجعل الضمادات والمروخات وغيرها ممّا تدعو الحاجة إليه.

✍ فسّر موضوع ارتفاع حرارة المريض في الليل أكثر من النهار، وعند تناول الغذاء، خاصّة عند أصحاب حمّى الدق Hectic fever وذلك بقوله في الصفحة (٥٤/ و/ك): إنّ السبب في ذلك ورود برد الليل على الظاهر بإحاطة الهواء لجملة البدن وتردّده أيضاً على الباطن باستنشاق الهواء، فيوجب بروز الحرارة من الأعضاء الأصليّة التي كمنت فيها ولحجت إلى ظاهرها من كلّ جزء، وكما يفعل وقع الماء البارد على الكلس غير المطفأ، وكذلك يفعل في هذه الحمّى الغذاء عندما يرد إلى البدن دون سائر الحمّيات، وهذا من أجْوَد الفروق، وبه يقع الاستدلال عليها، وهو مجمع عليه من سائر الحكماء والأطبّاء، وهو أنّ أصحاب حمّى الدقّ تزداد حرارتهم عند التغذية، والعلّة فيه ما ذكرناه.

✍ ذكر حالة احمرار الوجنتين في ذات الرئة، وهذه العلامة تكون من العلامات الواسمة لتشخيص هذه الحالة، والمعروف أن سببها في الطب الحديث ارتفاع الضغط في الشرايين الرئوية، ويرافقها ارتفاع الضغط في الوريد الوداجي فتظهر الحمرة في الوجنتين كون الجلد فيها قريباً جدّاً من العظم، وحين ازدياد الدم فيها تظهر الحمرة دون بقيّة المناطق التي يكون تحتها متسع من النسج العضلية والشحمية وغيرها، ويفسّر ذلك الدخوار برأي مقنع في زمنه، وذلك بقوله في الصفحة (٥٥/ ظ/ ك): ما تخلّص لنا في ذلك هو أنّ الأبخرة الحارّة إذا صعدت إلى الوجنتين تثبت فيهما، وذلك لأنّ لحمها على ما ذكره المشرّحون متخلخلٌ كالإسفنج، فهو يقبل من الأبخرة ـ بسبب ذلك ـ مقداراً كثيراً، والجلد الذي على الوجنتين والوجه صلب متكاثف ـ كما ذكروا، واستدلّوا عليه بأنّه مكشوف، لا يتأذّى من البرد ولا من الحرّ، دون سائر جلد الأعضاء الأُخَر، ولم يحتجْ إلى وقاية لِما ذكرنا، فإذا ثبتت الأبخرة الحارّة المرتقية من الأعضاء المذكورة واجتمعت فيها كما ذكرنا؛ أوجبت للدم الذي في الوجنتين ترقّياً وبسطاً في جميع أجزاء الخدّين، وأعانت على أن ينجذب إليه من الدم بسبب تسخينها لهذا الموضع مقداراً كثيراً، فيظهر فيها ـ أعني الوجنتين ـ حمرة أكثر ممّا كان عليه في حال الصحّة، ويدوم ذلك لدوام بقاء سببه.

ثمّ إنّ هذا مخصوص بذات الرئة على الأكثر لقربها منها ومشابهتها (أو مسامتتها) لها. فهذا أحسن ما علّل به حمرة الوجنتين في ذات الرئة، وأصحاب التقيّح، وأصحاب السلّ.

✍ تأثير المدّ والجزر على الإنسان هل يحصل كما يحصل لمياه البحار أم لا؟ يناقش المؤلّف هذا الرأي بإسهاب، ويبطل كل الآراء التي تقول بأنّ نور القمر يؤثّر في الإنسان كما يؤثر في حادثة المدّ والجزر، وذلك في الصفحة (٦٩/ و/ك) بقوله: هذا الذي ذكرتموه وادّعيتموه إن كان الكلّ يوجب البرء فبطل ما ادّعيتموه وذكرتموه من أنّ الفاعل لذلك هو زيادة نور القمر ونقصانه، وإن كان الموجب زيادة نور القمر ونقصانه فبطل ما ادعيتموه من أنّ التشكّل موجب لذلك، ولابد لكم في ذلك من جواب.

✍ لعلّ الدخوار هو أوّل من ذكر تسمية غشاء الطبل وجوف الأذن الوسطى فشبهه بالطبل صراحة، وهي التسمية المعتمدة في الطب الحديث لجوف الطبل (Tympanic cavity) وقد أوضحت ما ورد في هذا الموضوع مسهباً في محلّه، قبل وبعد عصر المؤلِّف، وهو يقول عن ذلك في الصفحة (٧٣/ ظ/ك): ولا يُفهم من قول أبقراط: «الأذن»؛ هذا العضو بأسره؛ أعني غضاريفه وتعاريجه وجلده، بل يُفهم عنه الغشاء الرقيق المبسوط على المجرى الواصل إلى الدماغ الذي يشبه **الطبل**، وهو الآلة الأولى للسمع، فإنّ نكاية الألم فيه أشدّ، وإلى هذا أشار أبقراط.

✍ ذكر من أسماء الأمراض النادرة (الورشكين) في الصفحة (٨٢/ ظ/ك)؛ وتفسيره كسر الصدر، أي أنّ هذه العلة لخطورتها يجب عليها كسر الصدر، وهي علّة تحدث للصبيان والشبّان، لا يكاد ينهض منها إنسان.

✍ ذكر الحركات المعتاصة، وأنّ العطاس أحدها، وفسّرت بأنها مأخوذة من العصيان؛ أي عصت، وتجدر الإشارة إلى أن هناك مؤلّفات في هذا الصدد منها لجالينوس، ولعبد اللطيف البغدادي، واسمها كتاب في الحركة المعتاصة، وقد أشار إلى ذلك المؤلف في الصفحة (٤٣/ ظ/ك) وما بعد، فيقول: **واعلم** أنّ هنا مسألة تتعلّق بهذا البحث؛ وهي ذكر الحركات المعتاصة، وهذه اللفظة مشتقّة من العصيان أي عصت أن تُنسب إلى قوّة من قوى البدن بسهولة... والحركات المعتاصة مختلف فيها... وذكر جالينوس أنّ الحركات المعتاصة ستّة عشر مرضاً.

نسبة الكتاب إلى المؤلِّف

قد يلتبس الأمر على البعض في نسب تأليف كتاب «شرح تقدمة المعرفة لأبقراط» هذا هل هو للدخوار أم لابن قاضي بعلبك، ولكن الصحيح هو من تأليف الدخوار وأملاه على تلميذه ابن قاضي بعلبك وطلب منه تدوينه حفاظاً عليه من الضياع، وقد فعل ذلك ابن قاضي بعلبك، وأثبت ذلك في فاتحة الكتاب، وورد في صفحة غلاف النسخ بأن المؤلِّف هو الدخوار، والتعليق لابن قاضي بعلبك، فكانت نسبة الكتاب إلى الدخوار في كتب التراجم بناء على ما جاء في صفحة الغلاف (كنسخة بودليان مثلاً) وعلى ما ورد في فاتحة الكتاب.

وهذا ما ورد في صفحة غلاف نسخة بودليان: كتاب فيه شرح تقدمة المعرفة لمهذّب الدين عبد الرحيم (بالأصل عبد الرحمن) بن علي الدَّخوار عفا الله عنه، وكتبه بدر الدين مظفّر بن قاضي بعلبك لكمال الدين محمّد بن عبد الرحيم (بالأصل عبد الرحمن) بن مسلم الطبيب الدمشقي رحمهما الله...

وقد جاء في فهرس مخطوطات بودليان بأن author هو الدخوار، وcompiler ابن قاضي بعلبك.

وهذا نص ما جاء في فاتحة المخطوط: «يقول العبد الفقير... مظفر بن قاضي بعلبك... إنني لَمّا قرأت على شيخي... مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ـ رحمه الله تعالى ـ كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط، اجتهد عليّ غاية الاجتهاد... أن يعرّفني جميع

ما علمه وحقّقه... وشرح لي ذلك... ثم إنّه ـ رحمه الله ـ ألزمني بعد ذكره لذلك وعلمه بفهمي له أن أعلّقه خوفاً من النسيان...».

وليس ذلك غريباً على علماء العرب والمسلمين، ففي هذا الكتاب تتجلّى عظمتهم من حيث الهدف في تحقيق التعاون في العلم ونشره، وليس التفاخر بالأنانية والاحتكار، فهو ما قاله الدخوار وطلب من ابن قاضي بعلبك تدوينه، لأنّ همّهم كان فائدة البشريّة جمعاء، وليس جعل العلم حكراً على أحد.

نخلص من ذلك إلى أن هذا الكتاب «**شرح تقدمة المعرفة لأبقراط**» هو **لمهذّب الدين عبد الرحيم بن علي الدَّخوار**، وكتبه بدر الدين مظفّر بن قاضي بعلبك ـ رحمهما الله.

النسـخ الخطّيّـة للكتـــاب

✍ لقد تعرّفنا على النسخ الخطّيّة التالية للكتاب، وهي:

• نسخة مكتبة الإسكندرية ـ البلدية برقم (٣٤٢٠/ج ـ ف/ ٣٣٠) مصورة بمعهد التراث بحلب برقم (٩٧٥). ولدينا صورة عنها، وقد استخدمناها في التحقيق.

• نسخة مكتبة جامعة الرياض، برقم ١٩٤٩، لدينا صورة عنها، واستخدمناها في التحقيق.

• نسخة مكتبة بودليان بأكسفورد برقم (١٩١/ ٢) الرقم الجديد MS. Thurston 10, MS.Bodl.Or.231) وردنا صورة بعض ورقات من بدايتها، وقد استخدمناها في التحقيق.

• نسخة ثانية في مكتبة بودليان بأكسفورد برقم (٢/ ٥٣٣/ ١).

• نسخة إستنبول، حكيم أوغلي برقم (٥٧٤).

النسخ المستخدمة في التحقيق

١ ـ نسخة مكتبة الإسكندرية برقم **٣٤٢٠** (ورقم آخر على الجلد **٢٣٣٩/ ٢٦**طب): عدد أوراقها (٨٥) ورقة تبدأ بالورقة (١/ ظ)، وتنتهي بالورقة التي تحمل الرقم (٧٥/ و) مع تكرر ترقيم عشر ورقات بعد الأربعين، لذلك حصل فيها اضطراب في الترقيم، سيذكر في منهج التحقيق أيضاً. مسطرتها (١٥) سطراً، عدد الكلمات في كل سطر (١١) كلمة وسطيّاً، لون المداد أسود، رؤوس الفقر بالأحمر، نوع الخط نسخي جيّد، نسخة كاملة، يأتي فيها بقول أبقراط: (قال أبقراط) دون اختصار، أي يرد القول كاملاً كما جاء في كتاب (تقدمة المعرفة) لأبقراط، ثم عند الانتهاء يقول: (قال مهذّب) الدين ـ وهو المؤلِّف عبد الرحيم بن علي الدخوار. نوع الورق أصفر، الجلد بلون أسود. لا يوجد اسم الناسخ، ولا يوجد تاريخ النسخ، يقدّر في القرن الحادي عشر الهجري.

● أولها: بسم الله الحي الأبدي الأزلي وبه أستعين، يقول العبد الفقير إلى رحمة ربّه الكريم، الشيخ الإمام العالم الشامل، الصدر الكبير الكامل، الرئيس بدر الدين مظفّر بن قاضي بعلبك الطبيب ـ بلّغه الله آماله في الدنيا والآخرة: إنني لمّا قرأت على شيخي الإمام العالم مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي الطبيب ـ رحمه الله ـ كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط...

● آخرها: ... ويديم مطالعة هذا الشرح، فإنني جمعته من أقاويل جماعة من المتقدّمين، ومن الله أسأل المعونة والخير في الدنيا والآخرة، لي ولمن استعدّ به

آمين، وكان قصده إيصال الراحة إلى المرضى بكلّ طريق، فبذلك يحصل له حسن الثناء من الناس، والمجازاة من الله تعالى، والحمد لله ربّ العالمين.

✍ رمزت إلى هذه النسخة في التحقيق بالحرف (ك).

٢ ـ نسخة جامعة الملك سعود (الرياض) برقم **١٩٤٩** رقم الجلد **٦٦٢**، عدد أوراقها (٤٦) ورقة، تبدأ بالورقة (٠/ ظ)، وتنتهي بالورقة (٤٦/ ظ) وهي مرقمة (٤٧/ ق)، قياس الورق 20.5 X 15.5 مسطرتها ٢١ سطراً، عدد الكلمات في كل سطر (١١) كلمة وسطياً. الخطّ نسخي معتاد، لون المداد أسود، وكذلك رؤوس الفقر. يبدأ بقول أبقراط بأول فقرة من القول الذي جاء في كتاب (تقدمة المعرفة) دون إيراد القول كاملاً كما في النسخة السابقة. وحين يورد قول الشارح يقول: (قال المفسِّر). لون الجلد أسود وكتب عليه: شرح تذكرة المعرفة، بدر الدين مظفّر الطبيب. الناسخ مصطفى بن رمضان، تاريخ النسخ شعبان ١٠٩٠هـ.

● أوّلها: قال الشيخ الإمام العالم الكامل الرئيس بدر الدين مظفّر بن قاضي بعلبك الطبيب ـ رحمه الله ـ: إنّي لمّا قرأت على الشيخ الإمام العالم المحقّق مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي الطبيب ـ رحمه الله ـ تقدمة المعرفة لأبقراط...

● آخرها: ... يديم مطالعة شروح هذا الكتاب ويتأمّله جيّداً، لينتفع به وينتصح، وأسأل الله المعونة لمن كان قصده إيصال الراحة إلى المرضى بكل طريق. تمّ والله الموفّق والمعين، وصلواته على خاتم النبيّين وسيّد المرسلين، وأهل بيته الطاهرين، والله أعلم بالصواب، حرّره الفقير مصطفى بن رمضان في شهر شعبان المعظّم سنة ١٠٩٠ هـ.

✍ رمزت إلى هذه النسخة في التحقيق بالحرف (س).

٣ ـ نسخة مكتبة بودليان بأكسفورد برقم (MS. Thurston 10) عدد أوراقها (٤٦) ورقة، ضمن مجموع (١١٩/ و ـ ١٦٦/ ظ)، قياس الورق ٢٥,٢ × ١٨,٥، والمساحة المكتوبة ١٦,٠ × ١١,٦، مسطرتها ١٨ـ١٧ سطراً، عدد الكلمات في كل سطر (١٥) كلمة وسطيّاً، نوع الخط نسخي، لون المداد بنّي غامق، ورؤوس الفقر بالحمرة. النسخة غير مؤرّخة، ولا يوجد اسم الناسخ، يوجد تملّك للمجموع سنة (٧٦١ هـ/ ١٣٥٩م)، نوع الخط والمداد والورق يقدّر في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (تبعاً لما جاء في فهرس مخطوطات مكتبة بودليان الإلكتروني).

http://www.hrist.org.uk/prole/manuscript/c2454c-6f07-4c6b-bd9d-7441f97e0064

وهذه النسخة كانت متوافقة مع نسخة الإسكندرية (ك)، وذلك من حيث توافق الكلمات والعبارات، والنواقص والزوائد، والمقدّمة، وإيراد قول أبقراط كما ورد في أصل كتاب (تقدمة المعرفة)، وليس الفقرة الأولى منه ـ كما هو الحال في نسخة (س). وكان في هذه النسخة (د) يضع في الحاشية عند قول أبقراط عبارة (تعليم أوّل). وعند الشرح (قال مهذّب الدين)، بينما في نسخة (س) يكتب (قال المفسّر). وفي هذه النسخة تصحيف كثير، واعتمد الناسخ أسلوب اختصار بعض الكلمات؛ فمثلاً (حينئذ) يختصرها (حـ ˜)، أيضاً (أيظه)، تعالى (تعه).

• صفحة الغلاف: كتاب فيه شرح تقدمة المعرفة لمهذّب الدين عبد الرحيم (بالأصل عبد الرحمن) بن علي بن الدَّخْوَار عفا الله عنه، وكتبه بدر الدين مظفّر بن قاضي بعلبك لكمال الدين محمّد بن عبد الرحيم (بالأصل عبد الرحمن) بن مسلم الطبيب الدمشقي رحمهما الله، والحمد لله وحده.

في نوبة العبد الفقير الراجي عفو الله تعالى عبد الله بن الصاحب نور الدين بن الصاحب عيسى الجزري، وذلك في شهرور (شهور؟)...

انتقل بالابتياع الشرعي ودخل خزانة كتب فقير الأساقفة بمبلغ ثلاث أشرفيّة خادم الثلاث كراسي؛ آمد وماردين والصور، وذلك بحدود سنة ١٨٩٨ يونانيّة.

• **أوّلها**: بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت، وإليه أُنيب، يقول العبد الفقير إلى رحمة ربّه الكريم، الشيخ الإمام العالم العامل، الصدر الكبير الكامل، الرئيس بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك الطبيب ـ بلَّغه الله آماله في الدنيا والآخرة: إنني لما قرأت على الشيخ الإمام العالم مهذّب الدين عبد الرحيم (بالأصل عبد الرحمن) بن علي الطبيب ـ رحمه الله تعالى ـ كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط...

• **آخرها**: ... وكان قصده إيصال الراحة للمرضى بكل طريق، فبذلك يحصل له حسن الثناء من الناس، والمجازاة من الله تعالى. تم الشرح وكمل بعون الله تعالى

وحسن توفيقه، نفع الله به كاتبه ومن طالعه، آمين رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله. (حسب ما جاء في فهرس مخطوطات مكتبة بودليان السابق الذكر).

✍ ووردنا بضع صفحات من بداية هذا المخطوط استخدمتها في التحقيق، ورمزت إلى هذه النسخة في التحقيق بالحرف (د).

منهـــج التحقيـــق

إثبات النصّ:

✍ اعتمدت نسخة الإسكندريّة (ك) كأساس لإثبات النصّ، وقابلت عليها نسخة جامعة الملك سعود (س)، وما وردني من نسخة مكتبة بودليان بأكسفورد (د)، وخلصت بذلك إلى النصّ المحقّق لغويّاً، ورمّمت النواقص من النسخ مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية. وأشرت إلى بداية كلّ صفحة من النسخ بحرف، فمثلاً [١٧/ و/ ك] يدلّ على بداية وجه الورقة (١٧) من نسخة الإسكندرية، [٢٣/ ظ/ س] تعني بداية ظهر الورقة (٢٣) من نسخة سعود، [٢/ و/ د] تعني بداية وجه الورقة (٢) من نسخة بودليان، وهكذا.

تنويه: وبسبب الخطأ في أصل ترقيم ورقات مخطوط نسخة (ك) بحيث إنه بعد الرقم (٤٩) يعود الترقيم إلى (٤٠) بدلاً من (٥٠)، فلذلك عند الرغبة في الرجوع إلى أصل المخطوط يجب إنقاص (١٠) من كل رقم ما بعد (٤٩) ليطابق الرقم بالأصل. وأذكّر أنّ عدد أوراق المخطوط (٨٥) ورقة، ولكن بسبب الخطأ فالترقيم (٧٥) ورقة ـ كما سبق الإشارة في النسخ المستخدمة في التحقيق.

شرح ما يلزم:

✍ حين ورود كلمة في متن المخطوط تحتاج إلى شرح عملت إلى ذلك بوضع رقم يشير في الحاشية إلى ذلك، وكذلك حين لزوم تعليق أو إيضاح لفكرة أو وضع صورة.

تقسيم النص إلى فصول:

فقد قمت بوضع النصوص في فصول مرقمة حسب ما وردت بأصل كتاب (تقدمة المعرفة) حين يرد قول أبقراط: (قال أبقراط)، وذلك تسهيلاً للقارئ، وفصل الأقوال عن بعض.

الحواشي:

وضعت فيها الفروق اللغوية بين النسخ، والنقص والزيادة، وأشرت إلى ذلك برقم في النصّ. وكذلك شرح ما يلزم، والتعليق، والإحالة إلى المصادر والمراجع. كما أردفت الحواشي ببعض الصور الإيضاحية حين يلزم ذلك.

في نهاية الكتاب وضعت كشّافاً عامّاً يحتوي فهارس لأسماء الأعلام والكتب والأماكن والبلدان والمفردات العلميّة وغيرها. ثم قائمة بأهم مصادر ومراجع التحقيق.

ووضعت فهرساً لمحتويات الكتاب يتضمن أرقام الفصول وعنواناً لكلّ فصل من إضافتنا.

وأسأل الله أن يكون ذلك العمل في ميزان الحسنات عند انقطاع الأجل،
وأن لا ينسانا القارئ من دعوة صالحة،
والله وليّ التوفيق أوّلاً وآخراً

واصل

قسط

كتاب فيه شرح تقدمة المعرفة

لمهذب الدين عبد الرحمن بن علي بن الدخوار

عفا الله عنه وكتبه مظفر الدين بن قاضي بعلبك

لكمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن مسلم الطبيب

الدمشقي الصهاجي

الحمد لله وحده

في نوبة العبد الفقير الراجي عفو الله تعالى

عبد الله بن الصاحب فخر الدين

بن [illegible] الجزري

وذلك في شهور سنة ٦٤٢

انتقل بالابتياع الشرعي ودخل خزانة كتب فقير الله ... بمبلغ ثلث الشرفية

خادم النلث كراسي أحمد ومارديني والصور وذلك بحدود سنة ١٨٤٨ يونانية

صفحة غلاف نسخة (د)

(متن المخطوط)

(صفحة الغلاف)[1]

[١١٩/و/د]

كتاب فيه شرح تقدمة المعرفة

لمهذّب الدين عبد الرحيم[2] بن علي بن الدَّخْوَار عفا الله عنه

وكتبه بدر الدين مظفّر بن قاضي بعلبك

لكمال الدين محمّد بن عبد الرحيم[3] بن مسلم الطبيب الدمشقي رحمهما الله

والحمد لله وحده

في نوبة العبد الفقير الراجي عفو الله تعالى

عبد الله بن الصاحب نور الدين بن الصاحب عيسى الجزري

وذلك في شهرور (.......)[4]

انتقل بالابتياع الشرعي ودخل خزانة كتب فقير الأساقفة بمبلغ ثلاث أشرفيّة خادم الثلاثة كراسي؛ آمد وماردين والصور، وذلك بحدود سنة ١٨٩٨ يونانيّة.

---

(١) ما بين قوسين من وضع المحقق. وصفحة الغلاف هذه تفرّدت بها نسخة بودليان (د) دون النسختين الباقيتين؛ سعود (س)، والإسكندريّة (ك).

(٢) بالأصل عبد الرحمن، والصحيح ما أثبتناه.

(٣) بالأصل عبد الرحمن، والصحيح ما أثبتناه. ينظر ترجمته.

(٤) شهرور: كذا بالأصل، ولعلّ ما بعدها كلمة: بلد. ثم كلمات غير مقروءة.

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الكريم الشيخ الامام العالم العامل الصدر الكبير الكامل الرئيس بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك الطبيب بلغه الله آماله في الدنيا والآخرة اني لما قرات على الشيخ الامام العالم مهذب الدين عبد الرحمن ابن علي الطبيب رحمه الله تعالى كتاب تقدمة المعرفة لبقراط اجتهد على غاية الاجتهاد من فرط اجتهادي ومحبتي لهذا العلم ان اعرف جميع ما عمله وحققه او اكثر ما اطلع عليه من كلام جالينوس وغيره وشرح لي ذلك فصلا فصلا واورد جميع ما عرفه من الاقاويل التي وردت على معاني كل فصل منها وبينه بيانا شافيا مقنعا ثم انه رحمه الله الزمني بعد ذكره لذلك وعليه بفهمي له ان اعلقه خوفا من النسيان وشفقته منه على المعاني التي تعب على تحصيلها بنفسه ومما اكتسبه من شيخه ابن المطران ولتبقى محفوظة ينتفع بها على ممر الزمان وعاهدني ان لا اذيع هذا الشرح ولا ادفعه لمن لا يعرف قدره فلما اعان الله ورزقني الاقرا بالمدرسة التي انشاها لقراة الطب بدمشق المحروسة ونفع بها من الطلبة المستحقين لهذا الشرح والانتفاع به ووجدت عنده من الاجتهاد والذكا ما يوجب لي ان احضه وامنحه بهذا الشرح العظيم الحسن الجليل وهو الحكيم الاجل الامام العالم العامل كمال الدين محمد بن عبد الرحمن ابن مسلم الطبيب وفقه الله تعالى واستخرت الله تعالى واودعته هذا الشرح رجا ان يذكرني بخير عند مطالعته له ان شا الله تعالى وهذا ابتدا الشرح وبالله التوفيق

المقالة الاولى من كتاب تقدمة المعرفة ۞ قال ابقراط

تعليم اول

الورقة ١١٩/ظ بداية نسخة (د)

اني ارى انه من افضل الامور ان يستعمل الطبيب سابق النظر وذلك انه اذا سبق فعلم وتقدم
فانذر المرضى بالشيء الحاضر مما بهم وما مضى وما يستانف وعبر عن ذلك المريض ما قصر
عن صفته كان حريا بان يوثق منه بانه قادر على ان يعلم جميع امور المرضى حتى يدعوا ذلك
المرضى الى الثقة والاستسلام في يدي الطبيب وكان علاجه لهم على افضل الوجوه
اذ كان يتقدم فيعلم من امور العلل الحاضرة ما تؤول اليه وذلك انه ليس يمكن الطبيب
ان يبرى جميع المرضى ولو كان يمكنه ذلك لكان افضل ان يتقدم فيعلم ما سيكون من امورهم
قال مهذب الدين ان ابقراط انما استفتح قوله بان قال اني ارى ولم يقل ان افضل
الامور ان يستعمل الطبيب سابق النظر والانذار وذلك لان جماعة من الاطبا في زمانه
عاندوه وقالوا ان الطب عبارة عن حفظ الصحة وردها اذا زالت ٥ واما ان الطبيب
يتقدم ويخبر بما كان وبما هو حاضر وبما هو آت فهذا من فعل المتكهنين والمنجمين
وغيرهم ولم يوافقوه على هذا فقال اني ارى على ما عندي ان يتقدم الطبيب ويعمل بهذا
القول فانه اذا فعله حصل له ثلث امور، الاول انه كل ما حصل عنده من تجربة
علم الطب، الثاني ان اهل المريض والمرضى يعتقدون في حسن مداواته ومداراته،
الثالث انهم لا يعتقدون فيه التقصير اذا وقع امر مولم كما عرض لبعض الاطبا الجهال
لما راى مريضا قد سكنت حرارة حماه وبرد بدنه وكان ذلك عن ضعف الحرارة الغريزية
اعتقد بجهله انه قد صلح فوصف له الحمام فلما دخل ضعفت قوته بعرق عرقا كبيرا
ففرح الطبيب بجهله واعتقد ان مطلق العرق دال على البرء والسلامة قال لاهل

الورقة ١٢٠/و من نسخة (د)

بداية مخطوط نسخة (ك)

بداية مخطوط نسخة (س)

[٠/ ظ/ س، ١/ ظ/ ك، ١١٩/ ظ/ د]

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت، وإليه أُنيب(١)

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الكريم، الشيخ الإمام العالم العامل(٢)، الصدر الكبير الكامل، الرئيس **بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك** الطبيب ـ بلَّغه الله آماله في الدنيا والآخرة: إنني لما قرأت على شيخي(٣) الإمام العالم **مهذب الدين عبد الرحيم**(٤) **بن علي** الطبيب ـ رحمه الله تعالى ـ كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط، اجتهد عليّ غاية الاجتهاد، من فرط اجتهادي(٥) ومحبتي لهذا العلم، أنْ يعرّفني جميع ما علِمَه وحقّقه(٦)، وأكثرَ ما اطّلع عليه من كلام جالينوس وغيره، وشرح لي ذلك فصلاً فصلاً، وأورد جميع ما عرفه من الأقاويل التي وردت على معاني كلّ فصل منها، وبيّنه بياناً شافياً متقناً.

---

(١) بسم... أنيب: بسم الله الحي الأبدي الأوّلي، وبه أستعين (ك)، وما أثبتناه من (د). ومقدمة نسخة (س) في الحاشية بعد.

(٢) الشامل (ك).

(٣) الشيخ (د).

(٤) في (د): عبد الرحمن.

(٥) اجتهادي و: ساقطة (ك).

(٦) وحفظه (ك).

ثم إنّه ـ رحمه الله ـ أَلْزَمَني بعد ذكره لذلك وعِلْمِه بفهمي له أنْ **أعلّقه** خوفاً من النسيان، وشفقةً منه على المعاني التي تعب على تحصيلها بنفسه، وممّا اكتسبه من شيخه **ابن المطران**[(١)]، ولتبقى محفوظةً يُنتفع بها على مرّ[(٢)] الزمان، وعاهدني أن لا أُذيع هذا الشرح ولا أَدفعه لمن لا يعرف قدره.

فلما أعان الله ورزقني الإقراء بالمدرسة التي أنشأها لقراءة الطب [٢/ و/ ك] بدمشق المحروسة[(٣)]؛ وقع بها من الطلبة المستحقين لهذا الشرح والانتفاع به، ووجدت عنده من الاجتهاد والذكاء ما يوجب لي أن أخصّه وأمنحه هذا الشرح العظيم الحسن الجليل[(٤)]، وهو الحكيم الأجلّ الإمام العالِم العامل[(٥)] **كمال الدين محمّد بن عبد الرحيم**[(٦)] **بن مسلم** الطبيب وفّقه الله تعالى، فاستخرت الله تعالى وأودعته هذا الشرح رجاء أن يذكرني بخير عند مطالعته له إن شاء الله تعالى[(٧)].

---

(١) أسعد بن إلياس بن جرجس المطران (موفق الدين) (٥٨٧ هـ): طبيب السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولد بدمشق ونشأ بها، له من الكتب؛ بستان الأطبّاء وروضة الألبّاء، وغيره. (معجم المؤلفين ١/ ٣٤٩).

(٢) بالأصل ممر (د، ك)، وما أثبتناه من (س).

(٣) هي المدرسة الدخوارية، وقد وردت.

(٤) الجليل: ساقطة (ك).

(٥) الإمام العالم العامل: ساقطة (ك).

(٦) عبد الرحمن (د).

(٧) كذا كانت خطبة الكتاب في (ك، د)، أما في (س) فهي: **بسم الله الرحمن الرحيم** قال الشيخ الإمام العالِم الكامل، الرئيس **بدر الدين مظفّر بن قاضي بعلبك** الطبيب رحمه الله: لمّا قرأت على الشيخ الإمام، العالم المحقِّق، **مهذّب الدين عبد الرحيم بن علي** الطبيب رحمه الله تقدمة المعرفة لأبقراط؛ أوقفني (أوقفني) على دقائقه، وعرّفني جميع ما علمه وتحققه واطّلع عليه من =

وهذا ابتداء الشرح وبالله التوفيق[١].

= كلام جالينوس وغيرِه من علماء هذا الفنّ فيما قالوه على هذا الكتاب، ثمّ إنّه رحمه الله ألْزمني بعد ذلك أن أعلّق جميع ما أوفقني (أوقفني) عليه من معرفة هذا الكتاب، وأجمعه كتاباً مستقلّاً خوفاً عليه من النسيان، ورغبة في نفع طلبة هذا العلم، لينتفعوا أو ينفعوا به على مرّ الزمان، فسارعت إلى ما أشار إليه، وجمعت الكتاب على ما فهمته منه، فجاء بتوفيق الله كتاباً نافعاً مفيداً، سهل المطالعة والفهم. ولمّا فرغت من جمعه، جعلته برسم المطالعة للحكيم الأجلّ **كمال الدين محمّد بن عبد الرحيم بن مسلم** الطبيب رحمه الله، رجاء أن يذكرني بخير عند مطالعته إيّاه.

(١) وهذا ابتداء الشرح وبالله التوفيق: وهذا ابتداء الشرح أول ذلك (ك). وهذا حين ابتداء ما نذكر من شرح هذا الكتاب، وبالله الإعانة (س)، وما أثبتناه من (د).

المقالة الأولى
من كتاب تقدمة المعرفة[١]

(الفصل الأول)[٢]

قال أبقراط[٣]: [١٢٠/ و/ د] «إنّي أرى أنّه من أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابقَ النظر، وذلك أنّه إذا سبق فعلم وتقدّم فأنذر المرضى بالشيء الحاضر ممّا بهم وما مضى وما يُستأنف، وعبّر عن المريض كلّما قصّر[٤] عن صفته؛ كان حريّاً بأن يوثق منه بأنّه قادرٌ على أن يعلم جميع[٥] أمور المرضى، حتّى يدعو ذلك[٦] المرضى إلى الثقة والاستسلام في يديّ الطبيب، وكان علاجه لهم على أفضل الوجوه، إذ كان يتقدّم فيعلم أمور العلل الحاضرة وما تؤول إليه، وذلك أنّه ليس يمكن للطبيب أن يبرئ جميع المرضى، ولو كان يمكنه ذلك لكان أفضل أن يتقدّم فيعلم ما سيكون من أمورهم[٧]».

---

(١) كذا العنوان في (س، د) ولم يرد في (ك). ولعل صحته (المقالة الأولى من كتاب شرح تقدمة المعرفة لمهذب الدين) تبعاً لعنوان المقالة الثانية.

(٢) ما بين قوسين (الفصل الأول)، وكذا ترقيم الفصول التالية من وضع المحقق.

(٣) كتب تحتها في (د): تعليم أول.

(٤) وعبر... قصر: وعبر عن ذلك المريض ما قصّر (د).

(٥) جميع: ساقطة في (ك)، وما أثبتناه من (د).

(٦) الناس (ك). وما أثبتناه من (د).

(٧) وذلك أنه إذا سبق... أمورهم: الفقرات ساقطة في (س). وما أثبتناه من (ك، د).

قال مهذّب الدين(١): إنّ أبقراط [٢/ ظ/ ك] إنّما استفتح قولَه بأنْ قال: «إنّي أرى»، ولم يقل(٢): «إنّ أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر والإنذار»؛ وذلك لأنّ جماعةً من الأطبّاء في زمانه عاندوه وقالوا: «إنّ الطبّ عبارة عن حفظ الصحّة، وردِّها إذا زالت»، وأمّا أنّ الطبيب يتقدّم ويخبر بما كان، وبما هو حاضر، وبما هو آت، فهذا من فعل المتكهّنين والمنجمّين وغيرهم، ولم يوافقوه على هذا.(٣)

فقال: «إنّي أرى على ما عندي أن يتقدّم الطبيب ويعمل بهذا القول، فإنّه إذا فعله حصل له [١/ و/ س] ثلاثة أمور؛

الأوّل أنّه كمل بما حصَل عنده من تحرير علم الطب.

الثاني أنّ أهل المريض، والمرضى، يعتقدون في حُسْن مداواته ومداراته.

الثالث أنّهم لا يعتقدون فيه التقصير إذا وقع أمرٌ مؤلمٌ؛ كما عرض لبعض الأطبّاء الجهّال لمّا رأى مريضاً قد سكنت حرارةُ حُمّاه، وبرَدَ بدنُه، وكان ذلك عن ضعف الحرارة الغريزيّة، اعتقد بجهله أنّه قد صلَح، فوصف له(٤) الحمّام، فلما دخل ضعفت قوّته، فعرق عرقاً كثيراً، ففرح الطبيب بجهله، واعتقد أنّ مطلق العرَق دالٌّ

---

(١) قال مهذب الدين: كذا في (ك، د)، أمّا في (س) فالعبارة هي: قال المفسّر. (يقصد بالمفسر هنا مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار)، ويسري ذلك على كافّة المخطوط إلى نهايته كلما وردت هذه العبارة.

(٢) ولم يقل: ساقطة (س).

(٣) بذلك يكون رأي الدخوار هو الصحيح في ثبوت تقدمة المعرفة بما يسمى في الطب الحديث «الإنذار Prognosis)À وهي من أصول علم الطب، وليس كهانة ولا تنجيماً.

(٤) مثلاً (س)، وما أثبتناه من (ك، د).

على البرء والسلامة، فقال لأهل [١٢٠/ظ/د] المريض: «إنّه قد عرق وقد صلح صلاحاً تامّاً»، فلمّا كمل العرق سقطت قوّته، ومات [٣/و/ك] المريض، فلحق الطبيب من أهل المريض شرٌّ كثير.

واعلم أنّ العرق الدالّ على الموت له علامات، والدالّ على البرء له علامات، فإذا تقدّمت خبرة الطبيب وتجربته(١) ومعرفته لجميع أجزاء صناعة الطبّ(٢) كان واثقاً(٣)، قادراً على أن يخبر بما يكون منها.

واعلم أنّ تقدمة المعرفة، وتقدمة الإنذار(٤)، وسابق النظر، وسابق العلم، كلّ واحد من هذه الأربعة(٥) له معنى؛

أمّا تقدمة المعرفة: فهي عبارة عن أن تتقدّم إحاطة الطبيب بجميع جزئيّات الطبّ، لأنّ المعرفة مخصوصة بإدراك الجزئيّات.

وتقدمة الإنذار أخصّ منها، لأنّه ما ينذر إلّا ببعض(٦) ما علمه منها، فتقدمة المعرفة أعمّ.

---

(١) وتجربته: ساقطة (ك). وتحريره (د).

(٢) صناعة الطب: صناعته (د).

(٣) واثقاً بها (ك).

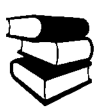
(٤) الأبدان (س).

(٥) الأربعة: ساقطة (س).

(٦) ينقض (س).

وأمّا سابق العلم؛ فهو تقدّم إدراك الأمور الكلّيّة، وتحصيلها، وذلك لا يجدي المريض ولا الطبيب شيئاً[١]، فإنّ أهل صناعة العلم الطبيعي يعرفون صناعة الطبّ على وجه كلّيّ؛ مثلاً إنّ معالجة الحارّ بالبارد، وهذا أيضاً لا يجدي المرضى شيئاً[٢]، فإنّهم لا ينتفعون إلا بمعالجة الأمور الجزئيّة.

وأمّا سابق النظر؛ فهو مطابق لسابق العلم، إذ اسم النظر والعلم يُطلقان على إدراك [١/ ظ/ س] الأمر الكلّيّ، فهما من الأسماء المشتركة.

(١) شيئاً: ساقطة (د).

(٢) شيئاً: ساقطة (س). أيضاً، شيئاً: ساقطتان (د).

(الفصل الثاني)[١]

✍ **قال أبقراط**[٢]: «ولمّا [٣/ ظ/ك] كان بعض المرضى قد يموت قبل أن يُدعى له الطبيب من صعوبة أمراضهم، وبعضهم لا يلبث حين يدعوه أن يموت؛ فلا يبقى إلّا يوماً واحداً أو أكثر من ذلك قليلاً قبل أن يستعدّ الطبيب بصناعته فيقاوم بها كلّ واحد من الأمراض، فقد ينبغي لك أن تعرف طبائع كلّ واحد من[٣] الأمراض التي هي مجاورة لقوّة تلك الأبدان، وإن كان أيضاً مع ذلك في الأمراض شيءٌ سماويٌّ فقد ينبغي أن يكون الطبيب بسابق النظر فيه خبيراً[٤]».

✍ **قال مهذَّب الدين**[٥]: اعلم أنّ الأمراض تنقسم قسمة جنسيّة[٦] إلى قسمين؛ [١٢١/ و/ د] أحدهما القتّالة، والآخر السليمة .

فأمّا القتّالة فما للطبيب الفاضل فيها إلّا مجرّد[٧] الإنذار بما تؤول إليه، ليعلم فضله، وخبرته بما يُخبر به.

---

(١) أكرر التذكير بأن ترقيم الفصول (ما بين قوسين) من وضع المحق. وذلك وفقاً لما جاء في كتاب «تقدمة المعرفة» لأبقراط.

(٢) كتب على حاشية (د): تعليم أوّل.

(٣) كل واحد من: تلك (د).

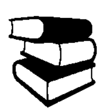
(٤) من صعوبة... خبيراً: هذه الفقرات لم ترد في (س). وما أثبتناه من (ك، د).

(٥) مهذب الدين: كذا في (ك، د)، المفسر (س). وهذا يسري على كافة المخطوط، وألمحت لذلك قبل.

(٦) حيثية (د).

(٧) مجرد: ساقطة (ك، د).

وأمّا السليمة؛ فيعالجها بعد أن يتقدّم ويخبر بما تؤول إليه من الطول والقصر فقط، ثمّ ينظر مع ذلك إن كان معها شيء سماويّ. وقد اختلفوا في الأمر السماوي هنا على وجوه كثيرة؛ فالذي عليه الاتّفاق من جالينوس وشيعته أنّه الهواء المحيط بالأبدان، وإنّما كان سماويّاً لأنّ هبوبه لا علم للإنسان بوقته، ولا بما يصحبه ممّا يكون فيه[1] من الكيفيّات الرديئة أو الوبائيّة [٤/ و/ك] بخلاف معرفة الأبدان[2]، فإنّ أمزجتها ثابتة لها.

(١) مما يكون فيه: ساقطة (س).
(٢) البلدان (س، ك)، وما أثبتناه من (د).

(الفصل الثالث)

✍ **قال أبقراط**[١]: «وينبغي أن يتقدّم فينذر بموت من يموت منهم، وسلامة من يسْلَم، وينذر بطول مرض[٢] من يدوم[٣] مرضه أيّاماً أكثر، وبِقصر من يلبث مرضه أيّاماً أقلّ، وينظر إن كان نفس الإنسان بحالٍ هي أردأ. فإنّه إذا سلك هذا المسلك عجب الناس منه، وحقّ لهم أن يعجبوا[٤]، وكان طبيباً فاضلاً، وذلك أنّه يقدر فيمن يمكن أن يَسْلم أن يكون أحرى[٥] أن يحفظه على ما ينبغي، إذ كان يسبق بمدّة طويلة فيتروّى فيما يقابل به كلّ واحد من الأمور[٦]. فإذا تقدّم فعرف، وسبق فأنذر بموت من يموت، وسلامة من يَسلم؛ لم تلزمه لائمة[٧]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ الأمراض على ما ذكره أبقراط في كتاب «**إبيذيميا**» تنقسم إلى ثلاثة أجناس: **أمراض بلديّة**[٨]؛ كالقروح الخيرونيّة مثلاً،

---

(١) كتب في حاشية (د): تعليم أول. وتكرر ذلك عند قول أبقراط.

(٢) مرض: ساقطة (ك)، وما أثبتناه من (د).

(٣) يطول (د).

(٤) يتعجبوا (ك).

(٥) أجدى (ك).

(٦) وينذر بطول... الأمور: هذه الفقرات لم ترد في (س). وما أثبتناه من (ك، د).

(٧) فإذا تقدم... لائمة: ساقطة (ك، س)، وما أثبتناه من (د).

(٨) يقصد بالأمراض البلدية الأمراض التي تختص بها بعض البلدان؛ وقد ذكر من أمثلة ذلك القروح الخيرونية: وهي التي تتسمى في الطب الحديث حبة الشرق أو حبة حلب وهي اللايشمانيا LeishmaniaÀ والثاني العِرْق المديني: وهي دودة تصيب سكان المدينة المنورة Dracunculus Medinensis. ينظر كتابنا (اصطلاحات الطب القديم).

والعرق المديني. **وأمراض خِلطيّة** أو ذات[(١)] كيفيّة رديئة؛ كالحمّيات وغيرها. وأمراض حادثة **عن الهواء**؛ وهي السماويّة، وهي التي سمّاها أبقراط بالوافدة، فافهمه.

وأيضاً في معرفة الطبيب للأمراض ـ إذا عرف أسبابها ـ أمور أُخر يستعين بها؛ وهي استعداده بالأدوية المركّبة، والآلات التي لا يقدر أن يركّبها عند وقوع الأمراض لضيق الوقت، ولهذا الأمر جُعل [(٢)] المارستان، [٤/ظ/ك] وقيل: إنّه من الأمور التي استخرجها أبقراط في زمانه(٣)، وتهيئته للأدوية المركّبة به؛ كالترياقات، والمعاجين الكبار، والأقراص وغير ذلك، خصوصاً [٢/و/س] التي لا تكمل قوّتها إلا بعد ستّة أشهر، وخصوصاً التي يقع فيها مثل الأفيون. ولهذا قال في آخر الفصل: «إذا كان قد سبق بمدّة طويلة فتروَّى فيما تقابل به كلّ واحد من الأمور»؛ أي التي يعجز عن تركيبها عند وقوع هذه الأمور. فهذه الأمور المذكورة إذا عرفها وحرّرها أنذر بما تؤول إليه الأمراض من طول وقصر، وخير وشرّ، وعجب الناس منه لعلمه وفضله.

---

(١) ذي بالأصل.

(٢) تنتهي هنا الصفحة (١٢١/و) من نسخة (د)، وبنهايتها ينتهي ما وردنا من هذا المخطوط، وكان ذلك لعدة ورقات منه فقط.

(٣) يقال: إن الحمّام والبيمارستان (دار الاستشفاء) هما من وضع أبقراط. ينظر كتاب (التحفة البكرية في أحكام الاستحمام الكلية والجزئية) لداود الأنطاكي، من تحقيقنا.

(الفصل الرابع)

✍ **قال أبقراط**: «وقد ينبغي أن تجعل نظرك في الأمراض الحادّة على هذا الطريق؛ انظر أوّلاً وجه المريض هل يشبه وجوه الأصحّاء؟ وخاصّة هل يشبه ما كان عليه؟ فإنّه إذا كان كذلك فهو على أفضل حالاته. فأمّا الوجه الذي هو من المضادّة لذلك الوجه الشبيه في الغاية لِما كان عليه فهو أردأ الوجوه، وهذه صفته: أن يكون الأنف حادّاً، والعينان غائرتَين، والصدغان لاطئين، والأذنان باردتَين منقبضتَين، وشحمتاهما منقلبتَين، والجلدة التي على الجبهة صلبة متمدّدة جاسية، ولون [٥/ و/ ك] الوجه كلّه أخضر أو أسود أو كمد أو رصاصيّ. فإن كان الوجه في أوّل المرض بهذه الحال، وليس يمكنك بعد أن تستدلّ مع ذلك بسائر الدلائل، فقد ينبغي لك أن تسأل: هل سهر ذلك الإنسان؟ أم لَانَ بطنُه لِيْناً شديداً؟ أو ناله شيء من الجوع؟ فإنْ أدلّ بشيء من ذلك فينبغي أن تظنّ به أنّه أقلّ رداءة، وذلك يمتحن حتى تعرف هل صار الوجه بهذا الحال من قِبَل هذه الأسباب في يوم وليلة؟ فإنْ لم يدلّ بشيء من ذلك، ولم يسكن ألمُه في المُدّة التي حدّدتها قبيل؛ فينبغي أنْ تعلَم أنّ ذلك من دلائل الموت[1]».

✍ **قال مهذَّب الدين**: اعلم أنّ الأمراض تنقسم ـ على ما ذكر جالينوس في كتاب «**البُحران**» إلى ثلاثة أجناس؛

---

(١) على هذا الطريق... الموت: هذه الفقرات ساقطة في (س).

الأمراض الحادّة: وهي التي جمعت قصر المُدّة مع الخطر؛ مثل الحمّى المحرقة[١] مثلاً.

والأمراض المزمنة: وهي التي جمعت طول المُدّة مع عدم الخطر؛ كالفالج الذي عن موادّ غليظة بلغميّة.

وأمراض لا حادّة ولا مزمنة؛ كحمّى يوم.

ثمّ إنّ جالينوس في شرحه لكتاب «**الفصول**»[٢] قَسّمَ الأمراض الحادّة إلى أربعة أقسام؛

الأوّل: **الحادّة إلى الغاية القصوى**؛ وهي التي تنقص في الرابع.

الثاني: **الحادّة جدّاً**؛ وهي التي [٥/ ظ/ك] تنقضي في السابع أو الرابع عشر.

الثالث: **الحادّة بالإطلاق**؛ وهي التي تنقضي في العشرين.

الرابع: **الحادّة المنتقلة**؛ وهي التي تنقضي في الأربعين.

فقول أبقراط: «وينبغي أن تجعل نظرك في الأمراض الحادّة»؛ أراد بذلك جملة أقسامها.

---

(١) لمعرفة تصنيف أنواع الحميات في الطب القديم يمكن الرجوع إلى كتابنا (اصطلاحات الطب القديم).

(٢) في شرحه لكتاب الفصول: في كتاب شرح الفصول (ك). وهو كتاب شرح فصول أبقراط في الطب لجالينوس.

وكان أبقراط على ما نُقل يستدلّ على الأمراض ـ خصوصاً الحادّة ـ بالسحنة، والنظر فيها، وفي أجزائها.

والسحنة تقال على قسمين؛

أحدهما هيئة البدن، وتنقسم إلى خمسة أقسام؛ خصب البدن، والهزال، والسخافة، والتلزّز[(١)]، والاعتدال.

الثاني: ما هو أخصّ من الأوّل، وهو الذي كان يعتمد عليه[(٢)] أبقراط في الاستدلال على أحوال الأمراض الحادّة على الخصوص، وهو [٢/ ظ/ س] **وجه المريض**، وخصوصاً ثلاثة مواضع منه لا يخرم الاستدلال بأحوالها على أحوال البدن وهي؛ بياض عين المريض، ولون شفته، ولون لسانه، وربّما يظهر فيها ويحكم به، لأنّه على ما قيل: لم ينطق بجميع أجناس النبض وأصنافه، ولا عرفت في زمانه، ولكنّها استخرجت بعده، فإنّ **جالينوس** قال في أوّل كتابه المسمّى «**بالنبض الكبير**» ما هذا لفظُه: «وأوّل من ذكر اسم النبض ممّن عرفناه أبقراط، ووجدناه عالِماً به، [٦/ و/ ك] ماهراً في معرفته».

---

(١) **السّخافة** تقال على معنَيَيْن؛ أحدهما رخاوة الجرم، وبهذا المعنى لحوم الإناث أسخف، لقلّة الرياضة المحلّلة للرطوبة المرخية، وثانيهما؛ كون الجرم كثير المسام، واسعها، وبهذا المعنى لحوم الرجال أسخف، لأنّها لكثافتها وقلّة رطوبتها لا تلتصق بما ينفذ فيها، بل تبرأ عنه، فيحدث هناك فُرَجٌ ومسام. وقيل: ثوب سخيف أي رقيق النَّسْج، ويُستعار للعضو ويُراد تخلْخُله. التلزّز: شدّة الالتصاق. المتلزّز العديم الفُرَج بين أجزائه. (ينظر كتابنا: اصطلاحات الطب القديم).

(٢) يعتمد عليه: يعتني به (س).

إلا أنّه لم يوسع[١] الكلام في هذا الجزء من الصناعة، ولم يصرف اسم النبض على كلّ حركة[٢] من حركات العروق الضوارب، ولو كان قد حقّق جميع أصناف النبض لكان ذكر منها شيئاً يدلّ على الأمراض الحادّة في هذا الكتاب، لكنّه على ما ذكر كان يستدلّ[٣] ويعتمد على السحنة، فقال هنا: «انظروا أوّلاً إلى وجه المريض»، وهذا الوجه له معنيان؛

أحدهما الوجه الذي يليق بالمزاج المعتدل من الإنسان، وهو أفضل ما يكون عليه من الصفات[٤] المحمودة.

الثاني: ما كان عليه في حال صحّته في نفسه، فإنّه قد يكون متغيّراً، وتكون تلك الحالة صحّته المخصوص بها.

فالوجه الرديء إلى الغاية؛ أن يكون الأنف منه حادّاً، والعينان غائرتين، والصدغان لاطئين، وباقي الصفات التي ذكرها أبقراط. وهذه الأوصاف تدلّ على غاية الخروج والبعد عن الصحّة، وعلى الذوبان المفرط[٥].

وللذوبان[٦] الذي هذه الأوصاف تابعة له سببان؛ **أحدهما** زوال الرطوبة التي هي

---

(١) يتسع في (ك).

(٢) جزء له (س).

(٣) يستدل و: ساقطة (ك).

(٤) الصناعات (س).

(٥) وعلى الذوبان المفرط: ساقطة (س).

(٦) وهذا الذوبان (ك).

خارجة عن الرطوبات الأصليّة، ويُعرف وجودها بقصر الزمان، كما يعرض لمن أصابتْه هيضة [٦/ ظ/ ك] أو جوع شديد أو سهر.

والثاني؛ ما كان عن ذوبان الرطوبات الأصليّة، ويُعرف وجوده بطول الزمان، كما يعرض [٣/ و/ س] لأصحاب الدقّ(١).

وأمّا قوله: «وأردأ لون الوجه ما مال إلى الخضرة أو السواد أو الكمودة والرصاصيّة».

اعلم أنّ السبب الفاعل لتغيّر لون(٢) الوجه إلى ما ذكره من الرداءة إمّا أن يكون عن إفراط الحرّ، أو إفراط البرد، إذ هما الفواعل؛ فإن كان من الحرّ تبعه اللون الأخضر، وهذا اللون الأخضر هو(٣) عند جالينوس الأصفر. وإن كان من إفراط البرد تبعه اللون الأسود والكمد والرصاصيّ.

فإن قال قائل(٤): ما بال أبقراط قال في أوّل الفصل: «وينبغي أن تجعل نظرك في

---

(١) وهي حمّى الدق (كما هو في السل مثلاً). **حمّى الدّق** Hectic fever: هي حمى الأعضاء الأصليّة، يدقّ معها البدن ويذبل، فيسمى البدن حينئذٍ دقّاً ودقيقاً ودقاقاً. (اصطلاحات الطب القديم).

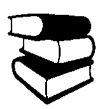
(٢) لون: ساقطة (س).

(٣) الأخضر هو: ساقطة (ك).

(٤) هذا مضى، فإن قال قائل (ك).

الأمراض الحادّة»، وذكر جالينوس في شرحه أيضاً أنّ هذا الكتاب[١] مخصوص بذكر الأمراض الحادّة، فلِمَ ذكر فيه الاستسقاء وهو من الأمراض المزمنة؟

الجواب: إنّ أبقراط ذكر فيه الأمراض الحادّة وما توجبه من حيث هي حادّة، فلا جرَم ذكر الاستسقاء التابع للحرارة وما أشبه ذلك.

(١) لعل المقصود هنا (كتاب الأمراض الحادة) لأبقراط.

(الفصل الخامس)

قال أبقراط: «فإن كان المرض قد جاوز ثلاثة أيّام، وكان الوجه بهذا الحال؛ فينبغي أن تسأل عن تلك الأشياء التي تقدّمت إليك في المسألة عنها، [٧/ و/ ك] وتتفقّد سائر الدلائل التي في البدن أو في العينين، فإنّ العينين إذا كانتا تحيدان عن الضوء، أو كانتا تدمعان عن غير إرادة، أو كانتا مزورتين، أو كانت إحداهما أصغر من الأخرى، أو احمرّ بياضهما، أو كان فيهما عروق كمدة أو سود، أو كان فيهما رمص، أو كانتا مضطربتين، أو ناتئتَين أو غائرتين جدّاً، أو كان لون الوجه كلّه متغيّراً؛ فينبغي أن تظنّ بهذه الدلائل كلّها أنّها دلائل رديئة قتّالة[١]».

قال مهذّب الدين: ابتداء المرض يقال على ما ذكره جالينوس ـ على ثلاثة معانٍ؛

الأوّل: الوقت الذي لا عرَض له، وهذا القسم لا يُنتفع بمعرفته، لأنّ كلّ وقت من أوقات الأمراض له معالجة تخصّه، والوقت الذي لا عرَض له كيف يُدرك له معالجة تخصّه؟ لضيقِه وعدم تحقّقه.

الثاني: الثلاثة الأيّام[٢] الأُوَل، وهذا لا يصلح أن يكون حَدّاً لابتداء الأمراض،

(١) وكان الوجه... قتالة: الفقرات ساقطة في (س).

(٢) أيام (ك). وصحة العبارة: الأيام الثلاثة الأُوَل.

لأنّ بعض المرضى[١] يبرَأ في يومين، وتكون الأوقات الأربعة موجودة فيه، فكيف يصحّ أن يقال: إنّه ابتداء لكلّ مرض؟.

الثالث: وهو الذي عليه الاعتماد والاعتبار، وهو ابتداء الضرر للأفعال الطبيعية، وتكون الطبيعة لمْ تبدأ بعدُ في [٧/ ظ/ ك] تنضيج مادّة المرض. وأبقراط إذا قال: «أوّل المرض»؛ يعني به هذا.

وأمّا قوله: «الآن»، فإنْ كان المرض قد جاوز ثلاثة أيّام [٣/ ظ/ س]؛ لمْ يعْنِ أنّها حدٌّ لابتداء المرض، بل عنى به أنّ الأعراض المستولية إذا دامت ثلاثة أيّام من ابتداء المرض؛ دلّت على أنّ سببها قويٌّ متمكّن، فيكون الحكم عليه صادقاً، ولاسيّما إذا تقدّمت المسألة عن سببه وعُرِف.

◉ **وأصحّ الدلائل** ما كان في العينين، فلا جرَم إذا جعَل العمدة في الاستدلال عليها؛ **فقال**: «إذا كانتا تحيدان عن الضوء»؛ فذلك دليلٌ على أنّ الروح الباصر ضعيف لا يتمكّن من مقابلة الضوء الذي هو معِين له في الإدراك كما تبيّن في العلم الطبيعي.

◉ «**وإذا كانتا** تدمعان من غير إرادة»؛ دلّ ذلك على تشنّج عرضَ لعضلهما

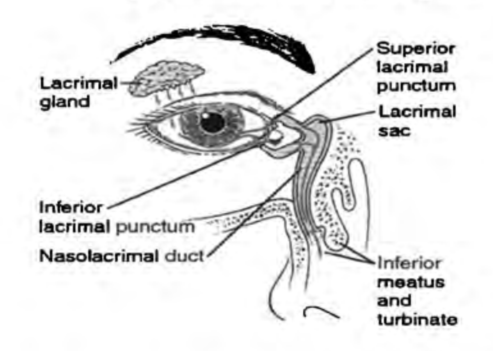
(١) بعض المرضى: بعضها (ك).

يوجب عصرَ العضو الذي فيه مادّة الدموع[١]، وهذا يعرض مثلما يعرض[٢] لأصحاب الشترة واللقوة، لكن هذا يدلّ على الخطر، لأنّ سببه متعلّق بالدماغ والعينين، بخلاف الدموع التي تكون عن الشترة واللقوة.

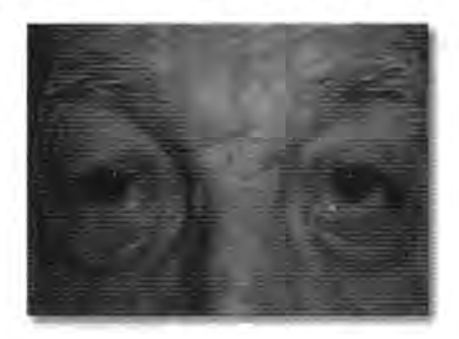
«**وإذا كانتا** مزورتين» دلّ على تشنّج مختلف في العضل المخصوص بهما يوجب اضطراباً لهما، وأنّهما تنظران إلى جهة غير مستقيمة ولا [٨/ و/ ك] ثابتة[٣].

---

(١) يقصد به الغدة الدمعية Lacrimal gland: وهذه صورتها:



وهذه صورة الشترة Ectropion، والعين في اللقوة على الترتيب من الأيمن:





(٢) مثلما يعرض: ساقطة (س).

(٣) كما في حالة الحول.

«**وإذا كانت** إحداهما أصغر من الأخرى»؛ دلّ ذلك على عدم النسبة الطبيعيّة، فإنّها خُلِقتْ لتفعل ما يليق بالحكمة الإلهيّة، فإذا عدمتْ النسبة والمماثلة، واختصّ الضرر ببعضها دون بعض؛ دلّ على آفة قد حصلت في القوّة المدبِّرة حتّى أعجزتها عن تمام فعلها.

«**وإذا احمرّ** بياضهما»؛ دلّ ذلك على امتلاء الدماغ وأمه[١] عن موادّ دمويّة ثابتة تدلّ على ضرر عظيم، كما يعرض ذلك لأصحاب السرسام[٢].

«**وإذا كان** فيهما عروق كمدة»؛ دلّ ذلك على ما تقدّم من القول فيه: إنّه من البرد وموت الحرارة الغريزيّة. «**وإذا كانت** سوداً» دلّ ذلك على أخلاط سوداويّة رديئة[٣]؛ كما يعرض ذلك لأصحاب الجذام[٤].

(١) وأوعيته (ك). أم الدماغ وأم الرأس: يقصد به في الطب القديم السحايا. ينظر كتابنا (اصطلاحات الطب القديم).

(٢) السرسام في اصطلاح الطب القديم هو ورم (أي التهاب) في السحايا أو الدماغ.

(٣) رديئة: ساقطة (ك).

(٤) الجذام Leprosy ويسمى داء الأسد، سببه جرثومة Mycobacterium leprae، وهذه صورته:



«وإذا كان [٤/ و/ س] فيهما رمص[(١)]» دلّ ذلك على ضعف القوّة الغاذية، وعجزها عن هضم جميع غذائها، كما يعرض ذلك في الرمد.

«وإذا كانتا مضطربتين[(٢)]» دلّ ذلك على اختلاط الذهن؛ كما يعرض لأصحاب الجنون.

«وإذا كانتا ناتئتين[(٣)]» دلّ على توفر من الموادّ الرديئة.»

قال: «فإن كان لون الوجه مع ذلك رديئاً دلّ على شمول الآفة وعمومها»؛ فيكون [٨/ ظ/ ك] الحكم بالضرر أوكد[(٤)] وأقوى.

---

(١) **الرَّمَص**: بالتحريك، وسخٌ جامدٌ يجتمع في المؤق. وهو القذى.

(٢) مصفرتين (س).

(٣) ثابتتين (ك). نتوء العينين معاً من أهم أسبابه في الطب الحديث فرط نشاط الغدة الدرقية HyperthyroidismÀ وتكون على هذا الشكل:

Hyperthyroid Eye Disease



- Hyperthyroidism (any cause)
  - Lid lag, lid retraction and stare
  - Due to increased adrenergic tone stimulating the levator palpebral muscles.
- True Graves' Ophthalmopathy
  - Proptosis
  - Diplopia
  - Inflammatory changes
    - Conjunctival injection
    - Periorbital edema
    - Chemosis
  - Due to thyroid autoAb's that cross-react w/ Ag's in fibroblasts, adipocytes, + myocytes behind the eyes.

(٤) أوكد و: ساقطة (ك).

(الفصل السادس)

قال أبقراط: «وقد ينبغي أن تتفقّد ما يظهر من بياض العينين في وقت النوم[١]، فإنّه إن ظهر شيء من بياضهما والجفنان مطبقان، ثمّ لم يكن ذلك عن ذرَب[٢] وشرب دواء مسهل، ولم يكن أيضاً فيمن عادته أن ينام وعيناه بتلك الحال؛ فإنّ ذلك دليل رديء قتّال[٣]».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ الخالق عزّ وجلّ جعل العينين من الإنسان وما أشبهه من الحيوان رطبتين[٤] لتسهل حركتهما، وخلق الأجفان وقاية لهما، وجعلهما[٥] غطائين عليهما ـ خصوصاً عند النوم ـ خوفاً من أن يصدعهما شيء أو أن يقع فيهما ما يؤذيهما[٦]. فإذا نام المريض وظهر من بياض عينيه شيء دلّ على أنّ

---

(١) من بياض العينين في وقت النوم: في باطن العينين (س).

(٢) الذّرَب، محرّكة: إسهال معدي، وقيل: هو انطلاق البطن المتّصل، وقيل: هو أن لا ينهضم الطعام في المعدة والأمعاء، ولا ينفذ في جميع البدن، بل يُستفرغ من أسفل فقط استفراغاً متّصلاً، وهو كثير الرّطوبة. (اصطلاحات الطب القديم).

(٣) فإنه إن ظهر... قتال: الفقرات لم ترد في (س).

(٤) العينين... رطبتين: للعينين قطبتين (س).

(٥) وجعل لهما (ك).

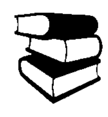
(٦) ما يؤذيهما: شيء يؤذيهما (ك). يمكننا أن نضيف وظيفة ثالثة وهي بقاء العين رطبة حتى لا تجفّ. لذلك نوصي مريضاً باللقوة حيث تبقى العين مفتوحة عند النوم أن يضع فيها أحد المراهم المطرية، ويضع على العين رفادة بعد إطباقها وربطها برباط حتى تبقى مغلقة أثناء النوم.

القوى المدبّرة لهذا الأمر المذكور عاجزة، لضعفها عن كمال فعلها؛ فينبغي للطبيب الحاذق أن يسأل عن أي شيء حدث ذلك؛

فإن كان عن إسهال أو ذرَب أو همّ أو غمّ، أو غير ذلك من الأمور التي زوالها يكون سريعاً، وضررها يكون يسيراً فيخبر بذلك ليطيّب قلب المريض وأهله، ويفرح الطبيب لسرعة برئه على يديه.

وإن كان عن سبب رديء مؤذٍ مضعف للقوّة، كالأمراض الرديئة [٩/ و/ ك] المهلكة؛ عرف ذلك وتحقّقه، وأنذر بما يؤول إليه على ما تقدّم.

ثمّ ينبغي له أن يسأل: هل عادة هذا المريض في صحّته أن تعرض له هذه الحالة؟ فكثير من الحيوان يعرض له ذلك، وذكروا أنّ بعض[١] الحيوانات تكون أعينهم مائلة إلى الصلابة فاستغنَوا بذلك عن الأجفان؛ كالسرطانات وشبهها، فإنّ أعينهم غير قابلة للآفات بسبب [٤/ ظ/ س] صلابتها.

---

(١) الحيوان... بعض: ساقطة (س).

(الفصل السابع)

✍ **قال أبقراط**: «فإن كان الجفن ملتوياً، أو كان كمداً، أو كانت الشفة أو العين أو الأنف بتلك الحال مع بعض تلك العلامات الباقية فينبغي أن تعلم أنّ المريض قريب من الموت[١]».

✍ **قال مهذَّب الدين**: اعلم أنّ التواء الجفن يدلّ على التشنّج.

وأمّا تغيّر لونه إلى الكمودة فيدلّ ـ على ما تقدّم من كلام جالينوس في كتاب «**شرح الفصول**» ـ على أحد أمرَين؛ إمّا موادّ سوداوية رديئة[٢]، وإمّا على موت الحرارة الغريزيّة، وهو اللون الكمد، ولأجل ذلك كان سواد[٣] الأطراف أقلّ رداءة من كمودتها.

وإلى هذا القسم أشار أبقراط؛ يعني «متى اجتمع مع التشنّج ما يدلّ على موت الحرارة الغريزيّة ـ وهو اللون الكمد»، فتحقّق الرداءة والضرر والهلاك، ولاسيّما إذا كانت الشفَة [٩/ ظ/ ك] أو العين أو الأنف بتلك الحال؛ يعني[٤] بحالة تدلّ على التشنّج، ولاسيّما أيضاً إذا اتفقت معها العلامات التي توافق هذه الحال في الأعضاء الأخر، فحينئذ تتيقّن أنّ الآفة شاملةٌ قويّة، منذرةٌ بالموت لا محالة.

---

(١) أو كان كمداً... الموت: لم ترد في (س).

(٢) رديئة: ساقطة (ك).

(٣) أسود (س).

(٤) بتلك الحال يعني: ساقطة (ك).

(الفصل الثامن)

✍ **قال أبقراط**: «وينبغي أن يجدَ الطبيبُ المريضَ مستلقياً على جانبه الأيمن أو الأيسر، ويداه ورجلاه وعنقه مثنية قليلاً، وبدنه كلّه في نصبته، رطب، لأنّ أكثر الأصحّاء إنّما يستلقون للنوم بهذه الحال[١]».

✍ **قال مهذَّب الدين**: أراد أبقراط أن يعرّفنا أيّ هيئة من هيئات الاضطجاع أو غيرها يعتبر فيها حال المريض وننظر إليه، فقال: «ينبغي أن يجد الطبيب المريض مستلقياً على جانبه الأيمن أو الأيسر»؛ هذا أصلح الأوضاع لبلوغ الغرض من الاعتبار، وممّا يدلّ على حسن حال القوّة.

لأنّه إذا كان قائماً كانت قوى البدن مشغولة بحمله، فلا تكون أحوال الأعضاء على ما تقتضيه طبيعتها لاشتغال القوّة المدبّرة بحمل البدن، وإن كان قاعداً كان قريباً من القائم في حمل الأعضاء والتكلّف بها.

وإن كان على بطنه لم يمكنه النظر إلى وجهه الذي هو العمدة في الاستدلال عند أبقراط على ما تقرّر.

وإن [١٠/ و/ك] كان مستلقياً على ظهره كانت الدلالة غير موثوق بها، لأنّ ذلك يوهن القوّة ويضعفها.

فبقي[٢] أن يكون على أحد جانبيه إمّا الأيمن أو الأيسر، [٥/ و/ س] والأيمن

---

(١) أو الأيسر... الحال: ساقطة (س).

(٢) فينبغي (س).

أفضل، فلا جرم قدَّمَهُ؛ لأنّه إذا كان مستلقياً على جانبه الأيسر كان على القلب ضرر بسبب ميل الأعضاء عليه فلا تخلص الدلالة.

وقوله: «وتكون يداه ورجلاه ورقبته مثنيّة قليلاً»؛ يعني تكون سهلة الحركة»؛ دالّة على عدم المعاوق لفعلها[١]، وهذه الصورة أحسن الأوضاع.

(١) لها لفعلها (ك).

(الفصل التاسع)

✍ **قال أبقراط**: «وأحمدُ الاستلقاء ما كان أشبه باستلقاء الأصحّاء، فأمّا استلقاء المريض على قفاه مع تمدّد يديه ورجليه ورقبته فأقلّ حمداً من ذلك، وإن كان ينحدر عن فراشه نحو قدميه فذلك رديء[١]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ الضابط في هذه الأحوال المذكورة هو أن تسأل عن حال المريض في صحّته إن كانت بتلك الحال لم يكن ذلك رديئاً، لأنّ عادته جرت بذلك، وإن لم يكن عادته جرت بذلك فذلك رديء مطرد[٢] في جميع الأحوال المذمومة.

وأمّا قول أبقراط: «أقلّ حمداً»؛ يوهِم الاشتراك في الحمد، والأوّل أكثر، وليس كذلك، بل كلاهما [١٠/ ظ/ك] مشتركان في الشرّ، والثاني أكثر.

وأمّا قوله: «وإن كان يستسقط[٣] وينحدر عن فراشه نحو قدميه فتلك علامة[٤] رديئة». قال بعض القدماء: هذا يدلّ على غلبة العنصر الأرضيّ عليه الذي يدلّ على ضعف جميع قوى البدن والحرارة الغريزيّة الموجبات لاستقلاله ورفعه عن مركز الأرض، وهذا أحسن ما عُلِّل به هذا الأمر.

---

(١) ما كان أشبه... رديء: ساقطة (س).

(٢) مطرد: ساقطة (ك).

(٣) يستسقط و: ساقطة (ك).

(٤) علامة: ساقطة (س).

(الفصل العاشر)

✍ **قال أبقراط**: «فإن وُجد مع ذلك وقدماه مكشوفتان، وليس هما بالسخنتين جدّاً وقد رمى بيديه وعنقه وساقيه بحال اختلاف واضطراب فذلك رديء من قِبَل أنّه يدلّ على كرب[١]».

✍ **قال مهذّب الدين**: قوله: «فإن وجد مع ذلك»؛ يعني مع الأعراض المتقدّمة الدالّة على تمكّن السبب وضعف القوّة، «وقد رمى بيديه وعنقه وساقيه بحال اختلاف واضطراب»؛ فذلك يدلّ على غاية الضعف.

وقوله: «وقدماه مكشوفتان، ليستا بالسخنتين»؛ هذا دليل على أن في أحشائه ـ كما ذكر جالينوس ـ ورماً أو شبهَه، فيؤثّر مثلما تؤثّر الحجامة من[٢] جذب الدم والحرارة [٥/ ظ/ س] إليه من الأطراف، فيكون رديئاً .

وأمّا اضطراب الأعضاء المذكورة فيدلّ على أنّ القوّة لم تقدر أن تثبت على وضع [١١/ و/ ك] مخصوص، لضعفها، ولاسيّما إن كانت الحرارة متوفّرة في الباطن.

(١) وليس هما... كرب: ساقطة (س).

(٢) مثلما تؤثر الحجامة من: كما تؤثر المحجمة في (ك).

(الفصل الحادي عشر)

✍ **قال أبقراط**: «ومن دلائل الموت أيضاً أن ينام المريض ودائماً فمه مفتوح، وأن تكون رجلاه وهو مستلقٍ على قفاه مثنيّتين انثناءً شديداً مشتبكتين. وأمّا نوم المريض على بطنه فذلك رديء، ويدلّ على اختلاط عقل، وعلى ألمٍ في نواحي البطن[1]».

✍ **قال مهذّب الدين**: نسبة طبق الفم عند النوم كنسبة طبق الجفن على العين في وقت النوم، ولمّا كان ذلك دالّاً على ضعف القوّة وعجزها عن الإطباق، كذلك هنا يدلّ على ضعف القوّة التي في عضل الفكين الموجبة للانطباق[2]، ولاسيّما إذا كان دائماً على هذه الصفة، فدلالته حينئذ[3] مقاس[4] بها على الرداءة، فهنا أمران يدلّان على الرداءة؛ **الأوّل** فتح الفم[5] **والثاني** دوامُه[6]، **ففتح** الفم يدلّ على ما ذكرنا، **ودوامه** يدلّ على تمكّن السبب.

وأمّا رجلاه إذا كانتا مشتبكتين؛ فيدلّ على اختلاط عقل[7] ـ إذا لم يكن ما يوجبه

(١) وأن تكون رجلاه... البطن: ساقطة (س).
(٢) الموجبة للإطباق: الموجهة للانطباق (س).
(٣) حينئذ بالأصل يكتبها حـ في نسخة (س).
(٤) موثوق (س).
(٥) فتح الفم: ساقطة (س).
(٦) دوامة فتح الفم (ك).
(٧) عقل: ساقطة (ك).

من تشنّج أو غيره، لأنّ النوم على هذه الهيئة [١١/ ظ/ك] التي ذكرت ما جرت العادة بها؛ فيدلّ على اختلاط، لأنّ من شأن القوّة المدبّرة للبدن أن تقصد في فعلها أحسن ما يمكنها، ولاسيّما إذا كان الفعل مماثلاً لغيره في الجودة.

وأمّا نوم المريض على بطنه ـ فيمن لم تجْرِ عادته بذلك ـ فهو يدلّ على ألمٍ في بطنه، فإن كان خالياً من الألم فهو يدلّ على اختلاط عقل، لأنّه خالف العادة الجيّدة إلى هيئة رديئة من غير سبب ظاهر ولا باطن.

(الفصل الثاني عشر)

✍ **قال أبقراط:** «ووثوب المريض للجلوس في وقت منتهَى مرضه رديء في جميع الأمراض الحادّة، وأردأ ما يكون في أصحاب ذات الرئة[١]».

✍ **قال مهذّب الدين:** اعلم أنّ الجلوس والقعود يوجبان سهولة في التنفّس بحيث إنّ القوْة تستريح به بسبب اتّساع المجاري، ورفع بعضها عن بعض، فيضعف السبب الموجب لضيق النفَس، والأمراض الحادّة [٦/ و/ س] توجب ضيقاً في النفَس لشدّة الحرارة المتوفّرة، خصوصاً في ذات الرئة؛ يعني ورمها، فإنّ ذات[٢] لفظة تدلّ على الورم، فيقال: ذات الرئة، وذات الجنب[٣]، وذات الكبد، وذات الطحال، وذات الكليتين؛ أي ورمها[٤]، فإنّ الحاجة في هذا المرض أمسّ وأعظم، فإذا أراد الإنسان الجلوس [١٢/ و/ ك] ووثب له دلّ على أنّ القوّة مستضرّة بهذا المرض، طالبة لما يوجب راحتها، وهو الجلوس لثقل[٥] المزاحمة للرئة بوجوده، ويتوفّر التنفّس الجيّد العظيم، فهو يطلب به راحةً ما، وهو وإن أوجب راحة يدلّ على أنّ الأمر عظيم، وأنّ المرض قويّ، فهو رديء بهذا الاعتبار، فإن كان فعل الوثوب والجلوس

---

(١) في وقت... الرئة: ساقطة (س).

(٢) ذات الرئة (س).

(٣) وذات الجنب: ساقطة (ك).

(٤) والورم في الطب الحديث هو الالتهاب (التهاب الكبد، التهاب الكلية...).

(٥) لتحل (س).

من غير هذا الأمر فهو يدلّ على توفّر من الحرارة في الأحشاء، فإن لم يكن عن أحد هذين الأمرين فهو مختلط العقل[1] لِمَا تقدّم ذكره.

وأمّا قول أبقراط: «في منتهَى المرض»؛ لأنّ هذا الوقت تشتدّ فيه الأعراض، فإذا عرض هذا العارض دلّ على قوّة المرض وتمكّنه. وإذا كانت الأعراض متوفّرة كان استظهار القوّة عليها أقلّ، وكان دليلاً رديئاً.

(١) الفعل (س).

(الفصل الثالث عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا تصريف الأسنان[١] في الحمّى فيمن لم تكن عادته في صباه فذلك دليلٌ على الجنون أو على الموت، وقد ينبغي أن يتقدّم فينذر بما يخاف على المريض من الأمرين جميعاً، فإن كان يفعل ما يفعل من ذلك وقد اختلط عقله فذلك دليلٌ على أنّ هلاكه قد قرب[٢]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ الدليل والعلامة [١٢/ ظ/ك] والعرَض كلّها تدلّ على معنىً واحدٍ؛ وهو الأمر الذي يتبع المرض، فيسمّى دليلاً وعلامة بالنسبة إلى الطبيب، وعرَضاً بالنسبة إلى المريض[٣].

فقول أبقراط: «إنّ تصريف الأسنان دليل على الجنون» فيه نظر، لأنّ هذا التصريف لو كان عرضاً من أعراض الجنون أو دالاّ عليه للزم أن يكون إمّا دائماً، وإمّا في بعض الأوقات، ولا قائلاً به أصلاً، فإن تخيّلنا فيه فعسى أن يكون من طريق ما تدلّ الأسباب على مسبباتها، [٦/ ظ/س] لأنّك إذا وجدت عفناً متوفّراً في البدن فيجوز أن تقول: هذا دليل على الحمّى لا بمعنى أنّه عرضٌ من أعراضها. وكذلك إذا وجدت هواءً وبائيّاً قلت: إنّه يدلّ على حمّيات رديئة، ومحال أن يكون ذلك الهواء الوبائي صادراً عن الحمّيات الرديئة.

---

(١) يقصد بها السن والعمر.

(٢) في صباه... قرب: الفقرات ساقطة في (س).

(٣) المرض بالأصل، ولعل الأصح ما أثبتناه. وكذا في الطب الحديث فإنّ العرض Symptom هو ما يشتكي منه المريض، والعلامة Sign هي ما يراه الطبيب على المريض عند فحصه.

(الفصل الرابع عشر)

✍ **قال أبقراط**: «ومتى كان في بدن المريض قرحة إمّا متقدّمة قبل مرضه، أو حادثة في وقت مرضه فينبغي أن تتفقّدها، وذلك أنّه إذا كان المريض يؤول أمره إلى الهلاك فإنّ قرحته تلك تصير قبل موته يابسة، إمّا مع صُفرة، وإمّا مع كمودة إلى الخُضرة[١]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ أبقراط في هذا الفصل أراد أن يعرّفنا دليلاً من أدلّة الموت [١٣/ و/ك] نعرفه فقال: «اعلم أنّه إذا كان في بدن المريض قرحة؛ أمّا قبل مرضه أو مع مرضه[٢] فإنّها تدلّ إذا قرب الموت بحالها، فإنها تكون يابسة[٣] قولاً واحداً، فتارة مع صفرة، وتارة مع كمودة وخضرة، أمّا كونها يابسة لأنّ قوى البدن تكون عند الموت قد بطلت فلا يجذب العضو إليه الغذاء فيقع اليبس[٤]، وأمّا مع الكمودة والخضرة والصفرة فعلى قدر الخلط الغالب؛ إن كان من جنس الأخلاط الحارّة كان أصفرَ، وإن كان من غيرها ـ أعني الباردة ـ كان كمداً، والأخضر تابع للحرارة أيضاً[٥].

---

(١) إما متقدمة... الخضرة: ساقطة (س).

(٢) أو مع مرضه: ساقطة (س).

(٣) بابه (س).

(٤) البهر (س).

(٥) أيضاً: أيظه (س) كذا يرسمها الناسخ دائماً في كل النسخة.

(الفصل الخامس عشر)

قال أبقراط: «وأمّا حركة اليدين؛ فهذا ما ينبغي أن تعلم من أمرهما أنّهما من الحمّيات الحادّة، وفي ذات الجنب وذات الرئة، وفي السَّرْسام وفي الصداع إذا كانتا متحرّكتين نحو الوجه كأنّه يصيد بهما شيئاً، أو يلتقط بهما عيداناً، أو ينتف بهما زئبراً(١) من الثياب، أو ينتزع تبناً من الحيطان، فكلّ ذلك رديء(٢)».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ حركة اليدين نحو الوجه في الأمراض الحادّة تدلّ على فساد التخيّل، لموادّ رديئة عمّت باطن الدماغ والعين، فيحصل في العين [١٣/ظ/ك] في المواضع التي تجتمع فيها الموادّ مشكّلة بأشكال مختلفة في الرطوبة البيضيّة، فتتخيّل القوّة المخيّلة أنّ تلك الأمور في الخارج، فتروم أخذها من أمام العين ودفعها عنها.

وهذا العارض يعرض كثيراً لمن يعرض في عينيه الماء(٣)، أو لمن أتخم(٤)، فإذا

---

(١) الزِّئْبِرُ، بالكسر مهموز: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخَزَّ. ابن سيده: الزِّئْبِرُ والزِّئْبُرُ، بضم الباء، ما يظهر من دَرْزِ الثوب؛ الأخيرة عن ابن جني. وقد زَأْبَرَ الثوبُ وزَأْبَرَهُ: أَخرج زِئْبِرَهُ، وهو مُزَأْبِرٌ ومُزَأْبَرٌ. وأَخَذَ الشيء بِزِئْبِرِه أي بجميعه؛ أبو زيد: زِئْبِرُ الثوب وزِغْبِرُه. التهذيب في الثلاثي. ابن السكيت: هو زِئْبِرُ الثوب، وقد قيل: زِئْبُرٌ، بضم الباء، ولا يقال زِئْبَرٌ. الليث: الزِّئْبُر، بضم الباء، زِئْبُرالخَزِّ والقطيفة والثوب ونحوه؛ ومنه اشتق ازْبِئْرَارُ الهِرِّ إذا وَفَى شَعَرُه وكثر. (لسان العرب).

(٢) فهذا ما ينبغي... رديء: ساقطة (س).

(٣) وهو الماء النازل في العين، وهو السادّ Cataract في الطبّ الحديث.

(٤) أتخم: به مرتخم (س).

عرض ذلك في الأمراض الحادّة دلّ على قوّتها، ولاسيّما في ذات الجنب وذات الرئة والسَّرْسام[1] وما أشبه ذلك. وإذا تمكّن ذلك مع ذهول العقل؛ دلّ على الموت، [٧/ و/ س] وقد اعتُبر ذلك فلم يخرم.

(١) السرسام هو بلغة الطب القديم ورم الرأس أو الحجاب أو الاثنين معاً، ويقابل في الطب الحديث التهاب السحايا أو الدماغ أو الاثنين معاً Meningo encephalitis.

(الفصل السادس عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا التنفّس؛ فإنّه إذا كان متواتراً دلّ على ألم أو على التهاب أو خُراج في المواضع التي فوق الحجاب، وإذا كان عظيماً ثمّ كان فيما بين مُدّة طويلة دلّ على اختلاط العقل، وإذا كان يخرج من المنخرين والفم هواء بارد فإنّه يكون قتّالاً جدّاً. وأمّا جودة التنفّس فينبغي أن تعلم مِن أمره أنّ معه قوّة عظيمة جدّاً في الدلالة على السلامة في جميع الأمراض الحادّة التي يكون معها حمًّى، ويأتي فيها البُحران في أربعين يوماً[1]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ التنفّس والنفَس كلّ واحد منهما يقال على [١٤/و/ك] معنى؛ أمّا التنفّس فهو عبارة عن مجموع حركة الرئة بالانبساط والانقباض، وما يتخلّلهما من السكون الداخل والخارج. وأمّا النفس فهو عبارة عن خروج مادّة البخار الدخانيّ بالانقباض من قصبة الرئة[2].

واعلم أنّ أبقراط أراد في هذا الفصل أن يعلمنا ما يدلّ عليه التنفّس من خير وشرّ في الصحّة والمرض بإيجاز واختصار، وهذا الطريق من الطرق التي كان يعتمد عليها أبقراط، وكان ذلك عنده بمنزلة النبض، وحكمه كحكمه، لِما بينهما من المشابهة في أنّ النبض أيضاً عبارة عن حركة الشريان بالانبساط لدخول الهواء، والانقباض لخروج البخار الدخانيّ، وما يتخللهما من السكونَين الداخل والخارج.

---

(١) فإنه إذا كان متواتراً... يوماً: هذه الفقرات ساقطة في (س).

(٢) هو ما يدعى في الطب الحديث الزفير Expiration. وطبعاً عكسه الشهيق Inspiration. وقد شملهما المؤلّف بالتنفس الذي يشمل الشهيق والزفير، حيث قال: (بالانبساط والانقباض).

ثمّ إنّ الحكماء قسموا التنفّس أقساماً كبعض أقسام النبض؛ وهو النبض العظيم، والصغير، والسريع، والبطيء، والمتواتر، والمتفاوت، والخشن، والصافي، ولم يذكروا للتنفّس جميع ما ذَكروا للنبض من الأجناس والأنواع والأصناف، لأنّ الأصناف المذكورة للنبض تُدرك بحاسّة اللمس بالحقيقة، فصحّ لهم التقسيم على ما شاهدوه وأدركوه.

وأمّا التنفّس ـ [١٤/ ظ/ ك] وإن كانت أصنافه المذكورة من مدركات القوّة اللامسة، لكنّها فيه إنّما ندركها بحاسّة السمع، لأنّا لا نلمس التنفّس ونحكم عليه كما نفعل بالنبض، بل نسمعه ونحكم عليه بما نرى فيه .

ولقد سألت شيخي **ابن المطران**(١) وقلت: لَمَ صار الإنسان يدرك أصناف التنفّس بسمعه وهي من مدركات القوّة اللامسة، ويصحّ الحكم فيه؟ ولِمَ صار الإنسان [٧/ ظ/ س] لا يضع حاسّة لمسه من(٢) أنامله على جرم الشريان، بل على الجلد الذي هو حائل بينهما، ويصحّ إدراكه والحكم على جميع أصنافه؟

فقال: إنّ بعض الحواسّ تدرك ما يدرك غيرها، ويصحّ الحكم به، وإن لم يكن ذلك من إدراكها؛ مثال ذلك إدراك حاسّة الشم لبعض المذاقات وصحّ الحكم به، وذلك كإدراك الأشياء الحامضة من رائحتها أنّها حامضة.

---

(١) أسعد بن إلياس بن جرجس المطران (موفق الدين) (٥٨٧ هـ): طبيب السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولد بدمشق ونشأ بها، له من الكتب؛ بستان الأطبّاء وروضة الألبّاء، وغيره. (معجم المؤلفين ١/ ٣٤٩).

(٢) لمسه من: لمرض (س).

قلت: سلّمنا ذلك، فلِمَ تُدرِك حاسّة اللمس منّا جميع أصناف النبض، ولَم تدرك حاسّتنا بالحقيقة لجسم العِرق الملموس بل لغيره، وهو الجلد؟

قال: لذلك مثال في الخارج؛ وهو أنّك إذا وضعت على جسم صلب كالحجر مثلاً غشاءً كالجلد ولمسته أدركت صلابة الحجر من تحته ـ وإن كان [١٥/و/ك] بين المدرِك والمدرَك حاجز، كذلك الأمر في العِرْق والجلد الذي عليه، فإنّه لا يُخفِي ما في العرق من الأصناف المذكورة المخصوصة به.

وأرجعُ إلى تفسير تمام الكتاب الذي كنّا فيه أولاً(١).

قال: «وأمّا التنفّس فإنّه إذا كان متواتراً دلّ على التهاب»؛ يعني يكون حاله كحال الصنف من النبض، فإنّه إذا كان متواتراً دلّ على كثرة الحاجة إلى الترويح، فيدلّ على قوّة الحرارة(٢)، خصوصاً في المواضع القريبة، وإن كان بارداً كان دالّاً على غاية الضعف، فعلمنا ههنا في هذا الموضع ما يدلّ على المزاج الحارّ والبارد، إذ الفاعل على الإطلاق هما.

قال: «وإذا كان عظيماً، وكان يأتي فيما بين مدّة طويلة فإنّه يدلّ على اختلاط العقل»، لأنّ هذه الصفة دالّة على عدم النسبة المخصوصة ببقاء الذهن وصحّته

---

(١) العبارة في (ك): ولنرجع إلى التفسير. يعني ينتهي هنا قول ابن المطران، والعود إلى تفسير قول أبقراط.

(٢) كذا في الطب الحديث هناك نسبة بين ارتفاع الحرارة في الحميات وعدد مرات التنفس أو النبض.

الموجب لحركة التنفّس على ما ينبغي، وهذا يعرف بالمشاهدة من تنفّس المختلطِين إذا فسدت أذهانهم واختلطت عقولهم(١).

ثمّ [٨/ و/ س] انتقلَ إلى التنفّس الدالّ على الصحّة **فقال**: «وأمّا جودة التنفّس فإنّه يدلّ على الصحّة»، وعلى عدم الحاجة إلى الترويح، خصوصاً في جميع الأمراض الحادّة.

وقوله: «التي يأتي [١٥/ ظ/ ك] فيها البُحران(٢) في أربعين يوماً»؛ لا يُفهم منه التي يأتي منها في أربعين يوماً دون غيرها، بل التي يأتي البُحران في جميع أصنافها إلى أربعين يوماً حتّى يكون جامعاً للدلالة على جميع أصناف الأمراض الحادّة الأربعة التي ذكرناها.

---

(١) الجدير بالذكر أن من علماء العصر الحديث في الطب من وصف هذه الاضطرابات في التنفس فسميت باسمه؛ مثل تشاين ستوك Chyne stoke، وغيره.

(٢) **البُحران**، بالضم: استفراغ يعرض للعليل دفعة، بعد اضطراب وقلق شديد، إمّا بقيء أو خِلفة أو عرَق أو إدرار أو رعاف، ومنه بُحران محمود، ومنه بحران رديء. وفي لغة اليونان هو الفصل في الخطاب، أي الخطاب الذي يكون فصل الحُكم بين الخصمين؛ أي الطبيعة والمرض، فيكون إمّا إلى الصّحّة، وإمّا إلى العطب، وعند الأطبّاء هو ما يلزم ذلك الفصل، وهو تغيّر عظيم يحدث في المرض دفعة، إلى الصحّة أو إلى العطب، وقيل: هو يوم المناجزة بين المتغالبَين؛ ويراد به في الطبّ اليوم الذي تكون فيه المناجزة بين المرض وطبيعة المريض. واليوم الباحوري (على غير قياس كأنه منسوب إلى باحور وهو القمر): هو اليوم الذي تقع فيه المناجزة، (ويدعى حاليّاً Crisis). ينظر كتابنا (اصطلاحات الطب القديم).

(الفصل السابع عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا العرَق فأجود ما يكون منه في جميع الأمراض الحادّة ما يكون في يوم من أيّام البُحران، وينجو به صاحبه من حمّاه نجاةً تامّة، وقد يُحمد أيضاً ما يكون منه في البدن كلّه، فصار المريض به إلى أن يكون لمرضه احتمالاً. وأمّا ما لم يفعل من العرَق شيئاً من ذلك فليس ينتفع به؛ وأردأ ما يكون من العرَق ما كان بارداً، ثمّ كان في الرأس والرقبة فقط، فإنّ هذا العرَق إذا كان مع حمّى حادّة دلّ على الموت، وإذا كان مع حمّى هي ألْيَن وأسكَن أنذر بطول من المرض[(١)]».

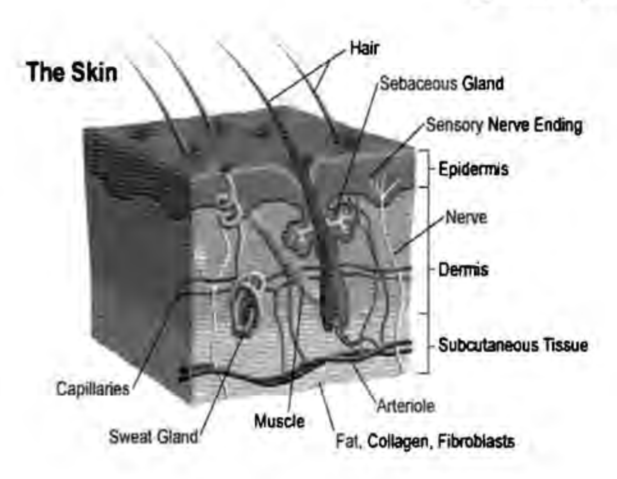
✍ **قال مهذّب الدين**: ينبغي أن نتكلّم أوّلاً على العرَق وأقسامِه، وعلى ما يدلّ، ثمّ من بعد ذلك نفسّر الفصل من أوّله إلى آخره[(٢)]، **فنقول**: العرَق عبارة عن المائيّة المندفعة من مسامّ الجلد إلى خارج البدن[(٣)]، وله أقسام كثيرة؛

---

(١) في جميع الأمراض... المرض: ساقطة (س).

(٢) من أوله إلى آخره: ساقطة (س).

(٣) ويكون ذلك بجهاز خاص يسمى الجهاز الغدي العرقي بواسطة الغدد العرقية Prespiratory glands (sweat glands).



منها ـ وهو المشهور أنّ الغذاء لا يصل إلى أعضاء البدن ولاسيّما البعيدة إلّا بموصل ـ وهو الماء، [١٦/ و/ك] فإذا وصل الدم إلى الأطراف والأعضاء البعيدة، فما تحلّل منه بالبخار كان تحلّلاً غير محسوس، وما خرج منه بالعرق فهو محسوس، هذا القسم هو العرَق بالحقيقة، وهو فضلة المائيّة المشروبة المندفعة من الجلد.

القسم الثاني عبارة عن مائيّة تدفعها الطبيعة، مستحيلة عن أحد الأخلاط الموجبة للأمراض المادّيّة؛ فتارةً تكون عن الدم، وتارة تكون[1] عن الصفراء، وتارة تكون عن البلغم، وتارة تكون عن السوداء. ويُعرف ذلك في أواخر[2] نوائب الحمّيات، ولاسيّما عند البُحران ـ كما قال جالينوس: «إنّ العرَق عرضَ لقومٍ أتاهم البُحران حتى بلّوا لحفاً وقطفاً».

القسم الثالث: يكون من ضعف القوّة الماسكة عندما تتخلّى عن فعلها، لعارض عرضَ لها أضعفها، ولاسيّما عند غلبة المِزاج [٨/ ظ/ س] الحارّ المفرط، فتتحلّل رطوبات البدن، ولاسيّما الأصليّة التي بها تماسك الأعضاء، وهذا يدلّ على الموت، ولاسيّما إذا كان لزجاً فإنّه يدلّ على فناء الرطوبة الأصليّة.

ثمّ ينقسم قسمة أخرى من مقدار أيضاً، **فتارةً يكون كثيراً، وتارةً يكون قليلاً.**

وينقسم أيضاً إلى لونه؛ فتارةً يكون أحمرَ، وتارة يكون أصفر، وتارة يكون كمداً، [١٦/ ظ/ك] وتارةً يكون أبيض على قدر الخلط الموجب له.

---

(١) عن الدم وتارة تكون: ساقطة (س).

(٢) أواخر: ساقطة (ك).

وينقسم أيضاً إلى رائحته؛ فتارةً يكون منتناً، وتارةً يكون طيّباً، وتارةً زهماً زفراً وما أشبهه.

وينقسم أيضاً إلى طعمه؛ فتارةً يكون مرّاً، وتارةً مالحاً، وتارة حلواً، وتارةً حامضاً، وما أشبه ذلك[1] على قدر الخِلط الموجب له.

وينقسم أيضاً إلى لمسه؛ فتارة يكون حارّاً، وتارة يكون بارداً.

فإذا عرفت هذه الأقسام[2] سهلَ عليك معرفة الفصل؛

فنقول: أمّا قول أبقراط: «أمّا العرق فأجود ما يكون منه»، أراد أن يعرّفنا في هذا الفصل العرَق الجيّد والرديء، فالجيّد ما كان فيه ثلاثة أوصاف؛ **أحدها** أن يكون في يوم من أيّام البُحران، **الثاني** أن ينجوَ به المريض من مرضه، **الثالث** أن يكون عامّا شاملاً.

أمّا كونه في يوم من أيّام البُحران[3] فيدلّ على أنّ ذلك عن دفع القوّة وقهرها لمادّة المرض، وأمّا أن ينجوَ منه المريض، فيدلّ على أنّ المادّة قد زالت.

وأمّا عمومه وشموله للبدن؛ فيدلّ على استيلاء جميع قوى البدن، ولاسيّما في الحمّيات، فإنّه من خصوصيّتها العموم، فإذا شمل العرق الجملة دلّ على قوّة الجملة.

قال: «وإذا كان العرق بخلاف [١٧/ و/ك] هذه الأوصاف فلا يُنتفع به».

وقال: «وأردأ العرق ما كان بارداً ثمّ كان في الرأس والرقبة».

---

(١) وما أشبه ذلك: ساقطة (س).

(٢) الأمور (ك).

(٣) من أيام البحران: باحوري (ك).

فإنّ هذا العرق إذا كان مع حمّى حادّة دلّ [٩/ و/ س] على الموت، أمّا كونه بارداً فيدلّ على فجاجة الأخلاط وغلظها[١]، وأن الطبيعة لم تفعل فيه شيئاً يوجب له اللطافة، وأنّه خرج للكثرة، لا لاستيلاء القوّة.

وأمّا إذا كان بهذه الصفة في الرأس والرقبة فيدلّ على أنّ القوّةَ التي في الأعضاء الشريفة المدبّرةَ عاجزةٌ عن فعل ما ينبغي فيدلّ على الرداءة، فإذا كان مع حمّى حادّة دلّ على الموت، لأنّ الحمّى الحادّة[٢] إذا لم تقوَ على إحالة المادّة الباردة فيدلّ على غايةِ بُعْدِها عن الصلاح، فيدلّ على الموت، وإذا كان مع حمّى هادئة أنذر بطول المرض، لأنّها قد يمكن فيها أن يستولي فيها أو[٣] عليها مع الدوام.





(١) الأخلاط وغلظها: الخلط وغلظه (ك).

(٢) لأن الحمى الحادة: ساقطة (س).

(٣) فيها أو: ساقطة (س).

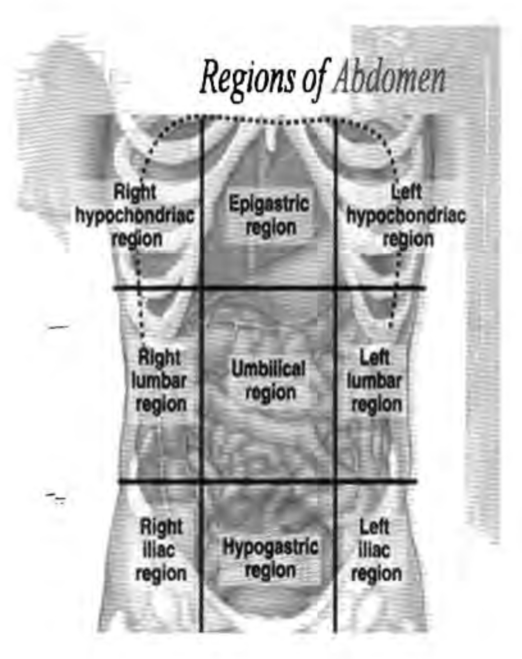
(الفصل الثامن عشر)

✍ **قال أبقراط**: «فأمّا دون الشراسيف فأجود حالاته أن يكون سليماً من الألم، ليّناً، مستوياً من الجانب الأيمن والأيسر(١)، فأمّا متى كان ملتهباً مؤلماً أو متمدّداً، أو كان جانبه الأيمن مخالفاً لجانبه الأيسر؛ فجميع ذاك ينبغي أن يُحذر.

فإن كان في نفْس ذلك الموضع [١٧/ ظ/ ك] أيضاً الذي دون الشراسيف ضرَبان دلّ على اضطراب أو على اختلاط عقل، لكنّه ينبغي أن تتفقّد العينين من أصحاب هذه الحال؛ فإن رأيت العينين متحرّكتين حركة متواترة فتوقّع لصاحبها الجنون.

وأمّا التربّل الحادث فيما دون الشراسيف ـ إذا كان جاسياً مؤلماً فأردأ ما يكون

(١) وتسمى في الطب الحديث Hypochondrium، وهي في الأيمن والأيسر الأعلى من البطن:





منه ما اشتمل على ذلك الموضع كلّه، فإن كان في أحد الجانبين فالأسلم منه ما كان في الجانب الأيسر، وهذه الأورام تدلّ في أوّل الأمر على خطرٍ من الموت وحياً[(١)]، فإن جاوزت عشرين يوماً والورم لم يسكن آل أمرها إلى التقيّح[(٢)]».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ أبقراط في هذا الفصل أراد أن يعرّفنا حال بعض الأعضاء الباطنة التي هي من جملة الأحشاء، وهي التي ما دون الشراسيف إلى العانة، فعرّفنا الحال التي تقتضي أن يكون لها بالطبع إذا لُمست، وإذا تحقّقت عُرف مقدار الخروج عنها، **فقال**: «وأمّا ما دون الشراسيف فأجود حالاته أن يكون سليماً من الألم، مستوياً من الجانب الأيمن والأيسر»، لأنّ هذه الأوصاف تدلّ على سلامة الأعضاء التي[(٣)] في هذه المواضع من الآفات، ولاسيّما إذا كانت سليمة [١٨/و/ك] من الآلام والأوجاع لأنّها حسّاسة، فأيّ شيء حدث فيها ممّا هو منافٍ للألم الطبيعي أدركتْهُ القوّة الحسّاسة.

قال: «ويكون مستوياً من الجانب الأيمن والأيسر»؛ أي تكون أحوال الكبد والطحال على ما ينبغي أن يكونا عليه.

قال: «فأمّا ما كان ملتهباً أو مؤلماً أو متمدّداً، أو كان جانبه الأيمن مخالفاً لجانبه الأيسر»؛ أي كانت فيه صفة [٩/ظ/س] خارجة عن الأمر الطبيعي، فيكون مخالفاً للآخر من حيث إنّه مريض والآخر صحيح أو بالعكس.

---

(١) **الوحِيّ**: على مثيل السريع، يقال: موت وحِيّ. وَحَيّ: هو السّرعة.

(٢) لينا مستوياً... التقيح: لم ترد الفقرات هذه في (س).

(٣) الأعضاء التي: ما (س).

قال: «فإن كان في نفس ذلك الموضع الذي دون الشراسيف ضرَبان دلّ على اضطراب وعلى اختلاط عقل، لكنّه ينبغي أن يتفقّد من أصحاب هذه الحال؛ فإن رأيت العينين تتحرّكان حركة متواترة[١] فتوقّع لصاحبها الجنون».

أمّا قوله: «فإن كان في نفس ذلك الموضع الذي دون الشراسيف ضرَبان»؛ يعني إمّا اختلاج[٢]، وإمّا ضربان عن أورام حارّة عظيمة تحدث في بعض الأحشاء يوجد من ضرب العرق ضربان شديد بسبب المزاحمة، فهو يدلّ على آفة حدثت في الحجاب الفاصل بين الأحشاء، فإذا وقع ذلك شاركه الدماغ في الآفة، فتغيّر [١٨/ظ/ك] الذهن[٣] لما يلحقه من الآفة ضرورة، لأنّه خرج عن المجرى الطبيعي فتتغيّر أوصافه، والعقل والذهن والفكر بمعنى واحد، وهو عبارة عن القوّة التي في البطن الأوسط من الدماغ، ولذلك يحدث عن ورم حارّ عظيم في فم المعدة، يشاركه الدماغ كما قلنا، لكثرة حسّه على الرأي الصحيح.

ثمّ قال: «وينبغي أن يتفقّد من أصحاب هذه الحال العينين[٤]، فإن رأيت العينين تتحرّكان حركة متواترة فتوقّع لصاحبها الجنون».

اعلم أنّ الجنون عبارة عن اختلاط العقل عن موادّ حارّة حادثة في الدماغ، فإذا اشتدّ اختلاط العقل عن أورام حادثة في الأحشاء ـ كما قلنا ـ عن مشاركة الحجاب أو فم المعدة مثلاً، فانظر إلى العينين؛ فإن رأيت حركتهما متواترة فتحقّق غلبة الحرارة،

(١) الحركة المتواترة للعينين: تسمى هذه في الطب الحديث (الرأرأة Nystagmus).
(٢) يعني إما اختلاج: أو اختلاج (ك).
(٣) اللون (ك).
(٤) العينين: ساقطة (س).

لأنّه اشتداد اختلاط العقل عن موادّ حارّة، ولا يكون اضطراب العينين وتواتر حركتهما إلا عن سوء مزاج حارّ بمادّة أو بغير مادّة.

[١٠/ و/ س] **قال**: «وأمّا التربّل[1] الحادث فيما دون الشراسيف؛ إذا كان جاسياً مؤلماً فأردأ ما يكون منه ما اشتمل على ذلك الموضع كلّه، فإن كان في أحد الجانبين فالأسلم منه ما كان في الجانب الأيسر».

[١٩/ و/ ك] **اعلم** أنّ أبقراط أراد بهذا القول أن يعرّفنا حال الآفة والورم إذا كان عامّاً أو كان خاصّاً كيف الحال به؟

اعلم أنّ الورم إذا حدث في الأحشاء، وكان عامّاً لها وللبدن ـ كالاستسقاء مثلاً ؛ فهو أردأ من أن يكون في البعض، لأنّ الآفة فيه تكون قويّة عامّة شاملة، وإن كان في أحد الجانبين فهو في الجانب الأيسر أقلّ رداءة، لأنّه يكون في الطحال ـ وهو أخسّ. وإن كان في الجانب الأيمن كان أردأ لأنّه يدلّ على آفة في الكبد ـ وهو أشرف.

قال: «وهذه الأورام في أوّل الأمر تدلّ على خطر من الموت وحيّاً».

اعلم أنّ الأورام التي تعرض في الأحشاء كالمعدة والكبد والحجاب وما أشبهها، في أوّل الأمر ما حدثت إلا عن سبب قويّ أوجبها في هذه الأعضاء الشريفة؛ فالموت يتوقّع للمريض في هذا الوقت لعجز القوّة، ولكثرة المادّة، وقوّة المرض.

---

(١) **التربُّل**: بالتشديد، انتفاخ يعرض للأطراف وغيرها، لانصباب بلغم رقيق، بسبب ضعف الهضم، كما يحصل في الاستسقاء. وقيل: التربُّل هو كثرة اللحم والاسترخاء. (اصطلاحات الطب القديم).

قوله: «ويكون موتاً وحيّاً»؛ لأنّه في أعضاء شريفة، لا يحتمل البقاء لشرفها إذا عجزت وقوي المرض.

قال: «فإن جاوزت عشرين يوماً والورم لم يسكن آل أمرها إلى التقيّح».

اعلم أنّ الورم يؤول حاله ـ على ما ذكر جالينوس ـ إلى [١٩/ ظ/ ك] السلامة، إذا وجد فيه[١] أحد ثلاثة أمور؛ إمّا أن يفنى ويتحلل، وإمّا أن يصلب ويتحجّر، وإمّا أن ينضج ويتقيّح. وأصلح الأمور وأحسنها من هذه الأوصاف[٢] الثلاثة أن يفنى ويتحلّل، وهذا لا تفعله إلّا الحرارة القويّة، والمفرطة المتوقّدة[٣]، وهذه الأوصاف تكون للحرارة في الأمراض الحادّة[٤] في أوّل المرض [١٠/ ظ/ س] إلى العشرين[٥]، لأنّها نهاية الأمراض الحادّة على الإطلاق ـ كما تقدّم ذكرها وأقسامها، فإن لم تقوَ عليها فالحرارة حينئذ آخذة في النقصان، فلم يبق إلا أن تنضج وتتقيّح مع الطول لضعف الحرارة التي[٦] عن التحليل.

كما قلنا: إنّ القسم الرابع من أقسام الأمراض الحادّة التي من العشرين إلى الأربعين تسمّى حادّة منتقلة؛ أي منتقلة من الحدّة إلى قريب من الإزمان.

فإن قال قائل: أنت قد ذكرت أنّ الأورام تنتقل ـ إذا مالت إلى السلامة ـ إلى

---

(١) إذا وجد فيه: وإلى (ك).

(٢) الأمور (ك).

(٣) المتوفرة (ك).

(٤) في الأمراض الحادة: ساقطة (س).

(٥) عشرين يوماً (ك).

(٦) التي: ساقطة (ك).

واحد من ثلاثة أمور، فلِمَ ذكرتَ أنّها تفنى وتتحلّل إلى العشرين؟ فإن لم تفنَ[(١)] وتتحلّل فإنّ حالها يؤول إلى التقيّح، فيلزمك أن تقول[(٢)]: «أو إلى الصلابة والتحجّر»؛ **فنقول**: الذي ذكرت وارد، لكن الجواب عنه يكون[(٣)] من وجهين؛

أحدهما أنّ أبقراط أراد أن يعرّفنا أحسن الحالات التي تؤول إليها الأورام، وأحسنها [٢٠/و/ك] إذا مالت إلى السلامة من أحد[(٤)] هذين القسمين.

الثاني[(٥)] أنّ الصلابة والتحجّر لا يكونان إلا عند ضعف القوّة وخمود الحرارة المنضجة أو المحلّلة إلى الغاية، وهذه الحالة قليلة الوقوع، لأنّ أكثر المرضى يميلون إلى الصحّة أو إلى قريب منها، والقليل إلى العطب، والتجربة تشهد بذلك، لأنّ أكثر من تعرض له الأورام[(٦)] ـ خصوصاً في الأحشاء ـ إمّا أن تتحلّل، وإمّا أن تتقيّح. وأمّا الصلابة فقليلة الوقوع لِما ذكرنا.

---

(١) لم تفن: تفنى (ك).

(٢) فيلزمك أن تقول: ساقطة (ك).

(٣) لكن الجواب عنه يكون: لك الجواب عنه (ك).

(٤) أحد: ساقطة (ك).

(٥) الثاني: ساقطة (س).

(٦) الأمراض (س).

(الفصل التاسع عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وقد يحدث لأصحاب هذه الحال في الدور الأوّل انبعاث دم من المنخرين[(١)] ينتفعون به جدّاً، لكن ينبغي أن تسألهم: هل يجدون صداعاً أو غشاوة؟ فإنّه إن كان بهم شيء من ذلك فإلى هناك الميل، وأحرى أن تتوقّع انبعاث ذلك الدم لمن كان سنّه دون الخمس وثلاثين سنة[(٢)]».

✍ **قال مهذّب الدين**: لابد قبل شرح الفصل أن نبيّن حقيقة الدور وأقسامه، ثمّ نبتدئ في الفصل لتسهل معرفته **فنقول**: اعلم أنّ الدور يقال على معنيين؛ [١١/ و/ س] **أحدهما** دور الحمّى، وهو عبارةٌ عن الوقت الذي بدأتْ فيه إلى الوقت الذي تبدأ فيه مرّة ثانية[(٣)]، [٢٠/ ظ/ ك] **وهذا** يتضمّن زمان الأخذ وزمان التَّرك، وأمّا زمان[(٤)] الأخذ فقط فيسمّى عند جالينوس القِلد[(٥)].

الثاني؛ الوقت الذي يتوقّع فيه البُحران، وينقسم إلى دور أوّل، ودور ثانٍ، ودور ثالث، ودور رابع، ودور خامس؛ **فالأوّل** الأرابيع، **والثاني** الأسابيع، **والثالث** العشرونيّات[(٦)]، **والرابع** الأشهر، **والخامس** السنين.

---

(١) دم من المنخرين: الدم (س).

(٢) ينتفعون به... سنة: ساقطة (س).

(٣) أخرى (ك).

(٤) الأخذ... زمان: الترك وزمان (س).

(٥) القلد: قِلْد: بالكسر، النّصيب من الماء، ويوم نوبة الحمّى، والجمع أقلاد. (اصطلاحات الطب القديم). وفي (المخصص لابن سيده): القِلد: يوم تأتيه الرِّبع.

(٦) العشرينات (ك).

أمّا الأرابيع والأسابيع فجعلوا ما يحدث فيها منسوباً[١] لتأثير القمر، وأمّا العشرونيّات[٢] والأشهر فللشمس، وأمّا السنون فلزحل ولغيره من الكواكب الباقية من السبعة المشهورة، فإذا عرفت ذلك فقد يحدث[٣] لأصحاب هذه الأورام الحارّة في الأحشاء أن تميل المادّة إلى الأعلى لحدّتها فتوجب الرعاف، وهذا ليس بالضرورة بل بالإمكان.

وقوله: «في الدور الأوّل»؛ لأنّ القوّة أوّل ما يظهر فعلها في البُحران الأوّل، وهو الذي يكون في الرابع، فلا جرَم **قال**: «في الدور الأوّل»، ويعني به ما ذكرنا، وهذا إذا عرض ينتفعون به، لأنّه من مادّة البُحران، دفعتها الطبيعة فخرج بالرعاف.

ثمّ ممّا يقوّي دليلك[٤] أن تسأل المريض إن كان يجد صداعاً أو غشاوة، فميل المادّة إلى هناك[٥]، وهذا [٢١/و/ك] ممّا يقوّي ظنّك بحدوثه.

قال: «وأحرَى أن تتوقّع انبعاث الدم لمن كان سنّه دون الخمس والثلاثين سنة»؛ يعني أنّ الرعاف لا يتوقّع إلّا في سنّ الصبا والشباب[٦]، ونهاية ذلك خمسٌ وثلاثون سنة، وهذا مناسب لحدوثه دون سن الكهول والمشايخ.

---

(١) من التغايير فيها (ك).

(٢) العشرينات (ك).

(٣) حددت (ك).

(٤) ثم مما يقوي دليلك: ومما يقوي ما حكمت به (ك).

(٥) فميل المادة إلى هناك: فإلى هناك الميل يعني ميل المادة (ك).

(٦) ويسمى في الطب الحديث رعاف الشبان الأصحاء.

(الفصل العشرون)

✍ **قال أبقراط**: «فأمّا ما كان من الأورام ليّناً، لا وجع معه، يتحرّك تحت غمز الأصابع إذا وضعت عليه، فبحرانه يكون أبطأ، إلّا أنّه أقلّ عادية من تلك الأورام الأُوَل[(١)]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ الأورام [١١/ظ/س] الباردة الرطبة الرخوة، خصوصاً التي تتحرّك تحت غمز الأصابع؛ يكون بُحرانها أبطأ، لأنّ النضج بالحرارة، ويكون أقلّ عادية لقلّة وجعها، فإنّ الوجع موهنٌ للقوّة، مضعف لها، موجبٌ لسقوطها.

(١) لا وجع معه... الأول: ساقطة (س).

(الفصل الحادي والعشرون)

✍ **قال أبقراط**: «فإن جاوزت ستّين يوماً والحمّى باقية والورم ساكن؛ دلّ ذلك أيضاً على أنّ الورم يتقيّح، وما يكون من الأورام أيضاً في سائر نواحي البطن فمجراه يجري هذا المجرى[1]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ الأورام إذا جاوزت ستّين يوماً تكون موادّها غليظة، غير حارّة، ولا حادّة، فهي لا تتحلّل لأنّها غليظة[2]، ولأنّ وقت التحلّل [٢١/ ظ/ك] المخصوص بالأورام الحارّة قد تعدَّى ـ على ما تقرّر ـ إلى العشرين، ولم يبقَ من الأمور الصالحة بعد التحلّل إلا التقيّح، وجميع الأورام التي في سائر نواحي البطن فمجراها[3] هذا المجرى، لأنّ تعليلَ الجميع واحدٌ إذا تشابهت.

(١) والورم ساكن... المجرى: ساقطة (س).

(٢) لأنها غليظة: لذلك (س).

(٣) تجري (ك).

(الفصل الثاني والعشرون)

قال أبقراط: «وما كان من الأورام صلباً مؤلماً فإنّه يدلّ على الخطر وعلى الموت الوحيّ، وما كان منها ليّناً غير مؤلم لم يتحرّك تحت الغمز من الأصابع فهو أبطأ من تلك. والأورام التي تكون في البطن فهي أقلّ جمعاً من الأورام التي تكون فيما دون الشراسيف. وأقلّها تقيّحاً ما كان أسفل السرّة، وإنّما ينبغي أن تتوقّع في تلك انبعاث الدم وخاصّة في المواضع التي هي أعلى منها[١]».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ الأورام الصلبة المؤلمة خطرها شديد، لألمها الموجب ـ كما قلنا[٢] ـ لسقوط القوّة، ولصلابتها التي لا تواتي الانفعال والنضج، وما كان منها ليّناً فهو أبطأ من تلك؛ يعني أنّها لا تؤذي، وإن آذت فبطيء، لأنّه ليس فيها[٣] ما يحفّز القوّة.

قال: «والأورام التي تكون في البطن فهي أقلّ جمعاً من الأورام التي تكون فيما دون الشراسيف»؛ يعني أنّ الأورام التي تكون في المواضع العالية تكون إلى التحليل [٢٢/و/ك] أمْيَل بحرارة الأعضاء التي في أعالي البطن كالقلب والكبد مثلاً، والتي تكون آخذة إلى أسفل السرّة تكون في أعضاء عصبيّة لا تواتي التحليل، فتميل إلى عدم التحلّل وإلى قلّة التقيّح[٤].

(١) فإنه يدل... منها: ساقطة (س).
(٢) كما قلنا: ساقطة (س).
(٣) لأنه ليس فيها: لأن ما فيها (ك).
(٤) قلة التقيح: القيح (س).

قوله: «وإنّما ينبغي أن تتوقّع في ذلك انبعاث الدم، وخاصّة من المواضع التي هي أعلى منها»؛ يعني تتوقّع انبعاث الدم في الأورام المتقدّمة الحارّة، خصوصاً ما كان منها في أعالي [١٢/و/س] البطن، وكلّما كانت أقرب إلى العلوّ كانت أقرب إلى ما ذكرنا.

(الفصل الثالث والعشرون)

✍ **قال أبقراط**: «وجميع الأورام إذا طالت مدّتها وأزمنت في هذه المواضع فينبغي أن تتوقّع لها التقيّح».

✍ **قال مهذّب الدين**: لأنّه قال فيما تقدّم: «إنّ الأورام الحارّة تتحلّل[١] إلى العشرين»، ومن بعد ذلك لا يرجى لها إلا التقيّح، هذا إذا مالت المادّة إلى أحسن الحالات[٢]، وإلّا فيلزم أن تحدث الصلابة أيضاً، كما[٣] تقدّم البحث فيه.

(١) لها أن تتحلل (ك).
(٢) الحالات كما ذكرنا (ك).
(٣) لكن كما (ك).

(الفصل الرابع والعشرون)

قال أبقراط: «وينبغي أن تجعل نظرك في الأورام التي تتقيّح في تلك النواحي على هذا المثال، أقول: أحمد ما يكون ممّا تميل منها إلى خارج ما كان منها صغيراً وكان على غاية الميل إلى خارج وكان مروّساً [٢٢/ ظ/ك] محدود الرأس، وأردؤها ما كان عظيماً عريضاً، ليس له رأس كبير محدّد، وأحمد ما يكون انفجاره منها إلى داخل ما لم يكن بوجه من الوجوه مشاركاً للموضع الخارج، لكنّها تكون منقبضة لاطئة لا وجع معها، ويُرى الموضع الخارج منها كلّه متشابه اللون. وأمّا المِدّة[١] فأحمد ما يكون منها ما كان أبيض اللون مستوياً أملس وليس له رائحة كريهة، وأمّا ما كانت حاله على غاية المضادّة لتلك الحال فهو في غاية الرداءة[٢]».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ أبقراط يريد أن يعرّفنا في هذا الفصل حال الأورام التي في الأعضاء الباطنة والظاهرة من البطن التي في العضل أو في الجلد أو في الأغشية التي عليه إذا تقيّحت وانفجرت، وكيف حال المِدّة الجيّدة والرديئة، وهذه الأحوال التي ذكرها تتبع الأورام والخُرَاجات والدبيلات، ولابدّ من تعرّف هذه الثلاثة ليُعرف حكم[٣] كلّ واحد منها، **فنقول**:

أمّا الأورام؛ فهي عبارة عن زيادة خارجة عن الأمر الطبيعي، تعرض لأعضاء البدن عن الأخلاط الأربعة، والمائيّة، والريح، إمّا عن مجموعها، وإمّا عن البعض.

---

(١) المدّة: بالكسر؛ هي القيح.

(٢) أقول... الرداءة: هذه الفقرات لم ترد في (س).

(٣) حال (ك).

وأمّا الخُرَاجات: فهي الأورام التي [٢٣/ و/ ك] تستحيل إلى المِدّة.

وأمّا الدبيلات(١): فهي الأورام العظيمة التي تكون في الأحشاء.

هذا ما ذكره جالينوس في «كتابه إلى أغلوقن»(٢)

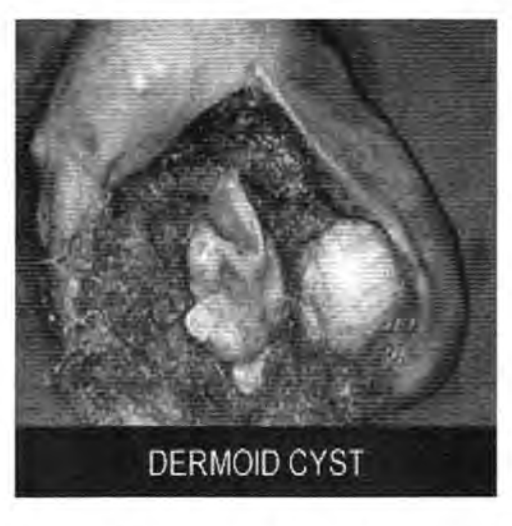
قوله: «وينبغي أن تجعل نظرك في الأورام التي تتقيّح في تلك النواحي على هذا المثال»؛ أراد بتلك النواحي ما ذكرنا من الأعضاء الباطنة والظاهرة.

ثمّ قال في المثال(٣): «أجود ما يكون منها ما مال إلى خارج، وكان صغيراً، وكان في غاية [١٢/ ظ/ س] الميل إلى خارج(٤)، وكان مروّساً محدّد الرأس»؛ لأنّه

---

(١) **الدُّبَيْلَة**: الخُراج البارد المادّة حيث كان من البدن، وهي في الطب الحديث الورم العجائبي Teratoma، أو الكيسة البشروية Dermoid cyst.





(٢) هذا ما ذكره... أغلوقن: هكذا ذكر جالينوس في كتابه إلى أغلوقن، هذا مضى. (ك).

(٣) ثم قال في المثال: فقال (ك).

(٤) إلى خارج: ساقطة (ك).

إذا كان بهذه الأوصاف دلّ على قوّة القوّة، لأنّها دفعته إلى خارج، والأعضاء الخارجة أخسّ، والداخلة أشرف، **والصغير** منها(١) يدلّ على قلّة(٢) المادّة، وذلك أجْوَد من كثرتها. وأمّا كونه في غاية الميل إلى خارج فيدلّ على غاية(٣) قوّة القوّة الدافعة، وأمّا كونه مروّساً محدّداً فيدلّ على لطف المادّة وسرعة انفعالها وسرعة برودها.

قال: وأردؤها ما كان بضدّ هذه الأوصاف، لأنّه يدلّ على حصول الأوصاف المذمومة.

قال: وأحمدُ ما كان انفجاره منها إلى داخل ما لم يكن مشاركاً للموضع الخارج، لأنّه إذا كان قد انفجر من داخل ومن خارج دلّ على قوّة المرض [٢٣/ظ/ك] وعموم الآفة، وأنّ ذلك الانفجار كان لكثرة المادّة حتّى خرقت الأعضاء وبرزت منها، وأنّ ذلك لم يكن عن قوّة القوّة. وإذا كان الأمر بهذه الصفة(٤) كانت المضرّة والآفة قويّة عظيمة.

قال: «وأمّا المِدّة فأفضل حالها أن تكون بيضاء ملساء(٥)، ذات قوام معتدل بين الرقّة والثخن، وأن تكون خالية من النتن».

---

(١) والصغير منها: والثاني وهو الصغير (ك).

(٢) قوة (ك).

(٣) غاية: ساقطة (ك).

(٤) الأمر بهذه الصفة: بهذه الصفات (ك).

(٥) ملساء: ساقطة (ك).

أمّا بياضها؛ فاعلم أنّ الطبيعة التي في بدن الإنسان تفعل في أربعة أشياء فعلاً واحداً إذا كانت على أفضل(١) ما ينبغي أن تكون عليه من الصلاح، فيكون ذلك الفعل هو الصفة المحمودة.

وقد ذكر هذا الفعل(٢) جالينوس في كتاب «**حيلة البرء**» **فقال**: «أربعة أشياء متشابهة في صورتها؛ وهي المِدّة، والثفل الراسب في البول الطبيعي، والمنِيّ، واللبن». كلّ واحد من هذه الأربعة المذكورة ينبغي أن يكون أبيض اللون، معتدل القوام، خالياً من الرائحة العفنة الكريهة.

أمّا بياضه؛ فلأنّ الطبيعة [١٣/و/س] تقصد فيه المشابهة بالأعضاء الأصليّة.

قال: «وجميع الأعضاء التي في بدن الإنسان الأصليّة وغيرها لونها أبيض»(٣)، وقد ذكر ذلك جالينوس، فإن أشكل ذلك عليك باللحم فاغسلْه تجدْه أبيض اللون، لأنّه إنّما صار أو(٤) كان مصبوغاً بالدم، فلمّا زال [٢٤/و/ك] عنه بالغسل رجع كما كان أبيض اللون.

وأمّا اعتدالها؛ فيدلّ على تشابه أجزائها، وأنّه خالٍ من الاختلاف.

وأمّا خلوّها من النتن فيدلّ على عدم العفونة.

---

(١) أفضل: ساقطة (ك).

(٢) ذكر هذا الفعل: ذكره (ك).

(٣) لعل هذا القول عائد إلى جالينوس.

(٤) إنما صار أو: ساقطة (س).

قال: «ومتى كانت المِدّة بضدّ هذه الأوصاف[١] دلّت على الرداءة لا محالة[٢]»، والله أعلم.

تمَت المقالة الأولى[٣]

(١) الأوصاف المذكورة (ك).

(٢) لا محالة: ساقطة (ك).

(٣) هذه العبارة لم ترد في (س).

عنه بالغسل رجع كما كان ابيض اللون. واما احتلالها فيدل
على ثبات بدنه لجزائها وانفصالها عن الاعتلال. واما خلوها من النتن
فيدل على عدم العفونة. قال ومتى كانت المدة بعيدة من الاوصاف
المذكورة دلت على الهلاك والله اعلم. تمت المقالة الاولى.

المقالة الثانية من شرح تقدمة المعرفة لمهذب الدين

قال ابقراط واما الاستسقاء الذي يكون من الامراض الحادة فكله
رديء وذلك ان صاحبه لا يتخلص من الحمى الشديدة ويولم الما
شديدا ويتولد اكثر ما يبتدئ من الخاصرتين والقطن. ومنه
ما يبتدئ من الكبد. فان ابتدا به الاستسقاء من الخاصرتين والقطن
فان قدميه يتورمان ويصيبه ذرب يدوم به مدة طويلة ولا
تنحل به الاوجاع التي يجدها في خاصرتيه وفي قطنه ولا ينزع
بطنه. واما الاستسقاء الذي يكون من الكبد فيعرض لصاحبه
ان تدعوه نفسه الى ان يسعل من غير ان ينفث شيئا يعتد به
وترم قدماه ولا ينطلق بطنه ولا يخرج منه الا شيئا يسير
يابس صلب باستكراه. وتحدث في بطنه اورام بعضها في الجانب

يعضد فيه المتشابهة بالاعضاء الاصلية قال وجميع الاعضاء

التي في بدن الانسان الاصلية وغيرها لونها ابيض وقد ذكر

ذلك جالينوس فان اشكل ذلك عليك باللحم فاعلم انه ابيض

اللون لانه كان مصبوغا بالدم فما زال بالغسل رجع كما كان

ابيض اللون واما اعتدالها فيدل على تشابه اجزائها وانه

قال من الاختلاف واما خلوها من النتن فيدل على عدم العفونة

قال ومتى كانت المدة بضد هذه الاوصاف دلت على الرديئة

لا محالة المقالة الثانية قال ابقراط فاما الاستسقاء الذي يكون

من الامراض الحادة فكله ردي قال المفسر هذه ثلاث فصول

متعلقة بالاستسقاء الذي يكون عن الامراض الحادة فنفصل

الكلام فيها واحدا بعد واحد فنقول اعلم ان الكلام في الاستسقاء

يجب ان يكون [illegible] لما فيه من الصعوبة عند المتقدمين من الاطباء

فوجب علينا ان نبينه ونوضح اقسامه وعلى اي الحادث اي اصنافه

اردى واصعب ثم بعد ذلك نشرع في شرح الفصول المذكورة فنقول ثلثة

اما الاستسقاء فقد حده الشيخ الرئيس في القانون بانه مرض

مادي سببه مادة غريبة تتخلل الاعضاء فتربو بها اما الاعضاء

كلها واما المواضع الخالية التي فيها تدبير الغذاء والاخلاط وهذا

الحد يشاركه فيه الجذام فانه مرض مادي سببه مادة غريبة مارة

تتخلل الاعضاء فتربو بها كلها على الاكثر او ببعضها كما في الاورام

السوداوية والبلغمية التي تحدث في المواضع الخالية فلذلك

[illegible]

المقالة الثانية
من شرح تقدمة المعرفة لمهذّب الدين[١]

(الفصل الأوّل)

قال أبقراط: «فأمّا الاستسقاء[٢] الذي يكون من الأمراض الحادّة فكلّه

---

(١) من شرح تقدمة المعرفة لمهذب الدين: ساقطة (س).

(٢) **الاستسقاء**: إمّا ورم جميع البدن، أو عِظَم البطن المفرط؛ ومن أنواعه اللحمي والزقّي والطبليّ. والاستسقاء في اللغة طلب الماء، وهذا معنى عام، وسقى بطنه واستسقى: أي اجتمع فيه ماء أصفر. وفي الطب: هو مرض ذو مادة باردة غريبة، تدخل الأعضاء فتربو بها؛ إما في الأعضاء الظاهرة كلّها، أو في مواضع تدبير الغذاء والأخلاط. قال داود الأنطاكي: هو من أمراض الكبد أصالة في الأصحّ، وقيل قديماً من الطحال. ويسمّى حالياً البطني منه: الحبن Ascites. (اصطلاحات الطب القديم).



حبن Ascites

رديء، وذلك أنّ صاحبه لا يتخلّص من الحمّى الشديدة، ويؤلم ألماً شديداً، ويقتل. وأكثر ما يبتدئ من الخاصرتين والقَطن، ومنه ما يبتدئ من الكبد؛ فمن ابتدأ به الاستسقاء من الخاصرتين والقَطن فإنّ قدَميه تورمان، ويعرض له ذرَب يدوم به مدّة طويلة، ولا تنحلّ به الأوجاع التي يجدها في خاصرتيه وفي قَطنه، ولا يفرغ بطنه. وأمّا الاستسقاء الذي يكون من الكبد فيعرض لصاحبه أن تدعوه نفسه إلى أن يسعل من غير أن ينفث شيئاً يُعتدّ به، وترم قدماه، ولا ينطلق بطنه، ولا يخرج منه إلا شيء يسير يابس صلب باستكراه. وتحدث في بطنه أورام بعضها في الجانب [٢٤/ظ/ك] الأيمن، وبعضها في الأيسر تظهر أحياناً، ثمّ لا تلبث أن تسكن[(١)]».

قال مهذّب الدين: هذه ثلاثة فصول متعلّقة بالاستسقاء الذي يكون عن الأمراض الحادّة، فنجعل الكلام فيها واحداً يشملها **فنقول**:

اعلم أنّ الكلام في الاستسقاء يجب أن يكون محرّراً، لما[(٢)] فيه من الصعوبة عند المتقدّمين من الأطبّاء؛ فوجب علينا أن نبيّنه، ونوضّح أقسامه، وعن ماذا يحدث[(٣)]، وأيّ أصنافه أردأ وأصعب، ثمّ بعد ذلك نشرع في شرح الفصول الثلاثة المذكورة، **فنقول**:

أمّا الاستسقاء؛ فقد حدّه الشيخ الرئيس في «القانون» بأنّه مرضٌ مادّيّ، سببه مادّة غريبة تتخلّل الأعضاء فتربو[(٤)] بها، إمّا الأعضاء كلّها، وإمّا المواضع الخالية التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط.

وهذا الحدّ يشاركه فيه الجذام؛ فإنّه مرض مادّيّ سببه مادّة غريبة باردة تتخلّل

---

(١) وذلك أن صاحبه... تسكن: ساقطة (س).

(٢) متقناً لما وقع (ك).

(٣) فوجب... يحدث: فيجب علينا أولاً أن نبين ما هو وكم هي أقسامه وعن أي الأسباب يحدث (ك).

(٤) فترم (ك).

الأعضاء فتربو بها كلّها على الأكثر، أو بعضها كما في الأورام السوداويّة والبلغميّة التي تحدث في المواضع الخالية مثلاً ولا يكون استسقاء.

وكان الواجب أن نميّزه عن مشاركة غيره معه [١٣/ ظ/س] **فنقول**: الاستسقاء مرضٌ [٢٥/ و/ك] مادّيّ من أمراض الكبد، يعمّ الأعضاء بأسرها، أو الأفضية التي في الأحشاء، ويتقدّمه تهيّج الأطراف، فيتميّز بهذا عن الجذام وعن الأورام.

فإن قال قائل: «هذا باطل، فإنّ اليرقان مرضٌ مادّيّ يعمّ الأعضاء، وهو من أمراض الكبد»؛ فنقول الجواب: إنّما قولنا: «إنّه مرض مادّيّ من أمراض الكبد يعمّ الأعضاء بأسرها والأفضية التي في الأحشاء ويتقدّمه تهيّج الأطراف»، واليرقان ليس كذلك؛ فعلى هذا الحدّ لا يرد شيء من الإشكالات.

وينقسم إلى أقسام ثلاثة، وإنّما صار كذلك لأنّ السبب الموجب له إمّا أن يكون قويّاً، أو ضعيفاً، أو متوسّطاً .**فإن** كان قويّاً أحدث الاستسقاء اللحميّ، **وإن** كان ضعيفاً أحدث الاستسقاء المائيّ[١]، وإن كان متوسّطاً أحدث الاستسقاء الطبليّ[٢]. وأردأ أصنافه اللحميّ لقوّة السبب وعموم الآفة. والاستسقاء يحدث عن ضعف الكبد، وضعفها يكون عن سوء الأمزجة إذا أفرطت، ويميّزه كلّ مزاج بعلاماته.

عدنا[٣] إلى شرح الفصول الثلاثة، **فنقول**: أراد أبقراط أن يعرّفنا الاستسقاء الذي يكون عن الأمراض الحادّة والأمزجة الحارّة المضعّفة للكبد، وأراد أن يبيّن [٢٥/ ظ/ك] أنّ السبب الموجب له قد يكون ابتداءً من الكبد وقد[٤] يكون بمشاركة الكبد لغيرها،

---

(١) الريحي (ك).

(٢) المائي (ك).

(٣) هذا مضى ثم نعود (ك).

(٤) وأراد أن يبين... وقد: ساقطة (س).

وأراد أن يعرّفنا الفرق بينهما **فقال**: أمّا الذي يحصل للكبد في الأمراض الحادّة بالمشاركة، فعلى الأكثر تقترن به الحمّى، ويؤلم ألماً شديداً، لأنّه حادثٌ عن الكيفيّة الحارّة المؤلمة بالذات التي هي أقوى الفاعلين، الحادثة في الأعضاء التي هي الأمعاء[١] وما يليها، وهذه الأعضاء حسّاسة، تتألّم بحسّها، بخلاف الكبد فإنّها [١٤/و/س] غير حسّاسة، ثمّ هذا الاستسقاء الذي يحدث في الأمراض الحادّة عن أسباب حادثة للأعضاء التي في الأحشاء[٢] ابتداءً، يتبعه إسهال لضعف هذه الأعضاء[٣] عن هضم الأغذية التي فيها، ولعجزها عن مسكه إذا ضعفت قواها.

وأمّا الذي يكون عن الكبد ابتداءً في الأمراض الحادّة، فتكون الطبيعة معها يابسة لشدّة حرارتها، ولأنّها تجفّف ما فيها وما يليها من الرطوبات، ولأنّها غير حسّاسة لم تدفع الموادّ عنها فتبقى جافّة يابسة.

قوله: «وأمّا من ابتدأ به الاستسقاء من الخاصرتين والقطن فإنّ قدميه يرمان[٤]»؛

---

(١) الأعضاء (س).

(٢) الأعضاء (س).

(٣) ابتداء... الأعضاء: ساقطة (س).

(٤) يرقان (س). وهذه صورة وذمة القدمين:



لأنّها أقرب إلى الضرر الواقع في الأطراف الموجب لضعفها وعجزها عن هضم ما [٢٦/و/ك] فيها من الأغذية، فتكثر الموادّ وتتبخّر[١] وتعجز القوّة عن دفعها عنها فتورّمها[٢]، وإن كان أيضاً يحدث عن الكبد مثل ذلك، لكن عن هذا أقرب وأسرع، ويدوم الإسهال لدوام السبب الموجب لضعف الأحشاء، ولا تنحلّ به الأوجاع، لأنّ السبب الموجب للوجع الحرارة، وهي باقية، فيدوم المسبّب لدوام السبب.

وقوله: «ولا يفرغ بطنه»؛ أي لا يتحلّل الاستسقاء بوجود الإسهال، لأنّ الإسهال من موادّ غير المادّة الموجبة للاستسقاء، لا يُفهم منه أنّه لا يفرغ بطنه أي أنّه لا ينسهل، فإنّ ذلك تناقض، لأنّا قرّرنا أنّ الإسهال يتبعه، بل يزيد به ما ذكرنا.

وأمّا الاستسقاء الذي يكون عن الكبد وعن أورامها فيعرض معه سعال يابس؛ أمّا السعال[٣] فلمزاحمة الرئة فتتأذّى، فيحدث السعال، إذ هو حركة من الرئة لدفع المؤذي. وأمّا كونه يابساً لأنّه خالٍ عن الموادّ، إذ لا معنى للسعال اليابس إلا الذي يكون عديماً للنفْث، وتحدث معه أورام في الجانب الأيمن والأيسر، لاستعداد هذه الأعضاء لقبول [١٤/ظ/س] الموادّ فيها، ولعجزها عن دفعها لضعفها، ثمّ يعرض لها أن تتحلّل ـ إذا كانت بخاريّة ـ بسرعة [٢٦/ظ/ك] للطفها.

(١) وتتحير (س).

(٢) وتعجز... فتورمها: وتعجز عنها (س).

(٣) يابس أما السعال: ساقطة (س).

(الفصل الثاني)

✍ **قال أبقراط**: «وإذا كان الرأس والقدمان والكفّان باردة، والبطن والجنبان حارّة؛ فذلك رديء».

✍ **قال مهذّب الدين**: هذا الكلام لا يُفهم مُطلقاً، بل في الأمراض الحادّة لا غير، والدليل على ذلك من وجهين؛ **أحدهما** أنّ الأمراض المزمنة توجب برودة البدن بالذات، فلا ضرر إذا كانت الأطراف فيها باردة. **الثاني** ما ذكره أبقراط في كتاب «الفصول»[1]، وهو قوله: «برد الأطراف في الأمراض الحادّة دليل رديء»؛ خصّ أبقراط القول بالأمراض الحادّة، ورداءته **إمّا** لضعف الحرارة الغريزيّة وعجزها عن النفوذ إلى الأطراف، **وإمّا** لأورام حادثة في بعض الأحشاء تجذب الحرارة إليها كما تجذب المحجمة الدم إليها.





(١) في كتاب الفصول: ساقطة (س).

(الفصل الثالث)

✍ **قال أبقراط**: «ومن أفضل الأمور أن يكون البدن كلّه حارّاً ليّناً على استواء، وينبغي أن يكون تقلّب المريض تقلّباً سهلاً، فإذا استقلّ كان بدنه خفيفاً، ومتى كان البدن ثقيلاً، واليدان والرجلان ثقيلتان فالخطر أزيد، فإن كان مع الثقل كمودة تضرب إلى الخضرة في الأظافير والأصابع فالموت حالّ عن قريب. وقد تسودّ الأصابع وأصول القدمين فيكون ذلك أقلّ في الدلالة على الهلاك [٢٧/و/ك] منها إذا كانت قد مالت إلى الخضرة والكمودة، لكنه ينبغي لك عند ذلك أن تتفقّد سائر الدلائل وتدبّر أمرها، فإنّك إن رأيت المريض محتملاً لما حلّ به من الآفة احتمالاً سهلاً، أو كان مع ذلك دليل آخر من الدلائل التي تدلّ على السلامة؛ دلّ ذلك على أنّ المرض يندفع بخُراج حتّى يسلم المريض، وتسقط المواضع التي قد اسودّت من البدن»(١).

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ أفضل الأبدان الصحيحة أو المريضة الدالّة على الصلاح والخير أن يكون مزاج الحياة غالباً عليها، وهو الحارّ الرطب على استواء، ولزوم المقدار الطبيعي، فإنّ المزاج الحارّ الرطب مطلقاً ليس بصالح، فقد يغلب على الأبدان بعض الحمّيات البلغميّة والدمويّة، فيكون الحارّ الرطب فيها ظاهراً غالباً، وليس بصالح، لأنّه غريب مضرّ، بل الحارّ الرطب اللازم للمقدار الطبيعي هو الأفضل(٢)، وأن يكون مستوياً غير مختلف ولا مضرّ، بل شاملاً لجملة البدن، فإنّه إذا كان على هذه الحال كان صالحاً.

---

(١) ليناً على استواء... البدن: ساقطة (س).

(٢) هو الأفضل: ساقطة (ك).

قال: «وينبغي أن يكون تقلّب المريض تقلّباً سهلاً، فإذا استقلّ[١] كان بدنه خفيفاً».

اعلم أنّ المحرّك للبدن، الحامل له، هو القوّة المحرّكة الواصلة [١٥/و/س] في الأعصاب، [٢٧/ظ/ك] والعضل إلى الأعضاء بواسطة الأرواح[٢]، فإن كان تقلّبه تقلّباً سهلاً دلّ على قوّة القوّة النفسانيّة التي في الدماغ.

فالطبيب الفاضل[٣] يستدلّ بأفعال البدن على جودة القوى إن كانت من القلب أو من الدماغ أو من الكبد، فإنّ لكلّ واحد[٤] قوّة يستدلّ عليها بفعلها، فإذا كانت الأفعال قويّة كانت أسبابها ـ وهي القوى ـ كذلك .وإذا كانت القوى قويّة[٥] دلّت على صلاح الأعضاء الرئيسة.

قال[٦]: «ومتى كان البدن ثقيلاً واليدان والرجلان ثقيلتان فالخطر أزيد».

لاشكّ أنّ الثقل إذا كان في الجملة كانت دلالته على الرداءة أعظم منها إذا كانت في البعض.

قال: «وإذا كان مع الثقل كمودة تضرب إلى الخضرة في الأظفار والأصابع؛ فالموت حالّ عن قريب».

---

(١) انتقل (س).

(٢) بواسطة الأرواح: ساقطة (س).

(٣) الواصل (ك).

(٤) لكل واحد: كل (ك).

(٥) كذلك (ك).

(٦) القول في ذلك يعود دائماً لأبقراط.

اعلم أنّ الخطر[(١)] إذا كان مع الثقل على انفراده؛ دلّ على ضعف القوّة النفسانيّة، فإذا كان مع الثقل كمودة دلّ على ضعف القوّة الحيوانيّة، وضعف الحرارة الغريزيّة وانطفائها، فمتى اجتمع هذان الأمران دلّ على قرب الهلاك.

قال: «وسواد الأصابع أقلّ في الدلالة على الهلاك منها إذا مالت إلى الكمودة، وذلك لأنّ سواد الأطراف يدلّ على انصباب [٢٨/ و/ ك] موادّ سوداويّة سوّدَتْها».

أمّا الكمودة؛ فتدلّ على انطفاء الحرارة الغريزيّة، وهذا أردأ، لأنّ وجود الموادّ السوداويّة في الأطراف يمكن أن يكون في بعض الأوقات عن دفع من القوى الطبيعيّة، وفي بعض الأوقات عن الكثرة من هذه الأخلاط، وعلى كلا التقديرين لا يكون ضرره ودلالته على الهلاك مثل دلالة الكمودة، لأنّ الكمودة [١٥/ ظ/ س] في الأطراف قولاً واحداً[(٢)]: تدلّ على انطفاء الحرارة الغريزيّة.

---

(١) اعلم أن الخطر: ثم (س).

(٢) قولاً واحداً متفق عليه (ك).

(الفصل الرابع)

✍ **قال أبقراط**: «فأمّا الأنثيان والقضيب إذا تقلّصت فإنّه تدلّ على ألم أو على الموت».

✍ **قال مهذّب الدين**: هذا الحكم لا يجب أن يكون مطلقاً، فإنّ هذه الأعضاء قد تتقلّص عند البرد الشديد والفزع العظيم(١) وغير ذلك، ولا تدلّ على ألم ولا على موت، لكن هذا يكون في الأمراض الحادّة إذا اقترن بها ضعف القوّة أو أورام في الأحشاء فيحصل ذلك.

أمّا الألم فلأجل ورم الأحشاء وما يتبعه من تفرّق الاتّصال، وأمّا الموت فلضعف القوّة وعجزها، فإنّها لضعفها تطلب الانجذاب إلى معادنها، فتتقلّص الأعضاء المواتية للتقلّص بسبب ميلها إلى ما قلنا.

(١) الشديد (س).

(الفصل الخامس)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا النوم؛ فينبغي أن يكون [٢٨/ظ/ك] على ما جرت به العادة، مثل مجرى الطبع حتى يكون المريض بالنهار منتبهاً وبالليل نائماً، فإن تغيّر ذلك كان الحال أردأ، وأقلّ ما يكون الأذى والمكروه من النوم، وإذا نام المريض في أوّل النهار إلى أن يمضي منه نحو من ثلاث ساعات، وأمّا النوم الذي بعد هذا الوقت فهو أردأ، ومن أردأ الحالات أن لا ينام المريض لا بالليل ولا بالنهار، وذلك أنّه يسهر إمّا من وجع وألم شديد، أو أن يصيبه اختلاط في عقله من قبل هذا الدليل[(١)]».

✍ **قال مهذّب الدين**: هذا الفصل ذكر فيه أبقراط أمرَ النوم وما يدلّ عليه من خير وشرّ.

أمّا النوم: فهو عبارة عن حالة للبدن يتبعها غور الحرارة الغريزيّة والقوى إلى باطن البدن لطلب الراحة، هذا حدّه.

وله وقت معيّن وهو الليل، ولأجل ذلك كان[(٢)] من حكمة الله تعالى[(٣)] أنّه أعدم الشمس ليلاً وأوجب الظلمة، ليكون ذلك سبباً لغور القوى من الظاهر إلى الباطن، لأنّها تنفر وتجتمع من الظلمة لتستريح ويزول عنها التعب والكلال الذي عرض لها بسبب الحركات النهاريّة، وتبرز وتظهر بالنهار لوجود الشمس المنيرة الموجبة لظهور

(١) مثل مجرى... الدليل: ساقطة (س).

(٢) على ما ذكروه (ك).

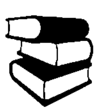
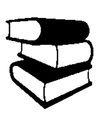
(٣) الخالق عز وجل (ك).

القوى وبسطها[(١)] للتصرّف بحركاتها [٢٩/و/ك] في منافعها؛ فسبحان الخلّاق العظيم!.

فنوم المريض بالنهار يدلّ على تغيّر العادة الطبيعيّة الصالحة، فيدلّ ذلك على الضرر[(٢)]، اللهمّ [١٦/و/س] إلّا أن يكون قد اعتاد ذلك فتكون له عادة أَلِفها فلا تدلّ على ضرر.

وأردأ من ذلك عدم النوم بالليل والنهار؛ فإنّه يدلّ على مرضٍ من يبسٍ أو غيره في الدماغ، أو في بعض الأعضاء.

أمّا قوله: «أو على اختلاط العقل»؛ فهو داخل في قولنا: أو على مرض في الدماغ من يبس أو غيره، فإنّ اختلاط العقل لابد وأن يكون عن مرض في الدماغ.

(١) وانشراحها (ك).

(٢) فيدل ذلك على الضرر: ساقطة (ك).

(الفصل السادس)

قال أبقراط: «وأمّا البراز؛ فأحمَدُه ما كان ليّناً مجتمعاً، وكان خروجه في وقت خروجه كما كان في حال الصحّة، وكان مقداره بقياس ما يرد البدن، وذلك أنّ البراز إذا كان بهذه الحالة كانت الناحية السفلى من البطن صحيحة.

فإن كان البراز رقيقاً فيحمد منه أن لا يكون معه صوت، وأن لا يكون خروجه متواتراً، قليلاً قليلاً، وذلك أنّه إذا كان كذلك حتى يحدث للمريض إعياء من كثرة القيام وتتابعه عرض له من ذلك سهر، فإن خرج شيء كثير مراراً كثيرة لم يؤمن على المريض الغشْي، ولكنّه ينبغي أن يكون البراز بحسب ما يرد البدن؛ مرّتين أو ثلاث مرّات بالنهار، [٢٩/و/ك] ومرّة بالليل، ويكون أكثره وقت السحر، أو كما من عادة الإنسان أن يقوم[١]».

قال مهذّب الدين: هذا الفصل وما بعده من الفصول الستّة[٢]، يذكر فيها أبقراط أمرَ البراز وما يدلّ عليه.

ونحن نذكر أوّلاً ما معنى البراز، وما يدلّ عليه[٣]، وعلى أيّ شيء يُطلق، وكم هي أصنافه، فإنّني تعبت في تحريرها مع شيخي **موفّق الدين بن المطران**، وقلّما تقع

(١) وكان خروجه... يقوم: ساقطة (س).

(٢) الحسنة (س).

(٣) وما يدلّ عليه: ساقطة (س).

في الكتب الطبّيّة على ما أذكر، فيجب على من طالعها أن يعتني بها ويضبطها لينتفع بمعرفتها[١]، **فأقول:**

أمّا البراز؛ فإنّها لفظة مشتقّة ممّا يبرز من البدن، لكنّها خُصِّصت بما يبرز من البدن من الدبر، وينقسم إلى قسمين؛

طبيعي: وهو البراز الحقيقيّ الذي حدّه جالينوس بأنّه فضلة الهضم الأوّل، المعتدل القوام، الآتي في السحر، المائل إلى الصفرة، القليل النتن.

وغير طبيعي: ويسمّى أيضاً برازاً، لبروزه من البدن من الدبر بغير الأوصاف المذكورة؛ فمنه الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، وهذه الأربعة عن الأخلاط الأربعة. والمائيّ؛ وهو ما يكون عن ضعف القوّة عن مَسك المائيّة[٢] وخروجها من الدبر، والغُسالي، والمِدّة، والأغراس[٣]، والدسم الدهني، والدوديّ[٤]، [٣٠/و/ك] فهذه عشرة.

فمنها ما يختصّ بعضو، ومنه ما يعمّ الأعضاء؛ فالمختصّ بعضو ثلاثة[٥]:

---

(١) فإنني تعبت... بمعرفتها: ساقطة (س).

(٢) عن مسك المائية: الماسكة عن المائية (ك).

(٣) الأغراس: الشهود؛ ما يخرج على رأس الصبي، الواحدة غرس. (العين). وفي (لسان العرب): هو الذي يخرج معه كأنّه مخاط، وهي جلدة رقيقة تخرج مع الولد إذا خرج من بطن أمه.

(٤) والدود (س).

(٥) ومنه... ثلاثة: وهو (ك).

الغسالي، والأغراس، والدوديّ[١]، وتبقى سبعة غير مختصّة بعضوٍ تكون[٢] عامّةً تأتي من جملة الأعضاء، وقد تكون هذه السبعة المذكورة يأتي كلّ واحد منها من عضو من الأعضاء الآليّة، [١٦/ظ/س] وتختلف بحسبه.

والأعضاء الآليّة على ما ذُكر عشرون عضواً[٣]، فعشرون في سبعة مائة وأربعين، وتلك عشرة، فتكون الجملة مائة وخمسين صنفاً.

ثمّ نعود إلى شرح الفصل[٤] فنقول:

أمّا قوله: «أمّا البراز فأحمدُه ما كان ليّناً مجتمعاً، وكان خروجه في وقت خروجه كما كان في حال الصحّة»؛ فهذا يدلّ على لزوم قوّة البدن للحالِ الطبيعيّة، وعدم خروجها عنه.

قال[٥]: «وكان مقداره بقياس ما يرد البدن»؛ لأنّه إذا كان أكثر دلّ على خروج الأخلاط الطبيعيّة عن الاعتدال، أو أمر آخر[٦] خارج غير الأخلاط أوجب ذلك، وإذا كان أقلّ دلّ على قصور القوّة الدافعة التي من شأنها دفع الفضلة بكمالها.

قال: «فإن كان رقيقاً فيُحمد منه أن لا يكون معه صوت»؛ لأنّه يدلّ على ضعف الأحشاء وتولّد الرياح فيها.

---

(١) والدود (س).

(٢) غير مختصة بعضو تكون: ساقطة (س).

(٣) عضواً: ساقطة (ك).

(٤) ثم نعود إلى شرح الفصل: ساقطة (س).

(٥) قال: ساقطة (ك).

(٦) أكثر... آخر: عن الاعتدال الأمر (س).

قال: «ولا يكون خروجه متواتراً»؛ لأنّه إذا كان كذلك دلّ على قوّة السبب المؤذي وعِظَمه.

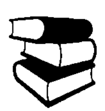
قال: «ولا [٣٠/ظ/ك] يكون قليلاً»؛ فإنّه يوجب للمريض ضعفاً بسبب كثرة الحركة.

قال: «ويكون خروجه بالليل والنهار مرّتين، أو ثلاث مرّات، ويكون أكثره وقت السَّحَر»؛ لكمال الهضوم الثلاثة.

فإن قال قائل: فما بالنا ننتظر به وقت السحر وكمال الهضوم الثلاثة، والبراز إنّما هو[1] عبارة عن فضلة الهضم الأوّل كما ذكر[2]، وفضلة الهضم الثالث تخرج بالعرق والوسخ؟

قلنا: الذي ذكرته صحيح، لا جرَم أنّنا اشترطنا أن يكون بالنهار مرّتين، ووقت السحر مرّة، لا لأنّ ذلك يأتي من الهضم الثالث، بل لتستوعب القوّة المميّزة من الثفل[3] الذي في الأمعاء ما يُحتاج إليه في كمال اليوم بأسره، فإنّها تعجز أن تفعل ذلك في بعض هذا الوقت، والعيان يشهد بصحّته.

والحاصل [١٧/و/س] في البراز المحمود أن يكون جامعاً للكيفيّة الصالحة له، والكمّيّة الصالحة أيضاً، والوقت المعيّن له.

---

(١) والبراز إنما هو: وهو (ك).

(٢) كما ذكر: ساقطة (س).

(٣) الثفل: ساقطة (ك).

(الفصل السابع)

✍ **قال أبقراط**: «وينبغي أن يثخن البراز إذا أمعن المرض[(١)] نحو البُحران».

✍ **قال مهذّب الدين**: أراد بالثخن هنا الاعتدال، وكذلك إذا قال في البول: ينبغي أن يكون غليظاً؛ يعني به معتدلاً. وقد أشار جالينوس إلى ذلك في «**شرح كتاب الفصول**»، والمعنى: كلّما[(٢)] قرب المريض نحو البُحران الصالح قويت القوّة [٣١/ و/ ك] فعدّلت الأخلاط.

(١) المريض (ك).

(٢) والمعنى كلما: فكلما (ك).

(الفصل الثامن)

قال أبقراط: «وينبغي أن يكون مائلاً إلى الصفرة ما هو، ولا يكون شديد النتن».

قال مهذّب الدين: أمّا كونه مائلاً إلى الصفرة؛ فلأنّ المرّة الصفراء من جملة منافعها أنّ بعضها ينصبّ إلى الأمعاء فيلذعها، فينبّه لدفع البراز، فيكون[١] بسبب ذلك مائلاً إلى الصفرة، ولا يكون شديد النتن، لأنّه إذا كان كذلك دلّ على قوّة العفن ورداءة الحال في ذلك، بل يكون نتنه يسيراً.

ولقد سألتُ جماعةً من فضلاء الأطبّاء عن[٢] معرفة سبب النتن في البراز مطلقاً، وخصوصاً في الإنسان؟ **فقال** بعضهم: إنّ الرطوبة إذا احتقنت واجتمعت فيها أبخرة عفّنتها فيتبع ذلك النتن.

قلت[٣]: فلِمَ كان النتن في هذا العضو المعيّن دون غيره من الأعضاء المجوّفة الحاوية للرطوبات المحقونة[٤] فيها؛ كالدم في العروق، والمخّ، والعظام[٥] وما أشبهها؟

(١) فيأتي (ك).
(٢) ولقد... عن: ولقد بحثت مراراً كثيرة مع جماعة من فضلاء الأطبّاء وغيرهم على (ك).
(٣) قلنا (ك).
(٤) المحتوية (ك).
(٥) والمخ والعظام: ومخ العظام الذي فيها (ك).

فقال: إنّ القوّة المدبّرة في البدن تحامي عن تلك الأعضاء، وتمنع حصول العفونة والنتن فيها.

قلت[(١)]: ففي هذه الأعضاء؛ أعني الأمعاء قوَى مثل تلك القوى، [٣١/ظ/ك] فلمَ صارت تحامي عن البعض دون البعض؟ فلم يحصل جواب[(٢)]، وبقي [١٧/ظ/س] الحال واقفاً[(٣)] في هذه المسألة.

(١) قلنا (ك).

(٢) فلم يحصل جواب: ساقطة (ك).

(٣) موقوفاً (ك).

(الفصل التاسع)

✍ **قال أبقراط**: «وممّا يُحمد أيضاً أن يخرج مع البراز حيّات إذا أمعن المريض نحو البُحران».

✍ **قال مهذّب الدين**: كلّ ما كان رديئاً مؤذياً يُحمد خروجه عن البدن مطلقاً، وأمّا تخصيصه عند البُحران فهو يدلّ على أنّ الخروج لدفع الطبيعة، وإلّا فمن الجائز أن يخرج ذلك للكثرة فلا يكون جيّداً، وإن كان خروجه على أيّ حال[1] كان جيّداً.

(١) وجه (ك).

(الفصل العاشر)

✍ **قال أبقراط**: «وينبغي أن يكون البطن في كلّ مرض خالياً سميناً».

✍ **قال مهذّب الدين**: يعني خالياً من الأورام، وغير ذلك من الأشياء الرديئة المؤذية؛ كسوء الأمزجة وغيرها.

وقوله: «سميناً»؛ أي لا يكون قد جفّفته الأمراض الحادّة وأنهكتْه، بل يكون ليّناً رطباً على حالته الطبيعيّة.

(الفصل الحادي عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا البراز المائيّ، والأبيض، والأصفر الشديد الصفرة، والزبَديّ، وكلّ ذلك رديء».

✍ **قال مهذّب الدين**: لأنّ جميع ذلك خارجٌ عن الطبيعة كما بيّناه.





(الفصل الثاني عشر)

✍ **قال أبقراط**: «ومن البراز الرديء؛ البراز اليسير اللزج الأملس، الأبيض منه والأصفر».

✍ **قال مهذّب الدين**: هذا يدلّ على ذوبان الأعضاء الأصليّة، فإنّه مخصوصٌ بها أن يخرج ما ينحلّ [٣٢/ و/ ك] من دهنيّتها قليلاً قليلاً، ولاسيّما إذا كانت الأعضاء التي ينحلّ منها ما يخرج ويذوب بعيده[١]، وهذه حالة رديئة[٢]، سواء كانت مع لون أبيض أو أصفر أو غير ذلك.

(١) ما يخرج ويذوب بعيده: ويذوب ما يخرج بعده (ك).

(٢) وهذه حالة رديئة: وهي رديئة دائماً (ك).

(الفصل الثالث عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وأدلّ من هذه على الموت البراز الأسود، والدسِم، والأخضر، والمنتن».

✍ **قال مهذّب الدين**: أمّا الأسود فلبعده عن الحال الطبيعيّة، والأخضر كذلك، والدسِم يدلّ على الذوبان، والمنتن على العفونة. وهذه تدلّ على الموت على الأمر الأكثر [١٨/و/س] إذا اقترنت بها علامات أُخَر رديئة، وإلّا فمن حيث هي؛ هي لا تدلّ دلالة قاطعة على الموت.

(الفصل الرابع عشر)

قال أبقراط: «وكلّما كانت الألوان أكثر كان المرض أطوَل»[(١)].

---

(١) هذا الفصل أصله في كتاب «تقدمة المعرفة لأبقراط»: وأما البراز المختلف الألوان فينذر من طول المرض بأكثر ما تنذر به تلك الأصناف، وليس ما يدلّ عليه من الهلاك بدون ما يدل عليه تلك، وأعني بذلك ما كان من البراز فيه خراطة وما يضرب لونه إلى لون الكراث، وما كان أسود. وربما خرجت هذه الألوان كلها معاً، وربما خرج كل واحد منها على حدة، وكلما كانت الألوان أكثر كان المرض أطول. (كذا في كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط، نسخة الإسكندرية ص١٣، ١٤، ونسخة سوهاج ص ١٣).

وشرحه لابن النفيس (من مخطوط شرح تقدمة المعرفة لأبقراط، تأليف ابن النفيس، نسخة الإسكندرية ص٥١): إنما يمكن أن يكون البراز مختلف الألوان إذا كان ما يخالطه كذلك، وإنما يكون ذلك إذا كانت تلك المخالطات مختلفة الطبائع، ويلزم ذلك أن يكون المرض أطول وأردأ مما إذا كانت إحدى تلك الأصناف واحدة لأن صلاح نوع واحد أسهل لا محالة من أنواع كثيرة، ثم تلك الألوان لا تخلو أن تكون قريبة من الألوان الطبيعية أو لا تكون كذلك، والأول كما إذا كان بعض البراز أبيض وبعضه قليل الصفرة وبعضه شديد الصفرة، فإن هذا مع دلالته بطول المرض لا يكون دوامه كثيراً لأن تلك المواد تكون قريبة من المواد الطبيعية. والثاني كما إذا كان بعض البراز أسود وبعضه أخضر خراطة، فإن هذا مع دلالته على طول المرض يدل على ظلم الآفة لأن ذلك إنما يكون لمواد مع اختلافها رديئة فاسدة، ويلزم ذلك في أكثر الأمر الهلاك. قوله: وأعني بذلك ما كان من البراز فيه خراطة ما يضرب لونه إلى لون الكراث؛ يريد بذلك أنّ تلك الألوان تكون رديئة، وإنما يحتاج ليبصر به إلى ذلك لأنه ما يكون من الألوان ليس كذلك، فليس يدل على الهلاك، وكذلك الأنواع المتقدم ذكرها. وقوله: «وما يضرب لونه إلى لون الكراث وفيه ما هو أسود»؛ غرضه بذلك المثال على الألوان الرديئة، لا ما يكون من البراز فيه هذه الألوان فقط. قوله: «وربما خرجت هذه الألوان كلها معاً، وربما خرج كل واحد منها على حدة»؛ غرضه من هذا بيان أن دلالة الذي هو كذلك على الهلاك وعلى طول المرض مختلف سواء كان خروج تلك الألوان معاً أو على التعاقب. واعلم أن الألوان الرديئة الخارجة على التعاقب ربما دلت على خير، وذلك إذا كانت من مادة واحدة وكان الخارج أخيراً لفاعل أضعف؛ مثال ذلك كان البراز أولاً أسود بسبب الاحتراق وصار كراثياً، فإن هذا يكون ذا احتراق أقل (بالأصل: ذا أقل احتراق)، وعكس هذا رديء.

✍ **قال مهذّب الدين:** لأنّ الطبيعة لا تقدر على إصلاح الأخلاط المختلفة في زمان يسير، كما إذا كان للإنسان أعداء كثيرة، فلابد من مهلة من الزمان لإصلاحهم.

(الفصل الخامس عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا الريح[١]؛ فأحمدُ خروجها ما لم يكن معها صوت، وخروجها على كلّ حال مع صوت خير من احتقانها حيث هي، وإذا خرجت مع صوت فإنّها تدلّ على أنّ بصاحبها ألماً واختلاط عقل، إلّا أن يكون خروج الريح منه بإرادة[٢]».

✍ **قال مهذّب الدين**: غرض أبقراط من ذكر [٣٢/ ظ/ك] هذا[٣] الفصل أن يبيّن لنا أنّ خروج الريح من الدبر على أيّ حال كان يكون جيّداً صالحاً، لأنّ بقاء الريح في البدن على خلاف الأمر الطبيعيّ، لكن خروجها قد يكون مقترناً بصوت وقد لا يكون؛ فإن كان[٤] مع صوت دلّ ذلك على كثرة منها تضغط الموضع عند الخروج فيُسمع لها صوت، وخروج الريح[٥] مع صوت بحضرة جماعة لا يفعلها إلا من اختلط عقله، أو استخفّ بمن حضره[٦]، أو ممّن يُضحك منه كما عهد[٧] من المساخر وأراذل الناس.

---

(١) الريح: ساقطة (ك).

(٢) وخروجها... بإرادة: ساقطة (س).

(٣) من ذكر هذا: بهذا (س).

(٤) خرجت (ك).

(٥) وخروج الريح: وقد جرت العادة أن الريح التي تخرج (ك).

(٦) أو استخف بمن حضره: ساقطة (س).

(٧) أو ممن... عهد: أو يكون ممن يضحك عليه كما جرت العادة (ك).

وأمّا قوله: «إنّها تدلّ على ألـم»؛ يعني إذا وقع ذلك من شخص بحضرة جماعة؛ إن كان عقله باقياً عليه فهذا يدلّ على ألم عظيم، فعله ليخلص من ضرر ذلك الألم؛ كما يعرض لكثير ممّن يعتريه القولنج الشديد، فإنّه يختار فعل ذلك على الموت، ولو حضره من حضره.





(الفصل السادس عشر)

[(١)] ✍ **قال أبقراط**: «وأمّا الأورام التي تكون فيما دون الشراسيف وما يحفو منها إذا كان قريب العهد؛ فإنّ القرقرة الحادثة في تلك المواضع تحلّلها، وخاصّة إن خرجت مع البول والبراز، فإن لم تخرج فانتقالها، وقد ينتفع أيضاً [٣٣/و/ك] بانحدارها إلى أسفل».

✍ **قال مهذّب الدين**: لا يفهم من قوله: «وأمّا الأورام» مطلق الأورام، بل يعني الأورام المسمّاة بالترهّل التي تكون من رياحٍ ورطوبات يوجب وجودها نفوراً في الأحشاء، فإذا حدث في الأحشاء رياح وقراقر كانت من جنسها، فمتى انتقلت أو انحلّت أو تحلّلت استصحبتها، خصوصاً إذا مالت إلى مجرى البول أو البراز كان ذلك سبباً لزوالها، ومتى انتقلت كان ذلك نافعاً، لأنّ انتقالها يدلّ على قوّة العضو ودفعه لها، وهذا جميعه على الأكثر، ولاسيّما إذا كانت قليلة المقدار، فإنّها إذا كانت كثيرة المقدار كما يكون في الاستسقاء فإنّها لا تزول ولا تقلّ، وإن حدث معها قراقر ورياح، إلّا بأمور أُخَر[(٢)].

---

(١) هذا الفصل كله لم يرد في (س).

(٢) أعود للتذكير بأن هذا الفصل كله لم يرد في (س)، وما أثبتناه من (ك).

(الفصل السابع عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وأحمدُ البول ما كان فيه ثفل راسب أبيض أملس مستوٍ في مُدّة المرض كلّه إلى أن يأتي البُحران، فإنّ ذلك يدلّ على الثقة وعلى القصر من المرض، فإن أخلّ[1] حتّى يبول مرّة بولاً صافياً، ومرّة يرسب فيه ثفل أبيض أملس؛ كان المرض أطْوَل، وكان الأمن فيه أقلّ. فإن كان البول يضرب إلى الحمرة المشبعة، والثفل الراسب فيه بذلك اللون؛ [٣٣/ظ/ك] كان المرض أطْوَل مُدّة من الأوّل، ولكنّه يكون سليماً جدّاً. وأمّا متى كان الثفل الراسب في البول شبيهاً بجُلال السويق[2] فهو رديء، وأردأ منه ما كان شبيهاً بالصفائح، وما كان منه رقيقاً أبيض فهو رديء جدّاً، وأردأ منه ما كان شبيهاً بالنخالة. وأمّا الغمامة المتعلّقة في البول فإنّها متى كانت بيضاء فهي محمودة، ومتى كانت سوداء فهي مذمومة. ومادام البول أصفر، رقيق القوام فإنّه يدلّ على أنّ المرض لم ينضج، فإن كان مع ذلك في المُدّة طول فليس يؤمن أن لا يبقى المريض إلى أن ينضج مرضُه. ومِن أدلّ الأبواب على الموت ما كان مائيّاً، وكان منتناً، وما كان أسود، أو ما كان غليظاً[3]».

✍ **قال مهذّب الدين**: هذا الفصل وما بعده يذكر فيه أبقراط أمر البول وما يدلّ عليه، لكن يجب علينا قبل شرح هذا أن نبيّن ما هو البول؟ وكم هي ألوانه؟ وكم هي أصناف قوامه؟ وكم هي أصناف ما يرسب فيه؟ ثمّ نشرع في شرحه فنقول:

---

(١) بالأصل أكل (ك)، والصحيح ما أثبتناه. ينظر الشرح لاحقاً.

(٢) جلال السويق: هو الدشيش، والجلال هو العظيم من كل شيء، والسويق هو ما قلي من الحبوب ثم طحن. (ينظر اصطلاحات الطب القديم).

(٣) أبيض أملس مستو... غليظاً: هذه الفقرات ساقطة في (س).

[١٨/ظ/س] **أمّا البول**: فعبارة عن المائيّة الخارجة عن البدن؛ من الرجل من القضيب، ومن المرأة من الفرج.

وأمّا ألوانه؛ فعند بعضهم اثنا عشر لوناً، وعند بعضهم ثلاثة عشر لونا، والذي صحّ [٣٤/و/ك] عن جالينوس أنّها ثمانية عشر لوناً: **الأترجي**؛ وهو اللون الدالّ على الاعتدال، **والأبيض**؛ وهو ما يكون عن البلغم .**وأربعة عن الدم**؛ وهي **الأحمر القاني، والأحمر** الناصع، **والوردي، والأكهب**[١]. **وأربعة عن الصفراء**؛ وهي **الأصفر، والناريّ، والأرجوانيّ، والزعفرانيّ. وأربعة عن السوداء**؛ وهي **الأسود، والكمد، والنيلجي، والرصاصيّ**. وأربعة عن الاحتراق؛ وهي **الأخضر، والسلقي، والرماديّ، والشَّنْبَلِيديّ**[٢]. فهذه جملة الألوان.

---

(١) الكُهْبة: غُبرة مشرّبة سواداً (العين). وفي (الصحاح): هو لون ليس بخالص في الحمرة، وهو في الحمرة خاصّة.

(٢) الشنبليد: هو نبات الحلبة Trigonella foenum graecum (معجم النبات ١٨٣ ـ ٥). ويطلق أيضاً على السورنجان Colchicum automnale (معجم النبات ٥٤ ـ ٣).



الحلبة



السورنجان

واعلم أنّ اللون الشنبليدي منسوبٌ إلى زهر السورنجان، وله لون مركّب من حمرة شديدة وبياض أشبه شيئاً يكون بزهر اللوز المرّ، ويسمّى بهذا اللون بالإضافة إلى ما شابهه. وهو يدلّ على حرارة الكبد، فمتى رآه الطبيب الفاضل قصد إلى تبريد الكبد وتقويتها. وهذا موضع حسن غريب(١).

وأمّا الرسوب؛ فمنه ثفل، ومنه غير ذلك، فالذي يُقال له ثفل بالحقيقة هو عبارة عن مادّة تفوت القوّة الهاضمة فلا تهضمها.

وأمّا الرسوب فينقسم إلى أقسام ثلاثة؛ **إمّا** أن يكون من الأخلاط، **وإمّا** أن يكون من جواهر الأعضاء، **وإمّا** أن لا يكون من الأخلاط ولا من جواهر الأعضاء.

أمّا الذي من الأخلاط فهو الأبيض [٣٤/ ظ/ك] الخام، والأصفر، والأحمر، والأسود. وممّا يدلّ على احتراقها الأخضر، والزنجاري. وأمّا الذي يكون من جواهر الأعضاء فهو قطع اللحم، والدشيشي، والنخاليّ والكرسنّيّ.

وأمّا الذي لا يكون عن الأخلاط، ولا عن جوهر(٢) الأعضاء؛ فهو الرمل، والمِدّة، والشعر، والخيوط.

واعلم أنّ كلّ ثفل رسوب، وليس كلّ رسوب ثفلاً.

وأمّا قوام البول فينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ **الرقيق**، **والغليظ**، **والمعتدل** لا غير.

وأمّا الكدر، والخاثر(٣)، والصافي؛ [١٩/ و/س] فهي صفات لهذه الثلاثة، قد

---

(١) واعلم أن اللون... غريب: هذه الفقرات لم ترد في (س).

(٢) جوهر: ساقطة (ك).

(٣) النخالي (س).

تحصل لها، وقد لا تحصل، ويكون كلّ واحد من الثلاثة على حاله[١]، وإن حصلت له بعض هذه الصفات فقد يكون غليظاً كدراً، ورقيقاً كدراً، ومعتدلاً كدراً. وكذلك قد يكون غليظاً صافياً، ورقيقاً صافياً، ومعتدلاً صافياً، لأنّ الكدورة عبارة عن عدم تشابه أجزاء[٢] البول لمخالط خالطه.

والخاثر والكدر بمعنى واحد، والله أعلم.

نعود إلى الشرح[٣]؛

فقوله: «وأحمد البول ما كان فيه ثفل راسب أبيض أملس مستوٍ في مُدّة[٤] المرض كلّه إلى أن يأتي البحران»؛

فنقول[٥]: إن أُخِذ هذا اللفظ مطلقاً كان غير صحيح، وإنّما قلنا ذلك [٣٥/ و/ك] لأنّ مُدّة المرض كلّها عبارة عن جملة الأوقات الأربعة، فإذا ثبت ذلك لزم أن يكون في الابتداء نضج، وهذا غير صحيح، لأنّهم قد حدّدوا الابتداء فقالوا: هو أن تكون الأفعال الطبيعيّة قد نالها الضرر، وتكون القوّة الطبيعيّة لم تبتدئ بعد في إنضاج المادّة الموجبة للمرض، فكيف يكون في هذا الوقت ثفلٌ أبيضُ راسبٌ مستوٍ، وهو أوّل الأشياء على النضج؟

فنقول الجواب؛ إنّه عنى بقوله: «في مُدّة المرض كلّها» قضيّة مهملة؛ يعني بها المُدّة التي من شأنها أن يظهر فيها النضج، وهي الثلاثة الأُخَر.

---

(١) حاله: ساقطة (س).

(٢) أجزاء: ساقطة (س).

(٣) نعود إلى الشرح: ساقطة (س).

(٤) هذه (س).

(٥) قال مهذب الدين (ك).

وههنا بحث آخر، وذاك أنّ قوله: «أحمد البول ما كان فيه ثفل راسب أبيض أملس مستوٍ»؛ وذكره مطلقاً يُفهم منه مع أيّ لون اتّفق، وأيّ قوام اتفق[(١)]، وهذا غير صحيح، فإنّه إذا اتّفق معه لون رديء وقوام أردأ لم يكن أجود البول مطلقاً، فلابد من تقييده بما يزيل عنه هذه الشبهة.

والجواب عن هذا أنّ الأطبّاء إذا قالوا في شيء من هذه الأشياء: «إنّه صالح بصفة من الصفات»؛ يعنون[(٢)] أنّه معتدل فيما عداها.

مثال [١٩/ ظ/ س] ذلك أنّهم إذا قالوا في الدواء: «إنّه حارّ»؛ يعنون [٣٥/ ظ/ ك] به أنّه معتدلٌ في الرطوبة واليبوسة. وكذلك إذا قالوا: «إنّه باردٌ»؛ يعنون به أنّه معتدلٌ في الرطوبة واليبوسة، وكذلك في الرطب واليابس.

فيُفهم من قول أبقراط ـ قياساً[(٣)] على ما ذكرنا ـ أنّ أحمدَ البول ما كان فيه ثفل راسب أبيض أملس مستوٍ، مع اعتدال صفاته الأُخَر.

واعلم أنّه إذا كان في جميع الأوقات التي من شأنها أن يظهر فيها النضج فيكون موجوداً يدلّ على نضج الموادّ وطوعها للقوّة المدبّرة للبدن، وليس عندها ممانعة، فيدلّ على الثقة والأمن وقصر المرض لما ذكرنا.

وقوله: «فإن أخلّ[(٤)] حتّى يبول المريض[(٥)] مرّة بولاً صافياً، ومرّة يرسب فيه ثفل أبيض أملس راسب مستوٍ؛ كان المرض أطول مُدّة».

---

(١) وأي قوام اتفق: ساقطة (س).

(٢) يعنون: ساقطة (ك).

(٣) قياساً: ساقطة (س).

(٤) أكل (ك). وما أثبتناه من (س).

(٥) المريض: ساقطة (س).

هذا القول صحيح، لأنّه يدلّ(١) على أنّ بعض المادّة نضيج يأتي منه شيء، وبعضها غير نضيج لا يأتي منه شيء، فيحتاج إلى زمان يكمل فيه النضج، فيطول بالنسبة إلى الأوّل.

وقوله: «وكان الأمن فيه أقل»؛ **أقول**(٢): يعني من الأوّل.

قوله: «فإن كان البول(٣) يضرب إلى الحمرة المشبعة، والثفل الراسب فيه بذلك اللون؛ كان المرض أطول مُدّة من الأوّل، لكنّه يكون سليماً جدّاً».

أقول(٤): هذا [٣٦/و/ك] يدلّ على أنّ المادّة دمويّة، تحتاج الطبيعة إلى نضجها وتغييرها في مُدّة أكثر من المُدّة التي كانت في المرض الأوّل الذي الثفل الراسب فيه أبيض.

وأمّا كونه سليماً؛ لأنّ المادّة مناسبة للحياة، غير رديئة، لأنّ هذا خِلطٌ غاذٍ محبّبٌ للطبيعة، ليس كما في الأخلاط الأُخَر الرديئة(٥).

وقوله: «وأمّا متى كان الثفل الراسب في البول شبيهاً بجُلال السويق فهو رديء، وأردأ منه ما كان شبيهاً بالصفائح، [٢٠/و/س] وما كان منه رقيقاً أبيض فهو رديء جداً، وأردأ منه ما كان شبيهاً بالنخالة».

---

(١) لا يدل (س).

(٢) أقول: ساقطة (س).

(٣) الأول بولاً (ك).

(٤) أقول: ساقطة (س).

(٥) لأن هذا... الرديئة: بل هذا الخلط الغاذي حبيب للطبيعة وهو الدم، ليس هو كالسوداء وأصنافها المحترقة، ولا كالأخلاط الأخر الرديئة (ك).

اعلم أنّ هذه الأوصاف[١] الأربعة تدلّ على الذوبان، لكن بعضها أردأ من بعض على قدر اختلاف السبب في القوّة والضعف، فنستدلّ بكثرة الأجزاء وغلظها[٢] على قوّة السبب، فتكون أردأ مع اشتراك الكلّ[٣] في الرداءة.

وقوله: «وأمّا الغمامة المتعلّقة في البول فإنّها متى كانت بيضاء فهي محمودة، ومتى كانت سوداء فهي مذمومة».

هذا قولٌ صحيح لاشكّ فيه[٤]، لأنّها متى كانت بيضاء دلّت على النضج التامّ في اللون ما قصّرت إلّا في المكان. وأمّا إذا كانت سوداء [٣٦/ ظ/ ك] فإنّها تدلّ على ضدّ ما ذكرنا[٥]، لأنّ الرسوب إنّما يكون صالحاً إذا كان لونه أبيض، لأنّه يدلّ على مشابهته للأعضاء الأصليّة، والأسود ليس كذلك[٦].

وقوله: «ومادام البول أصفر رقيق القوام فإنّه يدلّ على أنّ المرض لم ينضج».

لأنّ البول الدالّ على النضج هو البول الذي يكون أترجيّاً[٧]، وأمّا إذا كان أصفر محّيّاً[٨] فهو يدلّ على البعد عن الاعتدال.

---

(١) الأصناف (ك).

(٢) وعظمها (ك).

(٣) اشتراك الكل: اشتراكها (ك).

(٤) هذا قول صحيح لاشك فيه: ساقطة (س).

(٥) فإنها تدل على ضد ما ذكرنا: فإنها على ضد الغرض من اللون الأبيض (ك).

(٦) والأسود ليس كذلك: وهي جميعها بيض اللون (ك).

(٧) لأنّ البول... أترجياً: هذا صحيح، لأن البول الدال على النضج ما كان شبيهاً بلون الأترج الذي هو مركب من صفرة وبياض (ك).

(٨) ثخيناً (ك).

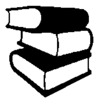
وقوله: «فإن كان مع ذلك في المُدّة طول فليس يؤمن أن لا يبقى المريض إلى أن ينضج مرضه».

هذا[1] لأنّ الصفراء أحد الأخلاط وأردؤها نكاية إذا كانت خارجة عن الطبع، إذ كيفيّتها أقوى الفاعلين، فإذا طال المرض بهذه الحال لا يؤمن أن يقع الهلاك لِما ذكرنا.

وقوله: «ومِن أدلّ الأبوال على الموت ما كان منها مائيّاً، وما كان منتناً، وما كان أسود، وما كان غليظاً».

أقول: إنّه أراد أن يعرّفنا بعض الأمور الرديئة الخارجة عن الطبيعة خروجاً كثيراً، فعرّفنا ما هي.

وقال: «إنّها تدلّ على الموت»؛ يعني على الأمر الأكثر، وإلّا فما دلالتها [٢٠/ظ/س] عليه ضرورة، ولا قريب منها، اللهمّ إلّا إذا [٣٧/و/ك] اقترن معها علامات أُخر مناسبة لها في الرداءة.

(١) مرضه، هذا: ساقطتان (س).

(الفصل الثامن عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وأردأ الأبوال للرجال والنساء البول الأسود، وللصبيان المائي. ومن يبول بولاً نيئاً رقيقاً مُدّة طويلة، إن كانت سائر الدلائل تنذر بأنّه يسلم فإنّه ينبغي أن يتوقّع له خُراج يخرج في المواضع التي في أسفل الحجاب[1]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ كلّ فعل في البدن جارٍ على المجرى الطبيعيّ فهو يدلّ على غاية الجودة والصلاح، ومتى كان على ضدّ ذلك فهو في غاية الرداءة، ولاشك أنّ المِزاج المعتدل للإنسان أن يكون الغالب عليه الحرارة والرطوبة، فمتى غلب عليه ضدّ ذلك؛ وهو البرد واليبس فهو رديء. ومتى خرج البول أسودَ دلّ على غلبة الخلط السوداويّ، والمزاج البارد واليابس.

وكذلك الأمر في الصبيان، لأنّ قواهم على ما ذكر جالينوس قوية، شديدة الفعل للنموّ والخلف[2]، فكلّ أمرٍ يصدر عنها بالطبع في رطوبات البدن فهو معتدل مائل إلى الغلظ مع الاعتدال بالطبع.

ومتى كان البول رقيقاً فقد بعُد عن الحال الطبيعيّة بعداً كثيراً ـ كما قلنا في البول الأسود الدالّ على البعد.

والخلاف[3] قوله: «ومن يبول [٣٧/ ظ/ك] بولاً رقيقاً مدّة طويلة إن كانت سائر

---

(١) وللصبيان... الحجاب: ساقطة (س).

(٢) والخلق (س).

(٣) والخلاف: هذه الكلمة جعلها تابعة للفقرة السابقة في (ك).

الدلائل تنذر بأنّه يسلم؛ فإنه ينبغي أن[1] يُتوقّع له خُراج يخرج به في المواضع التي في أسفل الحجاب».

أقول: إنّ من بال بولاً رقيقاً مُدّة طويلة في الأمراض الحادّة؛ يدلّ على أنّ ثَمّ موادّ غليظة قد عجزت القوّة عن نضجها، فهي توجب السَّدد لغلظها، فلا يخرج إلا الرقيق، فمتى اقترن مع ذلك دلائل السلامة أوجبت له خُرَاجاً في الوسط من البدن[2]، وذلك لأنّ هذه الموادّ ليست من الموادّ الغليظة إلى الغاية، فتهوي[3] إلى أسفل لثقلها وغلظها فتوجب الخُراج هناك، لأنّها من الأمراض الحادّة، ليست من المزمنة إلى الغاية[4]، ولا هي من اللطافة [٢١/و/س] بحيث إنّها تصعد إلى الأعالي وتوجب فيه خُراجاً، لأنّها قد طالت مدّتها، فبقي أن تحدثه كما ذكرنا[5] في وسط البدن قريباً من الحجاب.





(١) ينبغي أن: ساقطة (ك).

(٢) في الوسط من البدن: لكن لا يكون إلا في الوسط من البدن كما ذكر (ك).

(٣) فمتى (س).

(٤) ليست من المزمنة إلى الغاية: ساقطة (س).

(٥) كما ذكرنا: ساقطة (س).

(الفصل التاسع عشر)

✍ **قال أبقراط**: «وقد ينبغي أن تُذمَّ الدسومة التي تطفو فوق البول بمنزلة نسج العنكبوت، لأنّ هذا الدليل يدلّ على الذوبان».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ هذه المسألة مشكلة(١) على ما ذكره المحدَثون من الأطبّاء، سهلة على ما [٣٨/و/ك] ذكره المتقدّمون؛ مثل(٢) أبقراط وجالينوس.

أمّا ما ذكره المحدَثون فإنّهم قالوا: إنّ البول الدهنيّ والزيتيّ يكون كذلك إمّا في القوام، وإمّا في اللون، وإمّا فيهما. ثمّ بنَوا على ذلك وقالوا: إن كان الذوبان في ابتدائه، وكان يسيراً؛ كان ذلك في اللون، وإن كان في تزيّده؛ كان في القوام، وإن كان في المنتهى؛ كان في الأمرَين.

وهذا غلطٌ عظيم، فإنّ جالينوس أنكره وقال: إنّه ما رآه أصلاً في عمره، ولا أظنّ غيره رآه، وإنّما ذكروه على سبيل القول باللفظ دون المشاهدة، وإلّا فكيف يمكن أن تختلط المائيّة بالدهنيّة الذائبة، ويكون منهما قوام، والمشاهدة تشهد بعدم ذلك.

وأمّا جالينوس **فقال**: إنّ المائيّة إذا اقترنت بالدهنيّة طَفَتْ عليها ولم تخالطها أصلاً، ويستدلّ على ذلك عند بردها؛ فإنّها إذا بردتْ جمدت على ظاهرها ـ كما يكون على مرق الطبيخ.

---

(١) من المسائل الحسنة المشكلة (ك).

(٢) المتقدمون مثل: ساقطة (ك).

وأبقراط ذكر هذا على هذه الصفة والصورة **فقال**: «وقد ينبغي أن نذمّ الدسومة التي تطفو فوق البول بمنزلة نسج العنكبوت، لأنّ هذا الدليل يدلّ على قوّة الذوبان».

وهذا قول صحيح؛ لأنّا إذا رأينا مع البول دهنيّة طافية [٣٨/ظ/ك] عليه قلنا: إنّ ذلك من الذوبان، لأنّ الدهن يطفو فوق [٢١/ظ/س] البول، ولا يخالط المائيّة، ولم نحتج إلى أن نقول في قوامه أو في لونه أو فيهما.

ويستدلّ على ابتدائه وتزيّده وانتهائه من أمور أخرى، وأعراضٍ أخرى موجودة في البدن.

(الفصل العشرون)

✍ **قال أبقراط**: «وينبغي أن تتفقّد من الأبوال ما فيه غمامة، وهل تلك الغمامة منه في أسفله أو في أعلاه؟ وبأيّ الألوان هي؟ فما كان منها يهوي إلى أسفل مع الألوان التي ذكرنا؛ ظننت أنّها جيّدة وحمدْتها، وما كان منها يسمو إلى فوق مع الألوان التي ذكرت؛ ظننتَ أنّها رديئة وذممتَها[١]».

✍ **قال مهذّب الدين**: إن كان ما يتميّز مع البول سواء كان غمامة أو رسوباً أو سحابة؛ إن كان جيّداً في لونه ومعه ألوان صالحة كان صالحاً، وإن كان ما يتميّز في البول أيضاً[٢]، سواء كان غمامة أو رسوباً أو سحابة، وكان رديئاً[٣] ومعه بعض الألوان الرديئة؛ كانت دلالته على الرداءة أعظم، لمجموع الأشياء الرديئة.

---

(١) وهل تلك الغمامة... وذممتها: ساقطة (س).

(٢) وإن كان ما يتميز في البول أيضاً: وكل ما كان من ما يتميز في البول (ك).

(٣) وكان رديئاً: فهو رديء (ك).

(الفصل الحادي والعشرون)

✍ **قال أبقراط**: «واحذر أن تغلّطك المثانة، فإنّه قد يكون فيها علّة ويُرى في البول شيءٌ من ذلك، فإنّ ذلك الدليل ليس يدلّ حينئذ على البدن كلّه، [٣٩/و/ك] لكنّه يكون على المثانة وحدها[١]».

✍ **قال مهذّب الدين**: هذا الفصل يعرّفك فيه أبقراط أنّه إذا كانت علامة مشتركة في الدلالة على أمرَين، لا تقطع بدلالتها على أحدهما إلا بمرجّح، وهذا كثيراً ما يعرض في بعض أمراض المثانة، وبعض أمراض البدن، ودليل ذلك القشور التي تخرج في البول، فإنّها تدل على انجراد السطح الظاهر من الأعضاء الآليّة، سواء كانت المثانة أو غيرها، فدليلها الذي هو المرجّح - إن كانت من جملة البدن[٢]، وكانت تأتي قليلاً قليلاً؛ فهو مع الحمّى[٣]، وإن كانت من المثانة فتكون مع عدم الحمّى، ويكون دفعه لقرب المكان.

فقوله: «واحذر أن تغلّطك المثانة»؛ يعني فيما ذكرنا.





(١) فإنه قد يكون... وحدها: ساقطة (س).

(٢) البدن الحمى (ك).

(٣) فهو مع الحمى: ساقطة (ك).

(الفصل الثاني والعشرون)

قال أبقراط: «وأنفع القيء ما كان البلغم فيه مخالطاً للمرار جدّاً، ولا يكون ما يتقيّأ غليظاً جدّاً، لأنّ القيء كلّما كان أقرب إلى أن يكون صرفاً كان أردأ، فإن كان ما يتقيّأ في لون الكرّاث أو أخضر أو كمداً أو أسود، فكلّ ما كان من هذه الألوان ينبغي أن تظنّ أنّه أردأ. فإن تقيّأ الإنسان الواحد جميع هذه الألوان فإنّ ذلك قتّال جدّاً، فإن كان ما يتقيّأ أخضر [٣٩/ ظ/ ك] وكان منتناً فإنّه يدلّ على الموت الوحيّ جدّاً. وجميع الروائح المنتنة العفنة رديئة في جميع ما يُتقيّأ[١]».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ القيء بالإرادة جعله الله مخصوصاً بالإنسان دون غيره من الحيوان، عُرف ذلك بالاستقراء والتجربة، ذكر ذلك **أرسطو**، فاعلمْه.

قوله: «وأنفع القيء ما كان فيه البلغم مخالطاً للمرار».

[٢٢/ و/ س] **اعلم** أنّ جالينوس وغيره من الحكماء قرّروا أنّه لا يكون في البدن في عضو من الأعضاء خِلط صرف أصلاً موجوداً بالطبع، فإن ثبت ذلك فأنفع القيء ما كان فيه البلغم مختلطاً بالمرار لعدم صرافته، لأنّ المعدة بالطبع ينصبّ إليها المرار، فمتى تخلّف ذلك على سبب أوجب انقطاعه فيكون رديئاً، وكلّما كان صرفاً فأدلّ على الرداءة، كما قلنا: إنّه لا يوجد الخلط صرفاً إلّا وقد خرج عن الطبيعة لسببٍ أوجب عدم المخالطة ممّا يجب أن يخالطه ممّا فيه منفعة[٢] في الاختلاط.

(١) ولا يكون ما يتقيأ... جميع ما يتقيأ: ساقطة (س).

(٢) ضعفه (س).

وأمّا رداءة غلظه؛ فإنّه يدلّ على قوّة البرد المغلّظ له وشدّته، لأنّ المغلّظ على قسمين: قسم يفعله بالذات؛ وهو البرد، وقسم يفعله بالعرَض وهو الحَرّ بما يفنيه من الرطوبة.

وقوله: «فإن كان ما يتقيّأ في لون الكرّاث أو [٤٠/ و/ ك] أخضر أو كمداً أو أسودَ، فكلّ ما كان من هذه الألوان ينبغي أن يظنّ به أنّه رديء».

أقول: إنّ ذلك يدلّ على رداءة السبب الفاعل لها لأنّها رديئة، خارجة عن الاعتدال، منذرة بأمراض تتبعها إن خرجت على الانفراد كانت رديئة، وإن خرجت جملتها دلّ على تفنّن[١] الأسباب المؤذية، فتكون أشدّ في الدلالة على الرداءة.

قوله: «فإن كان ما يتقيّأ أخضر وكان منتناً؛ فإنّه يدلّ على الموت الوحيّ، وجميع الروائح العفنة المنتنة رديئة في جميع ما يُتقيّأ».

أقول: إنّ اللون الأخضر رديء في نفسه، لِما ذكرنا من رداءة السبب المنذر بمرض يشاكله في الرداءة، فإذا اقترن معه نتن فيكون أشدّ رداءة وأخطر[٢].

واعلم أنّ النتن أشدّ رداءة في جميع ما يُتقيّأ، لأنّ المعدة وفمها يسمّونه الأطبّاء [٢٢/ ظ/ س] الفؤاد الأصغر، وهو شريف حسّاس، قريب من القلب، يتأذّى بالأشياء المنتنة أشدّ ممّا يتأذّى بها القلب. فمتى برز من[٣] الأخلاط شيء منتن دلّ على أنّ في المعدة منه ما يوجب الغشي، وأنّ سبب النتن باقٍ، فهو يزيد في ذلك.

---

(١) تعين (س).

(٢) وأخطر: ساقطة (ك).

(٣) برز من: بتر زمن (س).

وإذا ازداد الغشيُ كان مؤذياً[١]، وأنت تحقّق إذا رأيت [٤٠/ظ/ك] قيئاً منتناً أنّ الموت قريبٌ، لأنّ القوّة لا تصبر على ضرر[٢] النتن الحاصل بفم المعدة المجاور للقلب لشرفه، ولاسيّما للضعفاء من الناس. ومن أجْل ذلك صار من تقيّأ برازه مات، والعلّة ما ذكرناه.

(١) موتاً (ك).

(٢) صرف (س).

(الفصل الثالث والعشرون)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا البصاق فينبغي أن يكون[١] في جميع العلل النازلة بالرئة والأضلاع أن يكون نفثه سريعاً سهلاً، وترى فيه الحمرة جدّاً مخالطة للريق، فإنّه إن تأخّر عن أوّل الوجع تأخيراً كثيراً، ثمّ كان نفثه أحمر أو أصفر، أو مع سعال كثير، وليس مخالطاً للريق جدّاً؛ كان ذلك رديئاً جدّاً، من قِبَل أنّ الأحمر إذا كان صرفاً دلّ على خطر، والأبيض اللزج المستدير ممّا لا يُنتفع به، وما كان أخضرَ أو زَبَدِيّاً فهو أردأ، فإن كان قد بلغ من صروفته أن تراه أسودَ فهو أردأ من ذلك. ومتى لم يرتفع من الرئة أيضاً شيئاً حتّى يخرج، لكنّها تبقى ممتلئة حتّى يحدث لها شبيه بالغليان في الحلق؛ فهذا أيضاً رديء[٢]».

قال مهذّب الدين: **قوله**: «وأمّا البصاق فينبغي في جميع العلل النازلة بالرئة والأضلاع أن يكون نفثه سريعاً سهلاً[٣]».

اعلم أنّ البصاق هو عبارة عمّا يُبصق من الفم، لكن أبقراط عنى به ما [٤١/ و/ك] يخرج من الفم ويكون قد ورد من الرئة، لأنّ كلامه يُستدلّ به على أمراض الرئة والأضلاع.

---

(١) فينبغي أن يكون: ساقطة (ك).

(٢) وترى فيه الحمرة... رديء: ساقطة (س).

(٣) قوله... سهلاً: ساقطة (س).

واعلم أنّ كيفيّة خروج هذا النفث من الرئة معلومة[١] لاشك فيها، لأنّ لها إلى الفم طريقاً مشاهَداً محقّقاً[٢]؛ وهو قصبة الرئة.

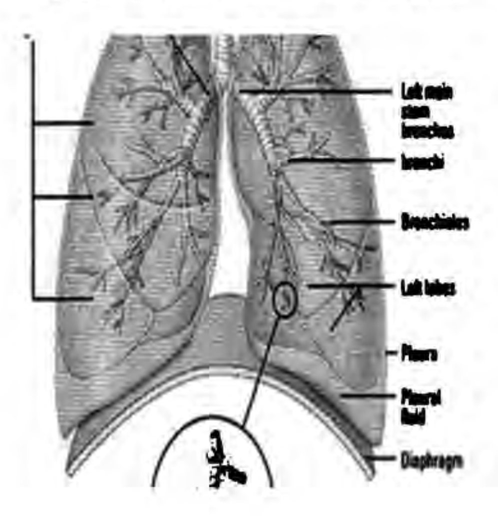
وإنّما المشكل على الأطبّاء معرفة كيفيّة خروجه من الأضلاع إليها، مع أنّ هذا النفْث جسمٌ يحتاج في خروجه وسلوكه إلى مجرىً يجري فيه، وأنت تعلم أنّ الأضلاع لم يتّصل منها طريق إلى الرئة محسوس، ولا غير محسوس، ولابد من خروجه في الغشاء الذي تحت الأضلاع، ثمّ إلى فضاء الصدر، ثمّ إلى غشاء الرئة، ثمّ إلى لحميّتها، ثمّ إلى المجاري الصلبة[٣] التي فيها التي تسمّى العروق الخُشْن، ثمّ إلى قصبة الرئة، ثمّ إلى الفم.

فقال بعض الأطبّاء المتقدّمين في ذلك جواباً صالحاً، وعليه [٢٣/و/س] المعوّل

(١) واعلم... معلومة: واعلم أن خروج هذا النفث من الرئة معروف كيفية خروجه منها (ك).

(٢) محققاً: ساقطة (ك).

(٣) لعل المقصود هنا القصيبات .Bronchioles وهذه صورتها:



دون أقوال الباقين[(١)]؛ وهو أنّ الرئة إذا انبسطت ولاصقت الأضلاع عند التنفّس خرجت المادّة من الأضلاع بدفع من القوّة لها على طريق الترشح[(٢)]، وبقي على ظاهر الرئة فغاص فيها كما يغوص الماء في باطن الإسفنجة إذا وقع على ظاهرها لتخلخلها، [٤١/ ظ/ك] ثمّ تدفعها قوّتها الدافعة في عروقها الخُشْن، ثمّ تنفذ في قصبة الرئة، ثمّ إلى الفم. هذا ما ذُكر في خروج النفْث من الأضلاع إلى الفم.

وأمّا خروج مادّة الأضلاع، أو مادّة الرئة إذا صارت مِدّة[(٣)]؛ تارة من الدبر، وتارة من القُبُل؛ فذكَرَ بعض الأطبّاء أنّها تندفع من الرئة إن كان المرض ذات الرئة في العروق التي تأتيها من القلب، ويصل إليها فيه الغذاء إلى القلب، ثمّ إنّ القلب يدفع الواصل إليه إلى الكبد في العروق الواصلة من الكبد إلى الذي يصل إليه فيها غذاؤه، ثمّ إنّ الكبد تدفعه تارة من مقعّرها إلى الأمعاء، فيخرج بالإسهال، وتارة تدفعه من محدّبها إلى الكليتين فيخرج بالبول.

ولقد شاهدت أصحاب ذات الجنب وذات الرئة لذلك مراراً كثيرة، وشاهدت بعض من حصل له البُحران بخروج المِدّة بالإسهال، فتارةً بالبول، وتارةً بالنفْث.

فهذا ما ذُكر في خروج النفث من الفم من الأضلاع، وما ذُكر من خروج المِدّة من الدبر والقبل[(٤)].

---

(١) دون أقوال الباقين: في ذلك (ك).

(٢) وهو المسمى في العلم الحديث .Eusion, Adsorption

(٣) المِدّة بالكسر؛ هي القيح.

(٤) فهذا ما ذكر... القبل: ساقطة (س).

وقد قال جالينوس: «إنّ الطبيعة إذا قويت[١] دفعت المِدّة في جسم العظام وأخرجتها منها». فللطبيعة على ما ذكر **الشيخ الرئيس** [٤٢/و/ك] عجائب كثيرة.

ونعود إلى الشرح[٢]؛

قوله: «أن يكون نفْثه سريعاً سهلاً».

أقول: احذر أن تفهم من قوله «سريعاً» قصر الزمان، فإنّ ذلك خطأٌ عظيمٌ، وإنّما أراد بقوله: «سريعاً»؛ يعني في المُدّة التي يظهر فيها النضج من أوقات المرض، لا يتأخّر عن ذلك، لتستدلّ به على قصر [٢٣/ظ/س] المرض، وتحكم عليه بذلك، ويدلّك عليه[٣] قوله في «**الفصول**»: «فإنّه إن كان النفث بدئياً كان المرض قصيراً، وإن تأخّر ظهوره كان المرض طويلاً».

وقوله: «سهلاً»؛ يعني لا يكون معه ألم عند انفصاله من الرئة، لأنّه يدلّ على اعتدال قوامه، لأنّه إذا كان غليظاً نشب[٤] وتعلّق بغلظه، وكذلك إذا كان لزجاً لحجَ بسبب لزوجته.

وإذا كان رقيقاً تشرّب كما ذكره **الشيخ الرئيس في القانون**، فإذا كان سهلاً كان معرّى ممّا ذكرنا، خالصاً من الكيفيّات الرديئة المانعة من الخروج بسهولة.

---

(١) إذا قويت: ساقطة (س).

(٢) ونعود إلى الشرح: ساقطة (س).

(٣) ويدلّك عليه: ساقطة (س).

(٤) تشبث (ك).

قوله: «وترى فيه الحمرة مخالطة للريق جدّاً».

أقول: قد تقدّم القول: إنّ كل ما خرج وهو صرف فهو رديء، وقد عُرف. لكن لِمَ صار يكون مخالطاً للحمرة فنقول[1]:

اعلم أنّ ذات الجنب نادراً أن تكون من الخلط السوداوي أو من البلغم [٤٢/ ظ/ ك] لغلظهما وعسر نفوذهما في الغشاء، فبقي أن تكون على الأكثر من الموادّ الصفراوية والدمويّة، والصفراويّة أحدّ وأقتل[2] وأردأ، للذعها وحدّتها.

وأصلحها وأجودها عاقبة أن تكون عن المواد[3] الدمويّة، فإذا ثبت ذلك فأحمَدُ ما يخرج مع النفث حمرةٌ، لأنّها حينئذ[4] تدلّ على أنّ الموادّ ليست من الموادّ الرديئة، بل هي من خِلط سليم الغائلة، محمود العاقبة.

قوله: «فإن تأخّر عن أوّل الوجع تأخيراً كثيراً، ثمّ كان نفثه له وهو أحمر أو أصفر أو مع سعال كثير، وليس بالمخالط للريق جدّاً؛ كان ذلك رديئاً جدّاً، من قِبَل أنّ الأحمر إذا كان صرفاً دلّ على خطر».

أقول: إذا تأخّر النفث دلّ على غلظ الخِلط[5] وعصيانه على القوّة.

وإذا كان مع ذلك أحمر أو أصفر؛ فإنّه يدلّ مع عدم نضجه على قوّة الحرارة

---

(١) وقد عرف... فنقول: ساقطة (س).
(٢) وأقبل (س).
(٣) أن تكون عن المواد: ساقطة (س).
(٤) لأنها حينئذ: ساقطة (ك).
(٥) الجوهر (س).

الموجبة لضيق النفَس الموجب للهلاك في هذه الأمراض. فإن كان عديم المخالطة كان رديئاً، لأنّه [٢٤/ و/ س] يدلّ على بعد النضج[١]، وإذا كان صرفاً دلّ على تمكّنه، وهو خطر.

قوله: «والأبيض اللزج المستدير ممّا لا ينتفع به».

أقول: يعني في الدلالة على العلاج لغلظه وتجمّعه إلى مركز الوسط، وبُعده عن الانفعال الجيّد.

قوله: «وما كان أخضر [٤٣/ و/ ك] أو زَبَدِيّاً فهو رديء».

أقول: لبُعده عن الاعتدال، ولشدّة حرارته الموجبة للألم واللذع والحدّة.

قوله: «فإن كان قد بلغ من صروفته أن تراه أسود فهو أردأ من ذلك».

أقول: لأنّه يدلّ على غلبة الخِلط السوداوي الرديء الذي لا يغلب في هذه الأعضاء إلّا عن سببٍ قويٍّ[٢] في غاية القوّة.

قوله: «ومتى لم يرتفع من الرئة[٣] شيء، لكنّها تبقى ممتلئة حتّى يحدث لها شبيه بالغليان في الحلق؛ فهذا أيضاً رديء».

أقول: إنّ هذا يدلّ على غاية ضعف القوّة، وأكثر ما يعرض ذلك لهؤلاء المرضى عند الموت، وتسمّى الخرخرة[٤]، وهي تدلّ على غاية الرداءة وقرب الهلاك.

---

(١) النضج كما ذكرنا (ك).

(٢) قوية: ساقطة (ك).

(٣) الرديئة (ك).

(٤) الخشرجة (ك). لعلها الحشرجة. **الخَرخَرة**: هي صوت صدر النائم، والمختنق.

(الفصل الرابع والعشرون)

قال أبقراط: «وأمّا الزكام والعطاس في جميع العلل التي تكون في الرئة والأضلاع فرديء؛ كان ذلك قبل حدوث العلّة أو بعد حدوثها، وأمّا في سائر الأمراض القتّالة العطاس ممّا ينتفع به[(١)]».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ أبقراط أراد أن يعرّفنا بعض الأعراض الرديئة فيمن يعتريه أمراض في صدره وأضلاعه **فقال**: «وأمّا الزكام والعطاس في جميع العلل التي تكون[(٢)] في الرئة والأضلاع فرديء، كان حدوث ذلك قبل العلّة أو بعدها». [٤٣/ ظ/ ك]

أقول: أمّا أنّه إذا كان قبل؛ فهو رديء لزعزعة الصدر والأضلاع عند الحركة، فيوجب لها ضعفاً واستعداداً لقبول هذه الأمراض. وأمّا رداءته إذا كان معها؛ فلعموم الآفة في الصدر والأضلاع.

قوله: «وأمّا في سائر الأمراض الحادّة فالعطاس ممّا ينتفع به».

[٢٤/ ظ/ س] **أقول**: ولاسيّما إذا كان ذلك[(٣)] في الأمراض المتعلّقة بالدماغ وما قرب منه؛ فإنّه يدلّ على قوّة من القوّة الدافعة، ونفضها للفضول البخاريّة.

واعلم أنّ هنا مسألة تتعلّق بهذا البحث؛ وهي ذكر الحركات المعتاصة، وهذه

---

(١) كان ذلك... به: ساقطة (س).

(٢) في جميع العلل التي تكون: الذي يكون (س).

(٣) إذا كان ذلك: ساقطة (ك).

اللفظة مشتقّة من العصيان أي عصت[(١)] أن تُنسب إلى قوّة من قوى البدن بسهولة كما تنسب حركة النبض إلى القوّة الحيوانيّة، وحركة جذب الغذاء ودفعه وتغييره مثلاً إلى القوّة الطبيعيّة، وحركة العضل بالإرادة إلى القوّة النفسانيّة، فهذه متّفق عليها[(٢)]، والحركات المعتاصة مختلف فيها؛ فإنّ المحقّقين من الأطبّاء قالوا: إنّ بعضها عن الطبيعة، وبعضها [٤٤/و/ك] عن المادّة، وبعضها عن المجموع[(٣)].

وذكر جالينوس أنّ الحركات المعتاصة[(٤)] ستّة عشر مرضاً، وهي: التشنّج، والرعدة، والرعشة، والفواق، والاسترخاء غير التام، والاختلاج، والصرع، والنافض، والاقشعرار، والجشاء، والعطاس، والسعال، والتمطّي، والتثاؤب، والخدر، وتقصقص[(٥)] الأسنان.

---

(١) واعلم... عصت: واعلم أن هنا مسألة عظيمة تتعلق بالعطاس لابد من شرحها وذكر ما حرر فيها من الكلام الصحيح الذي تشهد الأذهان بصحته وهي ذكر الحركات المعتاصة والعطاس من جملتها، ومعنى الحركات المعتاصة أن هذه لفظة أخذت من العصيان أي عصت (ك).

(٢) فهذه متفق عليها: ساقطة (س).

(٣) فإن المحققين... المجموع: **فقال** بعض الأطبّاء: إنّها عن الطبيعة، **وقال** بعضهم: إنّها عن المادّة، **وقال** آخرون: إنّها عن المجموع. (س).

(٤) ينظر كتاب الحركات المعتاصة لجالينوس بين مؤلفاته في (عيون الأنباء) (كتاب في الحركة المعتاصة مقالة واحدة، وغرضه فيها أن يبين أمر حركات كان قد جهلها هو ومن كان قبله ثم علمها بعد). ولعبد اللطيف البغدادي كتاب في ذلك.
من كتابه في الحركات المعتاصة* هذا الكتاب مقالة واحدة وغرضه فيه أن يبين أمر حركات قد كان جهلها هو ومن كان قبله ثم إنه علمها من بعد ترجمها أيوب وأما أنا فلم أترجمها فيما مضى وكانت نسخة الكتاب عندي ثم إني ترجمته بعد الى السريانية ثم الى العربية لمحمد بن موسى*
(Hunayn ibn Ishaq:al-Risala) عن موقع https://www.graeco-arabic-studies.org/single-text/text/bergstraesser-38page/27.html

(٥) تقصص (س).

وقال جالينوس أيضاً في كتاب «**العلل والأعراض**»: ولجميع هذه العلل المذكورة المعدودة جنس عامّ يشملها، وهو الحركة الرديئة، ويخالف بعضها بعضاً في خصال؛ أوّلها أنّ منها أفعالاً للطبيعة، وتفعلها[١] عندما تضطرّها وتستكرهها بعض الأسباب المحرّضة[٢] إلى أن تتحرّك الحركة الرديئة[٣].

ومنها ما تفعلها[٤] الأمراض، وليس للطبيعة في حدوثها شيء من المعونة .**ومنها** ما يكون عن الأمراض والطبيعة معاً[٥].

واعلم أنّ ههنا سؤالين؛ **أحدهما** أنّ هذه الأمراض [٢٥/و/س] التي عدّدها جالينوس هي أمراض أم أعراض، فإن كانت أمراضاً فما أعراضها؟ وإن كانت أعراضاً فما الأمراض التي هي تابعة لها[٦]؟.

السؤال[٧] **الثاني**: كيف يكون بعض هذه الأمراض عن القوّة؛ أعني طبيعة البدن وبعضها عن [٤٤/ظ/ك] المادّة، وبعضها عن المجموع؟

وأمّا السبب في ذلك فنقول الجواب عن الأوّل: إنّ هذه الأشياء المعدودة[٨] جميعها إذا سئل عنها مطلقاً أهي أمراض أم أعراض؟ الجواب[٩]: إنّها أمراض، وإن

---

(١) وتفعلها: ساقطة (ك).

(٢) الممرضة (ك).

(٣) الحركة الرديئة: ساقطة (ك).

(٤) تتعلقها (س).

(٥) عن الأمراض والطبيعة معاً: عن الأمرين جميعاً إذا هما فعلا معاً أعني المرض والطبيعة (ك).

(٦) الأمراض التي هي تابعة لها: أمراضها (س).

(٧) السؤال: ساقطة (س).

(٨) المذكورة (ك) .

(٩) فقال (س).

كان المرض قد يكون عرَضاً باعتبار، ويكون سبباً باعتبار، مثل الحمّى مثلاً؛ فإنّها مرض من حيث إنّها تضرّ بالفعل ضرراً أوّليّاً، وتكون سبباً من حيث إنّها توجب أمراً يضرّ بالفعل ضرراً أوّليّاً، وتكون عرَضاً عندما تتبع بعض الأورام، وقد أجمع جماعة[1] الأطبّاء **كجالينوس والرازي وابن سينا** في كتبهم[2] على أنّها أمراض، وجعلوا لكلّ واحد منها فصلاً مخصوصاً بمعالجتها من حيث إنّها مرض، وذكروا لكلّ واحد منها أسباباً وأعراضاً، والله أعلم.

وأمّا الجواب عن السؤال الثاني: وهو أيّ الأمراض من هذه المذكورة حادثٌ عن القوّة، وأيّ الأمراض منها حادثٌ عن المرض[3]، وأيّ الأمراض منها حادثٌ عن الأمرين جميعاً، وما السبب في ذلك[4].

اعلم أنّ هذه المسألة من المسائل الحسنة في الطبّ، وقليل من يفهمها ويعرف الجواب عنها، وكنت قرأت على شيخي **ابن المطران** كلام جالينوس في ذلك وسألته فقال لي: [٤٥/و/ك] قرأت على **ابن النقّاش**[5] فقال لي: قرأت على شيخي أمين

---

(١) جماعة: ساقطة (س).

(٢) في كتبهم: ساقطة (س). أبو بكر محمد بن زكريا الرازي مولده ومنشؤه ووفاته بالري (٢٥١ـ٣١٣هـ) سافر إلى بغداد فترة وعمل بها.
ابن سينا: الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م)، توفي بهمذان. (معجم المؤلفين ١/ ٦١٨).

(٣) وأي... المرض: هذه العبارة مكررة في (س).

(٤) جميعاً وما السبب في ذلك: ساقطة (س).

(٥) علي بن عيسى بن هبة الله، مهذب الدين ابن النقاش (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)، مولده ومنشؤه ببغداد، وتوفي بدمشق. (الأعلام ٤/ ٣٢٨، وعيون الأنباء).

الدولة **ابن التلميذ**[١] فقال لي الجواب ونقله عن جالينوس، وأوصاني لا أذيعه لغير أهله[٢].

اعلم أنّ الموادّ الخِلطيّة إذا حصلت في الأعصاب وأثقلتها فإنّها تمنعها من الحركة لثقلها في نفسها، ولا تخلو[٣] من أن تكون قوّة العصب فيها من النهوض بقدر[٤] أن تدفع ذلك أو لا تقدر، فإنْ قدرتْ على النهوض والحركة فتكون الحركة من القوّة بالذات، وهي الفاعلة حينئذ للحركة في هذا المرض.

وإن كانت المادّة غالبة على القوّة بحيث إنّها لا تقدر على الحركة، بل يقع [٢٥/ظ/س] للعضو سكونٌ هاوٍ به إلى أسفل، فيكون ذلك للمرض.

وإن كانت القوّة فيها من القوّة شيئاً يسيراً تقوى به على الحركة بقدر طاقتها، وتكون المادّة توجب حركة لسكونها وهبوطها إلى أسفل؛ كما في الرعشة فإنّها مركّبة من حركة القوّة إلى الأعلى، وحركة من المادّة الموجبة للمرض إلى أسفل، وذلك حادثٌ عن الأمرَين.

وأمّا ما هي الحركة التي عن القوّة؟ وما هي التي عن المرض نفسِه؟ وما هي التي عن المجموع؟

---

(١) هبة الله بن صاعد، المعروف بابن التلميذ (٤٦٦ ـ ٥٦٠ هـ/ ١٠٧٤ ـ ١١٦٥ م) توفي ببغداد. (معجم المؤلفين ٤/ ٥٦).
(٢) اعلم... أهله: الفقرات لم ترد في (س).
(٣) تنج (س).
(٤) بقدر: ساقطة (ك).

فاعلم أنّ جالينوس قال[١] في كتاب «العلل والأعراض»: إنّ الحركة [٤٥/ظ/ك] في الأمراض التي عن القوّة فقط من هذه الأمراض المذكورة، فمثل العطاس والسعال والتثاؤب والتمطّي والفواق والجشاء[٢]، **قال**: لأنّ كلّ واحد من هذه حركة خالية من سكون .**وقال**: إنّ الذي عن المرض نفسه؛ فمثل الاختلاج والتشنّج والصرع والنافض والاقشعرار[٣].

فقلت معترضاً[٤] على جالينوس: أمّا التشنّج الذي هو تقلّص العضو إلى مبدئه، وعدم الحركة عن القوّة لاستيلاء المادّة فظاهر، لكن الاختلاج كيف يكون من المرض نفسه وهي حركة مضطربة ليست على نسق واحد؟

وأجيب عن ذلك بأنّ[٥] الاختلاج في الأعضاء أشبه شيئاً بالزلزلة في الأرض، فإنّها توجب فيها حركة مضطربة من الريح التي فيها لطلبها الخروج إلى مركزها، والأرض ليس لها في نفسها حركة، بل الحركة الموجودة فيها في تلك الحال للرياح، كذلك الأمر في الاختلاج.

قال جالينوس: وأمّا التي تحدث من هذه الأمراض عن المجموع؛ فمثل الخدر والرعشة والاسترخاء غير التامّ والرعدة، فإنّ كلّ واحد [٢٦/و/س] من هذه فيه حركة إلى سكون المادّة، وحركة للقوّة.

---

(١) قال: حررها وذكرها (ك).

(٢) والفواق والجشاء: ساقطة (س).

(٣) والصرع والنافض والاقشعرار: ساقطة (س).

(٤) فقلت معترضاً: قال مهذب الدين اعتراضاً (ك).

(٥) وأجيب عن ذلك بأن: والجواب على ذلك اعلم أن (ك).

وينبغي أن تعلم أنّ قول جالينوس [٤٦/و/ك] في المثال عمّا يحصل عن الأمرَين الاسترخاء غير التامّ(١) كلام مشبع بالجودة، فإنّ الاسترخاء التامّ ليس فيه حركة عن القوّة، والله أعلم.

(١) في المثال... التام: عن الاسترخاء غير التام أنه عن الأمرين (ك).

(الفصل الخامس والعشرون)

قال أبقراط: «وأمّا البصاق الذي يخالطه شيء من الدم ليس بالكثير، وهو أحمر ناصع في ورم الرئة، فهو في أوّل العلّة يدلّ على السلامة جدّاً، فإن أتى على العلّة سبعة أيّام أو أكثر من ذلك والبصاق بتلك الحال فلتكن ثقتك به أقلّ. وكلّ بصاق لا يكون به سكون الوجع فهو رديء، وأردأ منه الأسود كما وصفت، وكلّ ما كان به سكون الوجع فهو أحمد. وما كان من الأوجاع في هذا الموضع لا يسكن عند نفث البصاق، ولا عند استفراغ البطن من البراز، ولا عند الفصد والتدبير والعلاج؛ فينبغي أن تعلم أنّ أمرَه يؤول إلى التقيّح[1]».

قال مهذّب الدين: قوله: «وأمّا البصاق الذي يخالطه شيء من الدم ليس بالكثير، وهو أحمر ناصع في ورم الرئة؛ فهو في أوّل العلّة يدلّ على السلامة جدّاً»؛ **أقول**[2]:

اعلم أنّ البصاق هو ما كان أبيض اللون يبرز من الفم؛ هكذا ذكر الشيخ الرئيس في «القانون»، فمتى خالطه شيء من الدم وكان يسيراً صار أحمر ناصعاً، [٤٦/ظ/ك] لأنّ اللون الأحمر على قسمين؛ أحمر قاني، وأحمر ناصع؛ فالأحمر القاني هو الذي تكون الحمرة فيه على صرافتها[3]، والأحمر الناصع هو اللون المركّب من البياض والحمرة.

---

(١) فإن أتى على العلة... التقيح: الفقرات لم ترد في (س).

(٢) قوله... أقول: ساقطة (ك).

(٣) صروفتها (ك).

وأراد أبقراط أن يعرّفك في أوّل الفصل معنى اللون الناصع، **ثم** يتبعه بما يدلّ عليه من خير أو شرّ، فقال[١] في ورم الرئة: «وهو في أوّل العلّة يدلّ على السلامة جدّاً».

اعلم[٢] أنّ أمراض الرئة وغيرها المادّيّة ـ على ما ذكرنا ـ أصلحها وأسلمها ما كان عن أخلاط حسنة، قريبة إلى البدن، يسهل على الطبيعة نضجها وإصلاحها. **فهذا** معنى قوله: «يدلّ على السلامة جدّاً»؛ أي بالنسبة إلى الموادّ الأُخَر الرديئة المؤذية.

قوله: «فإن أتى على العلّة سبعة أيّام أو أكثر، والبصاق بتلك الحال؛ فلتكن ثقتك به أقلّ».

أقول: هذه القضيّة مقرّرة في أمراض البدن كلّه أو في بعضه، فما كان منها موادّ غليظة رديئة فهي توجب طولاً في المرض، لأنّ المرض يطول لسببين؛ إمّا أن تكون الموادّ غليظة، وإمّا أن تكون [٢٦/ ظ/ س] القوّة عاجزة.

فإذا طال الحال في أصحاب هذه الحال إلى أن يجاوز السبعة أيّام الأُوَل، أو أكثر منها ولم يتغيّر الأمر فيه إلى السلامة والعافية؛ دلّ على أحد الأمرين [٤٧/ و/ ك] اللذَين ذكرناهما؛ وهما إمّا ضعف القوّة، وإمّا غلظ المادّة، وكلاهما يوجبان عدم الثقة بالبرء بسرعة.

قوله: «أقلّ».

---

(١) عليه من خير أو شر فقال: قوله (ك).

(٢) أقول اعلم (ك).

أقول(١): يعني أقلّ ممّا إذا كانت القوّة قويّة(٢) والمادّة مطاوعة، وبرؤه يكون قبل السابع.

قوله: «وكلّ بصاق لا يكون به سكون الوجع فهو رديء».

أقول: لأنّ سبب الوجع والمرض هنا هو المادّة الموجبة له، فإذا برزت المادّة ولم يسكن دلّ على أنّ بروزها للكثرة، لا لاستيلاء القوّة على مادّة المرض ودفعها لها، فهذا رديء.

قوله: «وأردأ منه الأسود» ـ كما ذكرت.

أقول: قد تقدّم(٣) ذمّ الخلط الأسود، وكونه إذا أوجب مرضاً من الأمراض دلّ على تمكّنه واستيلائه على البدن وعلى القوّة، فيكون أردأ ما يكون.

وقوله: «وكلّ ما كان به سكون الوجع فهو أحمد».

أقول: لأنّه(٤) متى برزت مادّة المرض انتفع البدن ببروزها، لأنّها الموجبة لألمه ومرضه(٥) ـ كما تقرّر في الحكمة أنّه(٦) «إذا زال السبب زال المسبَّب».

قوله: «وما كان من الأوجاع في هذه المواضع لا يسكن عند نفث البصاق،

---

(١) أقول: ساقطة (س).

(٢) قوية: ساقطة (س).

(٣) كما ذكرت. أقول قد تقدم: لا يقدم من (س).

(٤) أقول: ساقطة (س). لأنه: هذا كما قررنا (ك).

(٥) لأنها الموجبة لألمه ومرضه: لأنها مادة المرض فهو أجود، لأن بروزها يوجب زوال المرض (ك).

(٦) بقولهم (ك).

ولا عند استفراغ البطن من البراز، ولا عند [٤٧/ظ/ك] الفصد والتدبير، والعلاج بالأدوية؛ فينبغي أن تعلم أنّ أمرَه يؤول إلى التقيّح».

أقول: إذا كان الأمر على هذا لم تكن المادّة التي خرجت من مادّة المرض، بل خرجت للكثرة، وبقيت مادة المرض محصورة في موضع الوجع، مستعدّة لأن تتقيّح. هذا إذا استولت القوّة عليها، وإلّا فمن الجائز أن تقتل(١) ولا تقبل [٢٧/و/س] التقيّح.

وإنّما ذكر ذلك أبقراط على الأمر الأكثر، لأنّ هذه الأعضاء قريبة من القلب، والحرارة متوفّرة فيها، لقربها من العضوَين الرئيسَين؛ أعني القلب والكبد، فباستيلاء القوّة والحرارة عليها يسهل قبولها(٢) للتقيّح عن قريب(٣).

(١) تقبل (س).
(٢) تهيئها (ك).
(٣) عن قريب: بقرب (ك).

(الفصل السادس والعشرون)

✍ **قال أبقراط**: «وما كان من التقيّح يحدث والبصاق بعد يغلب عليه المرار فهو رديء جدّاً، كان خروج ما يخرج منها مرّة بالبصاق الذي يغلب عليه المرار، ومرّة بالمِدّة، وكان خروجهما معاً، ولاسيّما متى بدت المِدّة[1] وقد أتى على المريض سبعة أيّام؛ فتوقّع لمن ينفث هذا النفْث أن يموت في اليوم الرابع عشر، اللهم إلّا أن يحدث له حادث محمود. وهذه من الأمارات المحمودة أن يكون المريض حسن الاحتمال لمرضه بسهولة، وأن يكون نفسه نفَساً حسناً، سليماً من الألم، وأن يقذف [٤٨/و/ك] ما يقذفه من البصاق مع السعال بسهولة، وأن يوجد بدنه كلّه مستوياً في الحرارة واللين، وأن لا يكون معه عطش، وأن يكون بوله وبرازه ونومه وعرقه كلّ واحد منها على ما وصفت فيما تقدّم من الأمارات المحمودة، فإنّ هذه الدلائل كلّها إذا كانت على هذه الحال لم يمت المريض، فإن كان بعضها موجوداً، وبعضها مفقوداً بقي المريض حتّى يجاوز الأربعة عشر يوماً ثمّ مات فيما بعد ذلك.

وأمّا الرديئة فهي أضداد تلك، وهي هذه: أن يعسر على المريض احتمال مرضه، وأن يكون نفَسه عظيماً متواتراً، وأن يكون لا يسكن ألمه، وأنّ نفْثه الذي ينفثه مع السعال بكدّ، ويعطش عطشاً شديداً، وأن تكون حرارة الحمّى في البدن مختلفة، حتّى يكون البطن والجنبان شديدة الحرارة، وتكون الجبهة والكفّان والقدمان باردة.

---

(١) بدت المدة: بالأصل في (ك) مرت المدة. وما أثبتناه تبعاً لما ورد في الشرح القادم في (ك).

وأن يكون البول والبراز والنوم والعرَق على ضدّ ذلك ـ كما ذكرنا، حتّى يكون كلّ واحد منها رديئاً، وإن حدث بعد ذلك النفث شيء من هذه الدلائل فإنّه يعطب قبل أن يبلغ أربعة عشر يوماً، إمّا في اليوم التاسع، وإمّا في اليوم الحادي عشر، [٤٨/ ظ/ ك] فعلى هذا ينبغي أن يترك الأمر متى كان البصاق يدلّ على الموت جدّاً، ويتأخّر إلى أربعة عشر يوماً.

فإذا أنت تفكّرت مع ذلك فيما يحدث من الدلائل المحمودة، والدلائل الرديئة؛ قدرت أن تصل بذلك إلى **تقدمة المعرفة** بما سيكون، ومن سلك هذا الطريق كان في أكثر الأمر مصيباً»[١].

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ التقيّح مطلقاً هو عبارة عن استحالة المادّة الموجبة للمرض إلى المِدّة في أيّ عضو كان من البدن، لكن الأطبّاء خصّصوه بما كان في فضاء الصدر بين عظامه وبين الرئة، فتارة يعمّه جميعه، وتارة يكون في الوسط على الانفراد، وتارة يكون في الجانب الأيمن[٢]، وتارة يكون في الجانب الأيسر، ولكلّ واحد من هذه الأقسام علامة تدلّ عليه ينتفع بها الطبيب في معالجته لها عندما يحتاج إلى أن يضع عليها من الضمادات ما تدعوه الحاجة إليه؛

فقالوا: إن كانت المادّة عامّة لفضاء الصدر كان الالتهاب عامّاً فيه جميعه، وإن كان في الجانب الأيمن أو الأيسر؛ يُعرف ذلك بأن يؤمر المريض أن يضطجع على

(١) جداً، كان خروج... مصيباً: الفقرات لم ترد في (س).
(٢) وتارة يكون في الوسط... الأيمن: ساقطة (س).

جنبه، فإن وجد كأنّ شيئاً معلّقاً فالمرض في ذلك [٤٩/ و/ك] الجانب المعلّق فيه، سواء كان في الأيمن أو الأيسر.

وإن كان الأمر عامّاً، لكن يكون في بعضه أكثر، وفي بعضه أقلّ؛ فقد ذكر بعض الأطبّاء لذلك علامة، وهي أن تؤخذ خرقة رقيقة، فتبلّ بماء فيه طين حرّ ناعم معجوناً عجناً رقيقاً، وتبسط على جميع الصدر؛ فالموضع الذي يسرع فيه الجفاف منها ففيه المرض، وعلى ذلك الموضع تجعل الضمادات والمروخات وغيرها ممّا تدعو الحاجة إليه.

ثمّ إنّ هذا التقيّح قد يحدث في فضاء الصدر ابتداء، وقد ينصبّ إليه [٢٧/ ظ/س] من الرئة عند حدوث ذات الرئة، والعلّة التي ذكرنا في وصول المِدّة إلى الرئة من ذات الجنب تكون هنا بالعكس.

وقد تنصبّ المادّة من ذات الجنب عند نضجها، فتدفعها الطبيعة من الغشاء الذي في الجنب إلى فضاء الصدر، ثمّ إنّها تعجز عن أنْ تدفعه من الفضاء، وربّما انصبّت إليه من الرأس. هذا أمر التقيّح[١].

واعلم أنّ هذه الأمراض التي تؤول إلى التقيّح الذي يحدث في هذه الأعضاء؛ أعني ذات الجنب، وذات الرئة، والسلّ، والتقيّح، فأسرعها فعلاً ذات الجنب، لشدّة حسّ العضو، وألَمِهِ[٢]، وعدم الصبر [٤٩/ ظ/ك] عليه.

---

(١) هذا أمر التقيح: ساقطة (س).

(٢) والمد (س).

وأمّا التقيّح والسلّ وذات الرئة؛ فقد ذكر الشيخ الرئيس[١] أنّه رأى من أقام به السلّ نيفاً وعشرين[٢] سنة، وذكر ذلك جماعةٌ غيرُه. وهذا يكون إذا لم يصل التآكل إلى شيء من أقسام قصبة الرئة التي يصل فيها النسيم[٣] إلى القلب، فإنّه متى تآكل وانقطع، ونفث العليلُ شيئاً من حلقه تلك الأقسام؛ مات سريعاً، وخصوصاً إن انقطع العِرق الذي بين القلب والرئة[٤]، فإنّه يموت لساعته.

ولقد شاهدتُ ذلك مراراً في جماعة كان بهم هذا المرض، فسعلوا ونفثوا دماً رقيقاً مقداراً كثيراً، وماتوا فجأة. والعلّة ما ذكرناه من انقطاع العِرْق المشترك، والله أعلم.

قوله[٥]: «وما كان من التقيّح يحدث، والبصاق بعدُ يغلب عليه المرار فهو

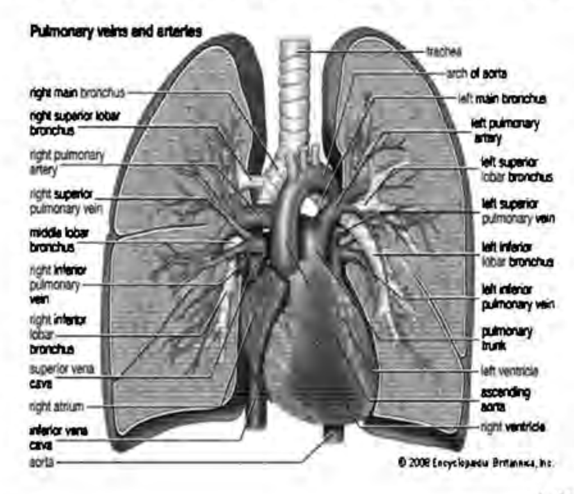
---

(١) ابن سينا (ك).

(٢) نيفاً وعشرين: ما ينوف عن عشرين (ك).

(٣) الهيم (س).

(٤) يقصد هنا الشريان والأوردة الرئوية :Pulmonary arteries and veins



(٥) قوله: ساقطة (ك).

رديء، سواء كان[1] ما يخرج منه مرّة بالبصاق الذي يغلب عليه المرار، ومرّة بالمِدّة، أو كان خروجهما معاً».

أقول: هذا يدلّ على أنّ الخلط[2] الموجب للمرض خِلط حادٌّ رديء، عجزتْ القوّة عن تمام نضجه وإحالته بجملته إلى المِدّة، والدليل عليه [٢٨/و/س] ما يخرج منه مع المِدّة، سواء خرج مع البصاق أو مع المِدّة أو مع المجموع فهو رديء ـ لِما ذكرنا.

قوله: «ولاسيّما متى بدت المِدّة وقد أتى على المريض [٥٠/و/ك][3] سبعة أيّام؛ فتوقّع لمن ينفث هذا النفْث أن يموت في اليوم الرابع عشر».

أقول: هذا صحيح أي[4] إذا خرجت المِدّة على هذه الحال التي ذكر، وقد أتى على المريض سبعة أيّام، لأنّ هذه الأوقات ـ أعني من أوّل المرض إلى[5] اليوم الرابع عشر هي من الأيّام القويّة التي يرجو الطبيب فيها زيادة القوّة، لِما عُلِم من أمر القمر وزيادة النور فيه، فمتى لم تستولِ القوّة على المرض في هذا الوقت استيلاءً صالحاً قويّاً، وإلّا فالإنذار بالموت في نهاية الأيّام التي يتمّ زيادة النور فيه وهو الرابع عشر.

---

(١) سواء كان: وكان خروج (ك).

(٢) خروج الخطر (س).

(٣) الترقيم بالأصل (٤٠) وهذا خطأ ويستمر ذلك الخطأ حتى نهاية المخطوط (٧٥) وهو خطأ، والصحيح (٨٥).

(٤) هذا صحيح أي: ساقطة (س).

(٥) هذه الأوقات... إلى: ساقطة (س).

قوله: «اللهمّ إلّا أنْ يحدث له حادثٌ محمودٌ» إلى آخر الفصل.

اعلم(١) أنّ هذا الفصل يتضمّن فائدة الطبّ، ومعرفة أحكامه من خير وشرّ، وعافية وسقم، وموت وحياة، وهو أنّه يبيّن لك أنّك إذا رأيت دليلاً من الدلائل الرديئة؛ فلا تحكم بمقتضاه فقط، لكن تنظر إلى جميع الدلائل الأُخَر التي هي للطبيب بمنزلة الشهود للحاكم، وتعتبرها جميعاً.

فإن كان مع الدليل الرديء دلائل محمودة؛ لا تقطع بالرداءة والهلاك، لجواز أن تقوى القوّة بما معها من الدلائل المحمودة الدالّة على الخير [٥٠/ ظ/ ك] والصلاح، وكذلك إذا وقع لك دليل محمود لا تقطع بالسلامة والعافية دون أن تنظر في الدلائل الأُخَر، فإن كان معه دلائل رديئة لم يقع الحكم به صادقاً لجواز أن تحصل الرداءة بالدلائل الأُخَر.

ولا ينبغي أن يكون اعتمادك على عدد الدلائل فإنّه خطأ لا يجب أن تعتمد عليه(٢)، فإنّها مختلفة في أحكامها؛ فبعضها ـ كما قال أبقراط ـ رديء مطلقاً، [٢٨/ ظ/ س] وبعضها رديء جدّاً، وبعضها رديء إلى الغاية(٣)، وبعضها رديء إلى الغاية القصوى، وبعضها رديء بالإمكان، وبعضها رديء بالضرورة.

وكذلك الحكم في الدلائل الجيّدة، بل يجب على الطبيب أن يكون على ذهنه(٤)

(١) قال مهذب الدين: اعلم (ك).
(٢) عليه، وقد ذكر أبقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء (ك).
(٣) وبعضها رديء إلى الغاية: ساقطة (س).
(٤) خاطره (ك).

جميع الدلائل المحمودة وجميع الدلائل الرديئة، ويقيس بعضها إلى بعض، ويحكم بما يغلب منها، فيكون حكمه حكماً صالحاً[١] موثوقاً به.

ومن قرأ هذا الكتاب؛ أعني «**تقدمة المعرفة**»، وبحث معانيه وتحقّقها[٢] عرف الدلائل الجيّدة جميعها، والدلائل الرديئة جميعها، ومن الله التوفيق.





(١) صالحاً: ساقطة (س).

(٢) واستوعب الفوائد التي فيه (ك).

(الفصل السابع والعشرون)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا سائر التقيّح فأكثره[١] ينفجر بعضه في العشرين، وبعضه في الأربعين، وبعضه في الستّين».

✍[٥١/ و/ ك] **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ الأورام مطلقاً على ما قرّره أبقراط وجالينوس تكون نهايتها على أحد ثلاثة أقسام؛ إمّا أن تصلب، وإمّا أن تتحلّل، وإمّا أن تتقيّح وتنفجر، وأصلحها ما تحلل وأردؤها ما صلب، والذي يتقيّح وينفجر متوسّط بين ذلك، فالموادّ التي توجب الأورام في الرئة والجنب، وفي فضاء الصدر، إذا تقيّحت تكون أغلظ ممّا يتحلّل، فيكون بُحرانها الذي يأتي بالانفجار في أيّام أطول من الأيّام التي يتحلّل، والتي تتحلّل على الأمر الأكثر تكون في البحارين التي تأتي في الأرابيع والأسابيع.

وأمّا هذه[٢] التي هي أغلظ من المتحلّلة[٣] فيأتي بُحراها في العشرينات، أمّا الأوّل منها فيأتي في العشرين، والذي بعده يأتي في الأربعين، والذي بعدهما يأتي[٤] في الستّين، لأنّ موادّه أغلظ ـ كما ذكرنا ـ فيطول الأمر في حدوث الانفجار.

---

(١) فإن (ك).

(٢) هذه أعني (س).

(٣) من المتحللة: منها (ك).

(٤) والذي بعدهما يأتي: وبعده (ك).

ومعنى الانفجار هو أنّ الطبيعة تستولي على المادّة[١] بعد استحالتها إلى المِدّة، فتبرزها من مكانها وتفجر الموضع الذي اجتمعت فيه المِدّة[٢].

---

(١) على المادة: عليها (ك).

(٢) المدة: ساقطة (س).

(الفصل الثامن والعشرون)

 قال أبقراط: «وقد ينبغي أن تنظر في[1] ابتداء التقيّح، وتحسب ذلك منذ أوّل يوم حُمّ فيه المريض وأصابه نافض، فإنّه إن كان يجد ألماً وصار [٥١/ظ/ك] مكانه ثقل في الموضع الذي كان يجد فيه الألم؛ فإنّ هذه الأشياء ممّا تكون في ابتداء التقيّح، فمنذ هذا الوقت ينبغي لك أن تحسب وتتوقّع الانفجار في الأوقات التي تقدّم ذكرها، فإن كان التقيّح من جانب واحد فقد ينبغي أن تتفقّد من أمر هؤلاء هل يجدون وجعاً في الجنب؟ وهل يجدون أحد الجنْبَيْن أسخن من الآخر؟ وتأمر المريض أن يضطجع على جانبه الصحيح، ثمّ تسأله هل يجد شيئاً متعلّقاً من جانبه الأعلى؟ فإن كان الأمر كذلك فإنّ التقيّح من جانب واحد.

وقد ينبغي أن تتعرّف جميع أصحاب التقيّح هذه الدلائل؛ أمّا أوّل الأمر فإنّ الحمّى لا تفارقهم، لكنّها بالنهار تكون رقيقة، فإذا كان الليل كانت أزيد، ويعرقون عرقاً كثيراً، ويستريحون إلى السعال، ولا ينفثون معه شيئاً يُعتدّ به، وتغور أعينُهم، وتحمرّ وجناتهم، وتتعقّف أظافير أيديهم، وتسخن أصابعهم، وخاصّة أطرافها، ويحدث في القدمين أورام تثور ثمّ تسكن، ولا يشتهون الطعام، وتحدث في أبدانهم نفاخات، وما تطول مدّته من التقيّح فإنّه تظهر فيه هذه العلامات، وينبغي أن تثق بها غاية الثقة.

---

(١) متى كان (في تقدمة المعرفة نسخة الإسكندرية).

فأمّا ما كان قصير [٥٢/و/ك] المُدّة فينبغي أن تنظر هل فيها شيء من تلك الدلائل التي تكون في الابتداء؟ وتنظر أيضاً إن كان نفس ذلك الإنسان بحالٍ هي أردأ. وأمّا ما ينفجر من ذلك هل يكون انفجاره أسرع أو أبطأ؟

وهذه الدلائل ينبغي أن تُعرف؛ إن كان الألم يحدث منذ أوّل الأمر، وسوء التنفّس والسعال ونفث البصاق لايزال باقياً؛ فينبغي أن تتوقّع الانفجار نحو العشرين يوماً أو قبل ذلك، فإن كان الألم أهدأ، وجميع تلك الأشياء على قياس هذا؛ فينبغي أن تتوقّع التقيّح بعد تلك المُدّة، ولابدّ قبل نفث المِدّة من أن يزيد الألم، وسوء التنفّس، ونفث البصاق[١]».

[٢٩/و/س] **قال مهذّب الدين: قوله**: «وقد ينبغي أن تنظر متى كان ابتداء التقيّح، وتحسب ذلك من أوّل يوم حُمَّ فيه المريض، أو أصابه نافض، أو زعم أنّه كان يجد ألماً فصار مكانه ثقل[٢] في الموضع الذي كان يجد فيه الألم، فإنّ هذه الأشياء ممّا تكون في ابتداء التقيّح، فمنذ هذا الوقت ينبغي لك أن تحسب، وتتوقّع الانفجار في الأوقات التي تقدّم ذكرها».

أقول: قد عرفت التقيّح بأنّه على قسمين؛ أحدهما استحالة المادّة إلى المِدّة مطلقاً في أيّ عضو [٥٢/ظ/ك] كان، الثاني وهو المصطلح عليه أن يكون التقيّح في فضاء الصدر[٣].

---

(١) وتحسب ذلك من أول... البصاق: الفقرات لم ترد في (س).

(٢) أو زعم... ثقل: فإن كان يجد ألماً وصار ثقل (ك).

(٣) أن يكون التقيح في فضاء الصدر: أنهم إذا قالوا التقيح يريدون به ما كان في فضاء الصدر أو في الجنب أو في الرئة، والأكثر أنه في فضاء الصدر (ك).

واعلم أنّ أبقراط أراد أن يعرّفك في هذا الفصل(١) متى يكون التقيّح إذا حصلت مادّة في عضو في الأعضاء، ويعرّفك علامات ذلك، ثمّ بعد ذلك يعرّفك متى يكون الانفجار إذا صارت المادّة إلى المِدّة.

وذكر جالينوس أنّ علامات استحالة المادّة إلى المِدّة ثلاثة أمور؛ **أحدها** النافض(٢)، **الثاني** الحمّى، **الثالث** الثقل(٣) الذي يحسّه الإنسان.

أقول: إنّ هذا لا يجب أن يكون الحكم به مطلقاً إلّا أن نقول: «إذا كان المرض في عضو حسّاس»، وإلّا فمن الجائز أن يكون العضو غير حسّاس، فلا يحصل فيه ألم، بل تحصل الحمّى لأجل العفونة ووصولها إلى القلب، والثقل؛ لأنّ المادّة الجسميّة الخِلطيّة من لوازمها الثقل، فالرئة إذا حصل فيها ورم لا تحسّ به لأنّها من الأعضاء التي لا حسّ لها، والأعضاء التي لا حسّ لها(٤) أربعة، وهي في باطن البدن؛ وهي الرئة والكبد والطحال والكليتان، بل يحسّ صاحبه ذلك كأنّ شيئاً معلّقاً فيها يدرك ذلك بغشائها الخارج، وبما يشاركها [٥٣/و/ك] من الأعصاب في الجهة المعلّقة فيها من خارجها، والحمّى تتبع ذلك كما قلنا لأجل العفونة التي للمادّة، ولأجل قربها من القلب. هذا صحيح(٥).

---

(١) أن يعرفك في هذا الفصل: بهذا القول أن يخبرك (ك).

(٢) **النّافِض**: هو اهتزاز يحصل للبدن مع حركات غير إراديّة، وبرد في ظاهره، يقال: أخذته حمّى نافض، وحمّى بنافض. وقيل: هو الرِّعدة التي تتقدّم قبل صنوف الحمّى، وقد تكون بغير حمّى، وهو إذ ذاك مرض بذاته. وقيل: النافض هو حمّى الرّعدة، مذكّر. (اصطلاحات الطب القديم).

(٣) الثقل: ساقطة (س).

(٤) والأعضاء التي لا حس لها: وهي (ك).

(٥) هذا صحيح: ساقطة (س).

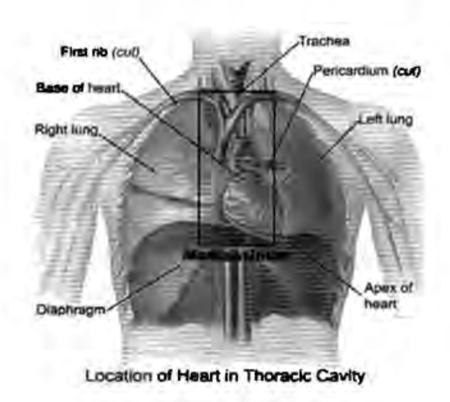
[٢٩/ ظ/ س] فإذا رأيت هذه العلامات قد حصلت لمن به ورم في هذه المواضع فثقْ باستحالة المادّة إلى المِدّة، ثمّ انظر بعد ذلك إلى الأعراض التي في البدن؛ مثل القوة والسنّ والتدبير والهواء وما أشبهها، إن كانت تساعد على إخراج المِدّة، وهي معينة للطبيعة في هذا الفعل؛ فتوقّع الانفجار في أقرب الأوقات، وهو العشرون من المرض، وإن كانت مع جودتها ضعيفة فيكون في الأربعين، وإن كانت أشدّ ضعفاً ففي الستّين.

قوله: «فإن كان التقيّح من جانب واحد فقد ينبغي أن تتفقّد من أمر هؤلاء هل يجدون وجعاً في الجنب؟ وهل أحد الجنبين أسخن[١] من الآخر؟ فتأمر المريض أن يضطجع على جانبه الصحيح، ثمّ تسأله هل يخيّل إليه أنّه كأنّ به ثقلاً معلّقاً من جانبه[٢] الأعلى، فإنّه إن كان الأمر كذلك فإنّ التقيّح من جانب واحد».

أقول[٣]: اعلم أنّ فضاء الصدر كما ذكر جالينوس مقسومٌ بنصفين[٤]، يقسمه

---

(١) وهل أحد الجنبين أسخن: فإن كان في أحد الجنبين أثخن (س).
(٢) هل يخيل... جانبه: هل يحس كأن شيئاً معلقاً في جانبه (ك).
(٣) أقول: ساقطة (س).
(٤) يسمى في الطب الحديث المنصف Mediastinum.



Location of Heart in Thoracic Cavity

غشاء، فمتى كانت المِدّة [٥٣/ ظ/ك] في التجويف الأيمن مثلاً واضطجع المريض على جانبه الأيسر يجد كأنّ شيئاً معلّقاً في جانبه الأيمن، وكذلك الأمر فيه إذا كانت في الجانب الأيسر، ثمّ يكون مع هذه العلامة[١] الموضع الذي فيه المِدّة أسخن لعمل الحرارة فيها وطبخها لها.

وفائدة تعريفه لنا هذا المعنى[٢] حتّى نعالج الموضع الذي فيه التقيّح بالحقيقة، ونضع الأدوية الموافقة له عليه.

قوله: «وقد ينبغي أن يتعرّف جميع أصحاب التقيّح بهذه الدلائل، أمّا في أوّل الأمر فإنّ الحمّى لا تفارقهم، لكنّها بالنهار تكون رقيقة، فإذا كان الليل تكون أزْيَد، ويعرقون عرقاً كثيراً، ويستريحون إلى السعال، ولا ينفثون شيئاً يعتدّ به، وتغور أعينهم، وتحمرّ وجناتُهم، وتتعقّف أظافير أيديهم، وتسخن أصابعهم، [٣٠/ و/س] وخاصّة أطرافها، ويحدث في القدمين أورام تثور ثمّ تسكن، ولا يشتهون الطعام، ويحدث في أبدانهم نُفَاخات».

أقول: أمّا[٣] أنّ الحمّى لا تفارقهم؛ فذلك[٤] لدوام وجود العفونة، وأمّا أنّها رقيقة[٥]؛ فإذا كان الليل تكون أزيد، **فقد قال** بعض الأطباء: تكون أزيد لأنّ برد الليل يكثّف المسامّ فتتوفّر الحرارة في الباطن، فيزداد الكرب [٥٤/ و/ك] والحمّى، وهذا

(١) هذه العلامة: ذلك (ك).

(٢) هذا المعنى: ساقطة (ك).

(٣) أما قوله (ك).

(٤) فذلك: هذا لاشك فيه (ك).

(٥) وأما أنها رقيقة: تدوم الحمى، وأما قوله بالنهار تكون رقيقة (ك).

ليس بشيء، لأنّ التعليل الذي ذكره يوجب للحرارة توفّراً في الباطن فقط، وهذا لا يُفهم منه زيادة الحمّى، لأنّ معنى الحمّى أن تكون شاملة لجملة البدن ظاهره وباطنه.

وإنّما مراد أبقراط أنّ هذه الحمّى تزداد في الباطن والظاهر دون سائر الحمّيات؛ **فنقول**[١]: إنّ السبب في ذلك ورود برد الليل على الظاهر بإحاطة الهواء لجملة البدن وتردّده أيضاً على الباطن[٢] باستنشاق الهواء، فيوجب بروز الحرارة من الأعضاء الأصليّة التي كمنت فيها ولحجت إلى ظاهرها[٣] من كلّ جزء، وكما يفعل وقع الماء البارد على الكلس غير المطفأ، وكذلك يفعل في هذه الحمّى الغذاء عندما يرد إلى البدن دون سائر الحمّيات، وهذا من أجْوَد الفروق[٤]، وبه يقع الاستدلال عليها، وهو مجمع عليه من سائر الحكماء والأطبّاء، وهو أنّ[٥] أصحاب حمّى الدقّ تزداد حرارتهم[٦] عند التغذية، والعلّة فيه ما ذكرناه.

ولقد بحثت مع شيخي موفّق الدين بن المطران ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة، فقلت له: سلّمنا أنّ الماء البارد إذا ورد على الكلس غير المطفأ برزت الحرارة الكامنة [٥٤/ ظ/ ك] فيه وطفرت[٧] بسبب برده وتوفّرت وازدادت لانتشارها في الجسم بعد

---

(١) ولابد من تعليل ذلك فنقول (ك).
(٢) وتردده أيضاً على الباطن: والباطن (ك).
(٣) الأصلية... ظاهرها: ساقطة (س).
(٤) وهذا من أجود الفروق: وهو من أعظم الفروق الصادقة الذي لا ريب فيه (ك).
(٥) عليها... أن: وكذلك (س).
(٦) حرارة حماهم (ك).
(٧) فظهر (س).

تحيّزها واجتماعها، فكيف يفعل الغذاء في الأعضاء مثل ذلك؟ والغذاء الحقيقيّ الدم، وهو [٣٠/ظ/س] في البدن حارّ بالقوّة وبالفعل، وإذا كان بهذه[١] الصفة لم يقع بينهما؛ أعني الغذاء والأعضاء مضادّة في الكيفيّة، فلا يجب أن يقع ذلك.

فقال[٢]: اعلم أنّ الغذاء الحقيقيّ كما ذكرت هو الدم، وهو حارّ، لكن غذاء أصحاب الدقّ لا يكون إلا بأغذية باردة رطبة مائيّة، فيكون الدم الذي يغتذون به بارداً مائيّاً، مثل الدم الذي يتولّد عن اللبن والخسّ والبطّيخ الهندي وماء الشعير وما أشبهها، وإذا كان الأمر على هذا الحكم[٣] ظهر التضادّ، فيقع الأثر كما ذكر.

قوله: «ويعرقون عرقاً كثيراً».

أقول[٤]: لضعف قواهم ولاسيّما الماسكة، فإنّها تعجز عن مسك ما من شأنها أن تمسكه من رطوبات البدن فيخرج بالعرق.

قوله: «ويستريحون إلى السعال ولا ينفثون معه شيئاً يُعتدّ به».

أقول[٥]: هذا يكون خاصّة في أصحاب التقيّح الحقيقيّ، لأنّ القوّة تدرك المُنافي، وهو المِدّة المجتمعة في فضاء الصدر، وينالها منها الضرر، فتستعمل [٥٥/و/ك] السعال رجاءً لخروج المادّة المؤذية[٦]، إذ السعال عبارة عن حركة من

---

(١) كان بهذه: كمل على هذه (ك).
(٢) القول هنا لابن المطران.
(٣) الحكم: ساقطة (ك).
(٤) أقول: ساقطة (س).
(٥) أقول: ساقطة (س).
(٦) المؤذية: ساقطة (ك).

الرئة لدفع المؤذي، وهذه المادّة خارجة عنها، يحجبها غشاء الرئة، فلا يخرج منها إلا شيء لا يُعتدّ به، أي لا يجدي في نقاء الفضاء الذي فيه مادّة المرض.

قوله: «وتغور أعينهم».

أقول[١]: هذا يكون لشدّة استعداد الأعين للذوبان إذا وقع لها سبب يفعله مثل الحمّى، هذا السبب موجود هنا فيحلّل[٢]. **ولهذا** يعرض لمن سهر غورٌ في عينيه، وما سبب ذلك إلّا كثرة التحلّل بسبب الحركة، وأنّها مستعدّة لذلك دون سائر الأعضاء.

قوله: «وتحمرّ وجناتهم».

أقول: هذا دليل مخصوص بذات الرئة كما قيل[٣]:

وقد يكتسي المرءُ خزَّ الثياب ... ومِن تحتها حالةٌ مُضْنية

كما يكتسي خدُّه حمرةً ... وعلّتُه ورمٌ في الرِّية

وإن كان يعرض لغيرها نادراً لقوّة الحرارة وكثرتها، وأمّا [٣١/و/س] الأطبّاء فإنّهم ذكروا في حمرة وجنة العليل سبباً فقالوا[٤]: إنّ الأبخرة تصعد إليها من

---

(١) أقول: ساقطة (س).

(٢) مثل الحمى... فيحلل: وقد وقع وهو الحمى (ك).

(٣) القول لم يرد في (س). أقول أنا المحقق: وهذا القول من أبيات لأبي الفتح علي بن محمد الكاتب البستي (٤٠٠ هـ)، من أبيات في الطبيات والفلسفيات، (يتيمة الدهر للثعالبي ج٤ ص٣٥٨، وديوان البستي ص٣٠٩).

(٤) وأما الأطباء... فقالوا: لكننا لابد أن نبحث في هذه المسألة بحثاً شافياً نعرف فيه سببه على الحقيقة، فإن الأطبّاء أكثر ما ذكروا (ك).

الرئة ومن جميع الأعضاء التي ذكرنا أنّه يحدث فيها التقيّح فتوجب الحمرة في الوجنتين.

فأقول[١]: [٥٥/ظ/ك] هذا لا يكفي في ذلك، ولئن[٢] سلّمنا أنّ الأبخرة صعدت، وأنّها ثبتت في الوجنتين، فكيف أوجبت الحمرة والبخار ليس له لون أحمر؟

ثمّ نقول: سلّمنا أنّها صعدت، فلِمَ لا تحلّلت وزالت فلا يحدث عنها شيء؟

فنقول: ما تخلّص لنا في ذلك هو أنّ الأبخرة الحارّة إذا صعدت إلى الوجنتين تثبت فيهما، وذلك لأنّ لحمها على ما ذكره المشرّحون متخلخلٌ كالإسفنج، فهو يقبل من الأبخرة ـ بسبب ذلك ـ مقداراً كثيراً، والجلد الذي على الوجنتين والوجه صلب متكاثف ـ كما ذكروا[٣]، واستدلّوا عليه بأنّه مكشوف، لا يتأذّى من البرد ولا من الحرّ، دون سائر جلد الأعضاء الأُخَر، ولم يحتجْ إلى وقاية لِما ذكرنا، فإذا ثبتت الأبخرة الحارّة المرتقية من الأعضاء المذكورة واجتمعت فيها كما ذكرنا[٤]؛ أوجبت للدم الذي في الوجنتين ترقّياً وبسطاً في جميع أجزاء الخدّين، وأعانت على أن ينجذب إليه من الدم بسبب تسخينها لهذا الموضع مقدارٌ كثيرٌ، فيظهر فيها ـ أعني الوجنتين ـ حمرة أكثر ممّا كان عليه في حال الصحة، ويدوم ذلك لدوام بقاء سببه.

---

(١) فنقول لهم (ك).

(٢) فإننا نقول (ك).

(٣) كما ذكروا: ساقطة (س).

(٤) كما ذكرنا: ساقطة (س).

ثمّ إنّ هذا مخصوص بذات الرئة على الأكثر [٥٦/ و/ ك] لقربها منها ومشابهتها[١] لها. فهذا أحسن ما علّل به حمرة الوجنتين في ذات الرئة، وأصحاب التقيّح، وأصحاب السلّ.

قوله[٢]: «وتتعقّف أظافير أيديهم».

أقول[٣]: هذا يكون لقلّة الرطوبة فيها، فيظهر أثر تحليل الحرارة القويّة فيها بسرعة، كما يعرض للسيور إذا قربت من النار فإنّها تلتوي، [٣١/ ظ/ س] بسبب فناء رطوبتها.

قوله: «وتسخن أصابعهم، وخاصّة أطرافها».

أقول[٤]: هذا يكون لأنّ الأعضاء الأصليّة في الأصابع والأطراف على صرافتها[٥] كالعظام والعروق والأعصاب، وهذه الحمى مخصوصة بالأعضاء الأصليّة فيكون ظهورها هنا أكثر.

قوله: «ويحدث في القدمين أورام تثور[٦] ثمّ تسكن».

أقول[٧]: هذا يكون لضعف القوى، فإنّ الحكماء قد أجمعوا على أنّ[٨] أوّل

(١) ومسامتتها (س).

(٢) قوله: ساقطة (س).

(٣) أقول: ساقطة (س).

(٤) أقول: ساقطة (س).

(٥) صروفتها (ك).

(٦) وبثور (س).

(٧) أقول: ساقطة (س).

(٨) الحكماء قد أجمعوا على أن: ساقطة (س).

ما يموت من البدن أطرافه، لبعدها من منبع الحياة، فإذا ضعفت القوى عجزت عن تدبير الغذاء الذي فيها، فيكون منه أبخرة توجب أوراماً فيها بخاريّة تتحلّل تارة وتعود أخرى.

قوله: «ولا يشتهون الطعام».

أقول(١): هذا يكون لتمكّن سوء المزاج الحارّ المضعف للشهوة ـ كما ذكره الأطبّاء بأسرهم(٢).

قوله: «ويحدث [٥٦/ ظ/ ك] في البدن نفاخات».

أقول(٣): هذا يكون أيضاً لضعف القوى كما ذكرنا في الأورام الريحيّة فافهمه.

قوله: «وما تطول مدّته من التقيّح فإنّه يظهر فيه هذه العلامات وينبغي أن تثق بها غاية الثقة، وأمّا ما كان منها قصير المُدّة فينبغي أن تنظر هل يظهر فيها شيء من تلك الدلائل التي تكون في الابتداء، وتنظر أيضاً إن كان نفس ذلك الإنسان بحال هي أردأ».

أقول: إنّ هذا المرض إذا طالت مدّته فإنّه ينهك القوّة، وينفعل عنه البدن، وتظهر علامات غلبة المرض للقوّة والبدن؛ أمّا للقوّة فللضعف وما يتبعه من أعراضه في جميع الأفعال الصادرة عن القوّة، وأمّا للبدن فللهزال وغور العينين وتعقّف الأظفار، وسخونة الأطراف كما ذكر أبقراط(٤) ـ وما أشبهها، فإذا ظهرت هذه العلامات في هذا المرض فثِقْ بصدقها وصدْق ما تدلّ عليه من الهلاك(٥).

وأمّا ما كان منها قصيراً؛ أي من هذه الأمراض المذكورة فينبغي أن تنظر فيما

(١) أقول: ساقطة (س).

(٢) كما ذكره الأطباء بأسرهم: ساقطة (س).

(٣) أقول: ساقطة (س).

(٤) كما ذكر أبقراط: ساقطة (س).

(٥) فثق... الهلاك: فثق بها واحكم بصدقها (ك).

ذكرناه من الدلائل الثلاثة التي [٣٢/ و/ س] تقدّم ذكرها؛ وهي النافض والحمّى الشديدة والسعال. وانظر هل يقترن بها رداءة في التنفّس أم لا، فإن كان الأمر كذلك فالحكم بالرداءة مع القصر في المُدّة.

قوله[١]: «وأمّا ما ينفجر من ذلك؛ [٥٧/ و/ ك] هل يكون انفجاره أسرع أو أبطأ، فهذه الدلائل ينبغي أن تُعرف؛ إن كان الألم يحدث من أوّل الأمر، وسوء التنفّس، وسعال، ونفث البصاق لايزال باقياً فينبغي أن تتوقّع الانفجار نحو العشرين أو قبل ذلك، وجميع تلك الأشياء على قياس هذا. فينبغي أن تتوقّع التقيّح بعد تلك المُدّة، ولابدّ قبل نفث المِدّة من أن يتزيّد الألم وسوء التنفّس ونفث البصاق[٢]».

قال مهذّب الدين[٣]: أراد أبقراط بهذا القول[٤] أن يعرّفك سرعة الانفجار من بطئه، **فقال**: «متى رأيت المريض يجد في ابتداء مرضه سعالاً مُلحّاً ووجعاً شديداً، ونفثَ بصاق، وسوء تنفّس؛ فاعلم أنّ الانفجار يكون قريباً»، لأنّ جميع هذه العلامات تدلّ على كثرة المادّة وحدتها ولذعها، فيكون الانفجار في القسم الأوّل من أقسام البُحران الذي يأتي في العشرينات ـ وهو العشرون يوماً، فافهمه، وعلّله بما علّلناه به فيما تقدّم إن كنت ذاكراً لما بيّنّاه[٥].

وإن كانت هذه الأعراض التي ذكرناها هادئة ساكنة قليلة؛ **فاعلم** أنّ الانفجار يتأخّر، لأنّ المادّة قليلة غير حادّة، ولا حافزة للقوّة، فاعلم ذلك.

---

(١) قوله: قال أبقراط (س). وقد جعل ذلك فصلاً منفصلاً، وليس هو بذلك، بل متصل. وفي أصل (تقدمة المعرفة لأبقراط) ليس بفصل منفصل.

(٢) هل يكون انفجاره... البصاق: ساقطة (س).

(٣) قال مهذب الدين: قال المفسر (س)، وطبعاً ذلك يسري على كافة المخطوط، وقد أشرت له قبل.

(٤) بهذا القول: بذكر هذا الفصل (س).

(٥) فافهمه... بيناه: ساقطة (س).

(الفصل التاسع والعشرون)

قال أبقراط: [٥٧/ ظ/ك] «وأكثر من يسلم من هؤلاء مَن فارقتْه الحمّى من يومه بعد الانفجار، واشتهى الطعام بسرعة، ولم يكن به عطش، وكان ما يخرج من بطنه يسيراً مجتمعاً، وكانت المِدّة التي ينفثها بيضاء ملساء، كلّها بلون واحد، وليس يخالطها من البلغم شيء، ويتقيّأ بلا كدٍّ، ولا سعال شديد؛ فمن كانت هذه حاله فإنّه يتخلّص على أفضل الوجوه، وفي أسرع الأوقات. وبعد هذا من كان أقربهم منه حالاً، والذي يعطب من هؤلاء من لا تفارقه الحمّى من يومه، أو همّت أنّها تفارقه ثمّ كرّت عليه بعد، ويكون به عطش، ولا يشتهي الطعام، وتكون بطنه ليّنة، ويكون ما يخرج منه من المِدّة أخضرَ كمداً، ويكون نفْثُه بلغميّاً زبَديّاً، ومتى حدثت هذه الأمور كلّها فإنّ صاحبها يعطب. فأمّا من حدث به بعضُها والبعض لم يحدث؛ فبعضهم يعطب وبعضهم يسلم على طول المُدّة. وقد ينبغي أن يستدل من جميع الدلائل التي توجد في هؤلاء، ومن سائر الدلائل كلّها(١)».

قال مهذّب الدين: أراد أبقراط في هذا الفصل أن يبيّن العلامات التي إذا اجتمعت دلّت على السلامة، وقد عرفت فيما تقدّم كلّ واحد من هذه العلامات [٥٨/ و/ك] التي تدلّ على السلامة لِمَ صارت إذا كانت بهذه الحال تدلّ على السلامة، وكذلك ذكر العلامات التي إذا اجتمعت دلّت على العطب والهلاك وعددها(٢)،

(١) واشتهى الطعام بسرعة... كلها: الفقرات لم ترد في (س).

(٢) وعددها: ساقطة (س).

وقد عرفْتَ كلّ واحد منها على انفراده كيف يدلّ على الهلاك والعطب[١] فيما تقدّم.

ثمّ قال: «وإذا اجتمعت الدلائل الدالّة على السلامة مع الدلائل الدالّة على العطب فاعلم أنّ بعض المرضى يسلم وبعضهم يعطب».

أقول: هذا على قدر غلبة بعضها على بعض، فإن غلبت دلائل السلامة على [٣٢/ظ/س] دلائل العطب آل أمر المريض إلى السلامة، وإن غلبت دلائل العطب على دلائل السلامة عطب المريض .

والطبيب الحاذق[٢] يعرف الدلائل ويقيس بعضها ببعض على ما تقرّر أولاً، ولا ينظر[٣] إلى عدد الدلائل، بل إلى قوّة بعضها في الدلالة وضعف بعضها[٤]، فإنّه إذا سلك ذلك واستعمله كان حُكمه بما يحكم به صحيحاً.

(١) والعطب: ساقطة (س).

(٢) والطبيب الحاذق: والحاذق في هذه الصناعة (ك).

(٣) أولاً ولا ينظر: فيما مضى من التفسير أنه لا ينظر (ك).

(٤) في الدلالة وضعف بعضها: في الدلائل وفي ضعف بعضها في الدلالة (ك).

(الفصل الثلاثون)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا من حدث به الخُراجات من أصحاب ذات الرئة عند الأذنين أو في المواضع السفليّة؛ فإنّ تلك الخُراجات تتقيّح وتنفجر وتصير نواصير[١]، وأصحاب هذه العلل يتخلّصون.

---

(١) وأهمها النواسير السلية الناتجة عن التهاب العقد البلغمية السلي Tuberculous lymphadenitis







وينبغي أن تنظر في هذه [٥٨/ظ/ك] الوجوه على هذا المثال؛ فمتى كانت الحمّى لازمة، وكان الألم لم يسكن، وكان نفث البصاق لم ينبعث على ما ينبغي، ولا كان الغالب على ما ينحدر من البطن المرارَ، وكان منطلقاً صرفاً، ولا كان البول كثيراً جدّاً، وفيه ثفل راسب كثير، وكانت سائر الدلائل كلّها تدلّ على السلامة؛ فقد ينبغي أن تتوقّع لأصحاب هذه الحال حدوث مثل هذه الخُراجات.

وما يحدث من هذه الخُراجات في المواضع السفليّة إنّما يحدث بمن يكون به فيما دون الشراسيف شيء من الالتهاب. وما يحدث منها فوق إنّما يحدث بمن كان دون الشراسيف منه خالياً من الألم والغلظ دائماً، ثمّ يعرض له سوء تنفّس، فيلبث مدّة ما ثمّ يسكن من غير سبب ظاهر.

وأمّا الخراجات التي تحدث في الرجلين في علل ذات الرئة القويّة العظيمة الخطر فكلّها نافعة، وأفضلها ما كان حدوثه قريباً، وما ينفث بالبصاق قد بان فيه التغيير، وذلك أنه متى كان حدوث الورم والألم بعد أن يكون ما ينفث بالبصاق وقد تغيّر عن الحمرة إلى حال التقيّح، أو انبعث إلى خارج كانت سلامة ذلك الإنسان على غاية الثقة، وكان الخُراج يسكن حتّى يذهب ألمه [٥٩/و/ك] في أسرع الأوقات»[١].

قال مهذّب الدين: قوله: «وأمّا من حدثت به الخُراجات من أصحاب علل ذات الرئة عند الأذنين وفي المواضع السفلية، فإنّ تلك الخُراجات تتقيّح وتنفجر وتصير نواصير، وأصحاب هذه العلل يتخلّصون»[٢].

(١) القول في (س): «وأمّا من حدثت به الخُراجات من أصحاب علل ذات الرئة إلى قوله: وكان الخُراج يسكن حتّى يذهب ألمُه في أسرع الأوقات».

(٢) قوله... يتخلصون: ساقطة (س).

أقول: معنى ذات الرئة أي ورم الرئة، وكذلك[١] قولهم: ذات الكبد وذات الطحال. ومعنى الخُراج: الورم الذي ينفتح في أيّ عضو كان من البدن. ومعنى الناصور: الجرح أو القرحة إذا طالت مدّتها وتتخرّق جوانبها وصارت كالأنبوب[٢].

إذا عرفت ذلك **فاعلم** أنّ ذات الرئة قد تُبَحْرِنُ بدفع المادّة إلى المواضع الرخوة مثل خلف[٣] الأذنين، أو إلى أسفل البدن، وتكون القوّة في هذه البحَارين التي لأمراض الرئة عاجزة عن الدفع التام من البدن لِما أنهكها هذا المرض الصعب الذي هو على الأكثر من الأمراض القتّالة الذي قلّ أن يسلم منها أحدٌ إلّا نادراً، فتبقى موادّ المرض المدفوعة إلى هذه المواضع الضعيفة مُدّة فتنفجر، فإذا طالت نوصرت كما ذكرنا.

قوله: «وأصحاب هذه العلّة يتخلّصون».

أقول[٤]: يعني من الموت الذي يتبع ورم الرئة على الأكثر [٥٩/ ظ/ك] كما ذكرنا[٥].

---

(١) وكذلك الأمر في (ك).

(٢) وقد سماها الزهراوي زكاماً، وسميت بالريشة، فقال: اعلم أنّ كل جرح أو ورم إذا أزمن وتقادم وصار قرحة ولم يلتحم، وكان يمد القيح دائماً لا ينقطع فيسمّى على الجملة ناصوراً في أي عضو كان، ونحن نسمّيه زكاماً، والناصور هو على الحقيقة تعقّد متلبّد صلب أبيض لا وجع فيه، له تجويف كتجويف ريش الطير، ولذلك سمّاه بعضهم ريشة. (اصطلاحات الطب القديم، والزهراوي في الطب لعمل الجرّاحين).

(٣) مثل خلف: عند (ك).

(٤) أقول: ساقطة (س).

(٥) قوله... ذكرنا: هذه الفقرة مكررة في (س). ذكرنا: بينا (ك).

قوله: «وينبغي أيضاً أن تنظر في هذه الوجوه على هذا المثال، فمتى كانت هذه الحمّى لازمة، وكان [٣٣/ و/س] الألم لم يسكن، وكان نفث البصاق لم ينبعث على ما ينبغي، ولا كان الغالب على ما ينحدر من البطن المرار، ولا كان منطلقاً صرفاً، ولا كان البول كثيراً جدّاً، فيه ثفل راسب كثير، وكانت سائر الدلائل كلّها تدلّ على السلامة، فقد ينبغي أن تتوقّع لأصحاب هذه الحال حدوث مثل هذه الخُرَاجات».

أقول(١): **اعلم** أنّ المرض إذا كان على غايةِ ما يمكن أن يكون من القوّة مثل لزوم الحمّى، وشدّة الألم، فيكون المرض في التزيّد أو في الانتهاء، ولم يبق إلا الفصل؛ إمّا أن يغلب المرض على القوّة فيقع الهلاك، **وإمّا** أن تغلب القوّة فيقع البرء، ولكلّ واحد من ذلك علامات، فإن كان المرض على ما ذُكر زائداً أو في منتهاه ووقع البُحران، ولم تقع علامات صالحة مثل بول كثير فيه ثفل صالح، أو إسهال مرارٍ، أو نفث صالح يعقب راحة يكون به استفراغ المادّة، وكانت القوّة والعلامات مع ذلك علامات(٢) صالحة غير مذمومة، لكنّها ليست إلى الغاية .**فاعلم** أنّ البُحران في ذلك كان ناقصاً، ولابد أن يحدث خُرَاج على الأمر الأكثر.

[٦٠/ و/ك] **قوله**: «وما يحدث من هذه الخُراجات في المواضع السفليّة إنّما يحدث بمن كان به فيما دون الشراسيف شيء من الالتهاب، وما يحدث منها فوق إنّما يحدث بمن كان دون الشراسيف منه خالياً من الغلظ والألم دائماً لم ينحل(٣)، ثمّ يعرض له سوء تنفّس، فيلبث مدّة ما، ثمّ يسكن من غير سبب ظاهر».

---

(١) أقول: ساقطة (س).

(٢) علامات: ساقطة (س).

(٣) لم ينحل: ساقطة (ك).

أقول: إنّ أبقراط أراد[١] أن يعرّفك كيف تحدث الخُراجات في أصحاب ذات الرئة، وكيف يستدل عليها، ثمّ في هذه الألفاظ أراد أن يبيّن لك أين تحدث الخُراجات؛ فوق أو أسفل، ويعرّفك [٣٣/ ظ/ س] السبب في ذلك.

فاعلم أنّه إن كان ما دون الشراسيف فيه حرارة زائدة من سوء مِزاج، **فاعلم** أنّه من أسباب الجذب للمادّة[٢] المعِين على حدوث الخُراجات في الجهة التي هو فيها، وإن كان ما دون الشراسيف خالياً من ذلك فاعلم أنّ فيه قوّة تدفع عنه إذ هو صحيح وقواه[٣] سليمة، يفعل كلّ واحد منها ما هو بضدّه، فالخراجات تحدث في الأعالي. ثمّ اعلم أنّه قد[٤] يحدث له إن عرض الخُراج في الأعالي سوء تنفّس، وذلك لميل الموادّ إلى جهة قصبة الرئة.

وقوله: «تنفّس ما»؛ أي لا يكون شديداً، [٦٠/ ظ/ ك] لأنّ الطبيعة قد قويت ودفعت المادّة عنها إلى الأعلى، فلا يؤثّر أثراً عظيماً. «ثمّ يسكن من غير سبب ظاهر»؛ أي يسكن لدفع الطبيعة الموادّ إلى الأعالي، ويعني «من غير سبب ظاهر»؛ أي من الأسباب الخارجة، والله أعلم.

قوله: «وأمّا الخُراجات التي تحدث في الرجلين في علل ذات الرئة القويّة العظيمة الخطر كلّها نافعة، وأفضلها ما كان حدوثه قريباً زائداً[٥]، وما يُنفث بالبصاق قد بان فيه التغيير».

---

(١) أراد في هذا الفصل (ك).

(٢) للمادة: ساقطة (س).

(٣) وقوله (س).

(٤) اعلم أنه قد: إنه (س).

(٥) زائداً: ساقطة (ك).

أقول[١]: **اعلم** أنّ المواذّ المْرضة إذا انتقلت من العضو الرئيس إلى العضو الخسيس يكون ذلك نافعاً صالحاً جدّاً، ولاسيّما إذا كانت ذات الرئة عظيمة[٢] كثيرة الخطر.

قوله: «وأفضلها ما كان قريباً».

أقول[٣]: أي في الزمان، لا يتأخّر عن دفع الرئة للمادّة، فتدلّ على قوّة منها، خوفاً أن يتمكّن فيها التآكل إذا طالت المُدّة، فيكون ذلك رديئاً.

قوله: «وما ينفث بالبصاق قد بان فيه التغيّر».

أقول[٤]: أي العلامة الصالحة المنذرة بالنضج، وقوّة القوّة على دفع المادّة إلى غيرها من الأعضاء، ولاسيّما الرجلَين.

قوله: «وذاك أنّه متى كان حدوث الورم والألم بعد أن يكون ما ينفث بالبصاق وقد [٦١/و/ك] تغيّر من الحمرة إلى حال التقيّح، أو انبعث إلى خارج؛ كانت سلامة ذلك الإنسان على غاية الثقة، وكان الخُراج يسكن حتّى يذهب ألمُه في أسرع الأوقات»[٥].

أقول[٦]: يعني إذا حدث الورم بعد النضج [٣٤/ ظ/س] الذي ذكر لك علاماته؛ وهي لون النفث إذا كان مائلاً إلى الحمرة والتقيّح، يكون ذلك دليلاً صالحاً يؤذن بسلامة المريض وبرئه من مرضه[٧].

---

(١) أقول: ساقطة (س).

(٢) بعدها في (س) كلمة، لعلها مونة.

(٣) أقول: ساقطة (س).

(٤) أقول: ساقطة (س).

(٥) وذاك أنه متى... الأوقات: وذلك أنّه متى كان حدوث الورم»، إلى قوله: «في أسرع الأوقات» (س).

(٦) أقول: ساقطة (س).

(٧) من مرضه: ساقطة (س).

(الفصل الحادي والثلاثون)

✍ **قال أبقراط**: «وإذا كان ما يُنفث بالبصاق ليس يخرج على ما ينبغي، ولم يظهر في البول ثفل راسب محمود؛ فليس يؤمن أن يزمن المفصل الذي خرج فيه الخُراج، أو يلقى صاحبُه منه شدّة شديدة».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ انتقال المادّة من أصحاب ذات الرئة إلى الرجلَين دليل محمود، لكن بعد النضج المحمود، وأمّا إذا كان غير نضيج دلّ على الكثرة والعموم. ولذلك **قال**: «وإذا كان ما ينفث بالبصاق ليس يخرج على ما ينبغي، ولذلك لم يظهر في البول ثفل راسب محمود، فليس يؤمن على المريض أن يزمن المفصل الذي خرج فيه الخُراج، أو أن يلقى منه صاحبه شدّة شديدة»(١).

وأمّا كونه مستعدّاً للزمانة فلأنّه عضو منحدر أسفل البدن(٢) [٦١/ ظ/ ك] مستعدّ لقبول الأخلاط المنصبّة إليه، ولأنّه واسع المجاري، ولأنّه ضعيف ليس كالأعضاء الرئيسة الشريفة القويّة، ولأنّه بكثرة حركته يسخن فيكون أصلاً في قبول الأخلاط وجذبها إليه سبب السخونة المكتسبة بالحركة، أو أن يلقى منه صاحبه شدّة شديدة

(١) ولذلك قال... شديدة: ساقطة (س).
(٢) أسفل البدن: متسفّل (س).

موجبة للألم الشديد بسبب ما فيها من الأعصاب، فإنّ **جالينوس** شبّه ألمها بضرب الجلاوزة وهم الجنداريّة الذين بين أيدي الولاة[١]؛ ذكر ذلك[٢] في كتاب «**حفظ الصحّة**» من الستّة عشر.

---

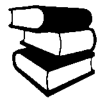
(١) الملوك (ك). **الجِلواز**: الشرطي، وتجمع على جلاوزة وجلاويز. **جاندار وجندار**: فارسية سلاح دار، حامل السلاح، جمعها جاندارية وجنادرة، وكان الجاندار في مصر أيام المماليك، وفي المغرب في عهد بني مرين حاجب باب السلطان، وخادمه الخاص، والجلاد. (تكملة المعاجم).

(٢) ذكر ذلك: هكذا ذكره (ك).

(الفصل الثاني والثلاثون)

✍ **قال أبقراط**: «فإن غابت الخُراجات وما ينفث بالبصاق لم ينبعث، والحمّى ملازمة؛ فذلك رديء، لأنّه لا يؤمَن على المريض أن يخلط عقله ويموت».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ غَيْبة الموادّ في ذات الرئة، وفي جميع الخُراجات التي تكون فيما يلي الصدر إلى داخل رديء، لميلها إلى الأعضاء الشريفة كالقلب والكبد، فهي تدلّ على ضعف من القوّة، وعلى قوّة من المرض، فإذا اجتمعت الموادّ الرديئة الخبيثة في الباطن ارتفعت منها [٣٤/ ظ/ س] أبخرة رديئة إلى الدماغ، والقوّة في الأصل ضعيفة، فيعجز الدماغ عن دفعها عنه، فلا يؤمن أن يختلط عقله، وإن أفرط الضرر على الأعضاء [٦٢/ و/ ك] الشريفة عرض الموت.

(الفصل الثالث والثلاثون)

✍ **قال أبقراط**: «ومن يموت من أصحاب التقيّح الحادث عن ذات الرئة ممّن كان قد طعن في السن أكثر، وأمّا سائر التقيّح؛ فالذين هم أحدث سنّاً يموتون منه أكثر».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ قوله وحكمه على أنّ من يموت من أصحاب التقيّح ممّن طعن في السنّ أكثر، والذين هم أحدث سنّاً يموتون أكثر؛ يعني بالنسبة إلى المشايخ الذين هم من القسم الثاني من أقسام سنّ المشايخ كما نبيّنه.

واعلم أنّ قوله: «أكثر»؛ هي من مقولة المضاف لابد وأن يكون بالنسبة إلى شيء، فليُفهم على ما ذكرنا(١).

وقوله: «ممّن طعن في السنّ»؛ أي في المتكهّلين والمشايخ الذين هم من القسم الأوّل من سنّ المشايخ، فإنّ هذا السنّ يقسمه أبقراط وجالينوس إلى قسمين؛ أحدهما الشيخ مطلقاً، والثاني الشيخ الفاني، ولهذا **قال أبقراط**(٢) في «الفصول»: إنّ ما يعرض من النُّزُل للشيخ الفاني لا يكاد ينضج.

واعلم أنّ كلّ واحد من القسمين اللذين ذكرهما أبقراط يموت أكثر، لكن الأحداث من جهة، والكهول من جهة، والقسم الأوّل من المشايخ من جهة. أمّا

---

(١) فليفهم على ما ذكرنا: ساقطة (س).

(٢) أبقراط: ساقطة (ك).

الأحداث فإنّ موادّهم حادّة حارّة[١] شديدة اللذع، مؤلمة لا يصبرون عليها فيهلكون.

وأمّا الكهول الذين هم [٥٢/ظ/ك] في القسم الأوّل من المشايخ الذين قد طعنوا في السنّ بالنسبة[٢] إلى الأحداث؛ لأنّ هذا المرض يحتاج إلى قوّة قويّة تقوى على نفْث المادّة وإخراجها وقواهم تعجز عن ذلك.

فإن قيل: قوله عن الشيخ الفاني: «متى حدث به شيء [٣٥/و/س] من النُّزُل لا تكاد تنضج، فهي أيضاً تقتله، فيكون الأحداث والكهول والقسم الأوّل من المشايخ يهلكون، وعلى هذا التقدير الشيخ الفاني وشبهه يهلكون أيضاً.

فيبقى قوله[٣]: «أكثرٌ بالنسبة إلى أي شيء يكون أكثر[٤]»؛ **فنقول**: حَكَمَ في الأحداث والكهول، وفي القسم الأول من أقسام المشايخ بالهلاك[٥]، وأمّا في الشيخ الفاني فما حكَم بأنّه يهلك، بل حكَم لشدّة تعذّر النضج[٦]، فيحمل الأمر فيه على أنّه يبقى بهم ويطول من غير أن يهلكهم، فيتمّ الحكم والأمر فيه على هذا التفسير.

---

(١) حارة: ساقطة (س).

(٢) بالنسبة والإضافة (س).

(٣) فيبقى قوله: فقوله (س).

(٤) يكون أكثر: ساقطة (ك).

(٥) فيهلكون (ك).

(الفصل الرابع والثلاثون)

قال أبقراط: «وأمّا الأوجاع التي تكون مع الحمّى في القَطَن وفي المواضع السفليّة، فإنّها إن لابست الحجاب بعد أن تفارق المواضع كان ذلك قتالاً جدّاً، وقد ينبغي أن تدبّر بعقلك سائر الدلائل، فإنّك إن رأيت مع ذلك دليلاً رديئاً من سائر الدلائل فليس يرجى ذلك المريض. فإن كان المرض قد تراقى إلى الحجاب، وسائر الدلائل [٦٣/ و/ ك] ليست بالرديئة؛ فليقْوَ رجاؤك بأنّ ذلك المريض يؤول أمره إلى التقيّح[١]».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ هذه الأمراض المذكورة إذا كانت في القطَن وما يليه، ثمّ ارتفعت إلى الحجاب وما يليه من الأعضاء الرئيسة[٢] الشريفة؛ دلّت على ضعف القوّة، وقوّة المرض، فمتى اقترن بها علامة رديئة كان ذلك أوكد على الدلالة على الهلاك، فإن مالت كما ذكرنا[٣] إلى الأعالي والحجاب والأعضاء الشريفة فهي تدلّ على الضعف والعجز عن الدفع عنها، لكن إذا اقترن بها دلائل صالحة غير رديئة فهي تدلّ على التقيّح، لأنّ قوّة البدن ليست على الكمال، فتدفعها عن هذه الأعضاء، ولا هي في غاية الضعف فيقع الهلاك، لأنّه قد اقترن بها أدلّة جيّدة فتكون متوسّطة.

(١) وفي المواضع... التقيح: ساقطة (س).

(٢) الرئيسة: ساقطة (س).

(٣) كما ذكرنا: ساقطة (س).

(الفصل الخامس والثلاثون)

قال أبقراط: «ومتى كانت المثانة صلبة مؤلمة، فإنّها في جميع الأحوال قتّالة، وأقتل ما تكون إذا كانت معها حمّى دائمة، وذلك أنّ ألم المثانة قد يقوى على أن يقتل، والبطن لا ينبعث في ذلك الوقت، وقد يُحلّ ذلك البول إذا بيل بمنزلة القيح وفيه ثفل أبيض راسب أملس، وإن لم يكن ذلك البول أصلاً، ولم تلِن المثانة، وكانت الحمّى دائمة؛ فتوقع لصاحب ذلك الألم الهلاك [٦٣/ ظ/ ك] في الأدوار الأُوَل من مرضه، وهذا النوع يصيب خاصّة الصبيان منذ يكونون أبناء سبع سنين وإلى أن يبلغوا خمس عشرة سنة»[(١)].

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ قوله: «ومتى كانت المثانة صلبة مؤلمة فإنّها في جميع الأحوال قتّالة، وأقتل ما تكون إذا كانت معها حمّى»[(٢)].

أقول: وذلك لأنّها إذا كانت صلبة مؤلمة فهي تدلّ على أن قد حدث فيها ورم حارّ دموي، لأنّ بعض علاماته الصلابة والألم يدلّان على ذلك، فهي تقتل لسدها [٣٥/ ظ/ س] المكان عن أن يخرج منه البول، وذلك من الأمور القتّالة لا محالة[(٣)].

قوله: «وأقتل ما يكون إذا كان معها حمّى».

---

(١) دائمة، وذلك أن...سنة: ساقطة (س).

(٢) قال مهذب الدين... حمى: ساقطة (س).

(٣) وذلك من الأمور القتالة لا محالة: وبإجماع الأطبّاء وبالتجربة أن ذلك من الأمور القتالة (ك).

أقول: هذا صحيح[١]، لأنّه إذا حدث الورم مع الحمّى تبعها العطش فاحتاج صاحبها إلى شرب الماء لأجل العطش الحاصل[٢]، فينفذ بعد الاستغناء عنه إلى المثانة فلم يجد طريقاً للخروج فيزداد[٣] الألم والضرر والهلاك.

قوله: «وذلك أنّ ألم المثانة قد يقوى إلى أن يقتل، والبطن لا ينبعث في ذلك الوقت».

أقول: هذا أيضاً ممّا يعين على المزاحمة وشدّة الألم فيكون الضرر أشدّ[٤].

قوله: «وقد يُحلّ[٥] ذلك البول إذا بيل بمنزلة القيح».

أقول[٦]: هذا العرض دليل على انحلال[٧] [٦٤/و/ك] الورم، ويدلّ على أنّه قد انفجر، وممّا يدلّ على ذلك خروج القيح، إذ القيح عبارة عن خروج الدم والمِدّة معاً.

قوله: «وفيه ثفل راسب أبيض أملس».

أقول: هذا يكون[٨] إذا خرج البول وفيه ثفل على هذه الصورة، ويدلّ على ذلك

---

(١) صحيح: ساقطة (س).
(٢) العطش الحاصل: ذلك (ك).
(٣) فيزداد التزحر ويزداد (ك).
(٤) فيكون الضرر أشد: فيقع فيه الضرر أكثر (ك).
(٥) يجد (س).
(٦) أقول: ساقطة (س).
(٧) دليل على انحلال: يحلّ (ك).
(٨) أقول: ساقطة (س). هذا يكون: ساقطة (ك).

أنّ الانفجار من فعل الطبيعة وقوّتها، لا من الكثرة، وهذا دليل على النضج التامّ، ولأجل ذلك اشترط فيه أبقراط هذه الأوصاف حتّى يكون كامل الدلالة.

قوله: «وإن لم يلِن البول أصلاً، ولم تلِنْ المثانة، وكانت الحمّى دائمة».

أقول[1]: عنى بقوله: «وإن لم يلِن البول»؛ يعني وإن لم تنقص أعراضه الرديئة، وتنحطّ وتلِن، وتنقص عن ذلك. «ولم تلِن المثانة»؛ يعني: فإن لم تنقص[2] المثانة عن صلابتها، فإنّ ذلك يدلّ على بقاء الورم على حاله.

قوله: «وكانت الحمّى دائمة».

أقول: وأمّا كون الحمّى دائمة فهذا دليل[3] على رداءة الورم وعفنه، ودوام وصول العفونة منه إلى القلب.

قوله: «فتوقّع لصاحب ذلك الألم الهلاك في الأدوار الأول من مرضه».

أقول: لأنّه يكون في غاية الرداءة والقوّة، فهو يقتل عاجلاً. ويعني بالأدوار الأُوَل؛ الأسبوع الأوّل منها والثاني والثالث إلى العشرين.

قوله: «وهذا النوع [٣٦/ و/ س] يصيب الصبيان [٦٤/ ظ/ ك] منذ يكونون أبناء سبع سنين وإلى أن يبلغوا خمس عشرة سنة».

---

(١) أقول: ساقطة (س).

(٢) عن ذلك... تنقص: ساقطة (س). ولم تلن؛ بالأصل: ولا تلن.

(٣) قوله... دليل: دل (س).

أقول: لأنّ ذلك يكون لشرههم ونهمهم[١] وكثرة أكلهم، فتندفع الفضول منهم إلى المثانة أكثر من غيرهم، والله أعلم.

تمّت المقالة الثانية[٢]





(١) لأن... ونهمهم: ذلك لشرههم (ك).

(٢) العبارة ساقطة في (س).

منذ يكونوا ابناء سبع سنين والى ان يبلغوا خمسة عشر سنة او قبل
ذلك لشرههم وكثرة اكلهم تندفع الفضول منهم الى الملتحمة اكثر
من غيرهم واستعمالهم ه ه ه تمت المقالة الثانية
المقالة الثالثة من كتاب تقدمة المعرفة لابقراط
قال ابقراط فاما الحميات فيأتي فيها البحران في تلك الاعداد من
الايام باعيانها التي يسلم فيها من يسلم من الناس ويعطب فيها
من يعطب وذلك ان اسلم الحميات التي يتقدمها على اوثق الدلايل
قد تنقضي في اليوم الرابع او قبله واخبث الحميات التي تظهر فيها
اردى الدلايل فانها تقتل في اليوم الرابع او قبله فالدور الاول
من ادوارها عند هذا ينتهي واما الدور الثاني فينتهي في اليوم
السابع واما الدور الثالث فينتهي في اليوم الحادي عشر واما
الدور الرابع فينتهي في اليوم الرابع عشر واما الدور الخامس
فينتهي في اليوم السابع عشر واما الدور السادس فينتهي في
اليوم العشرين وهذه الادوار تجري على اربعة اربعة في الامراض
الحادة الى اليوم العشرين على التزيد والترتيب وليس ينبغي ان
تحسب

المقالة الثالثة
من كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط[١]

(الفصل الأوّل)[٢]

قال أبقراط: «فأمّا الحمّيات فيأتي فيها البُحران في تلك الأعداد من الأيّام بأعيانها التي يسلم فيها من يسلم من الناس، ويعطب فيها من يعطب، وذلك أنّ أسلم الحمّيات التي يُعتمد فيها على أوثق الدلائل قد تنقضي في اليوم الرابع أو قبله. وأخبث الحمّيات التي تظهر فيها أردأ الدلائل، فإنّها تقتل في اليوم الرابع أو قبله، والدور الأوّل من أدوارها عند هذا ينتهي، وأمّا الدور الثاني فينتهي في اليوم السابع، وأمّا الدور الثالث فينتهي في اليوم الحادي عشر، وأمّا الدور الرابع فينتهي في اليوم الرابع عشر، وأمّا الدور الخامس فينتهي في اليوم السابع عشر، وأمّا الدور السادس فينتهي في اليوم العشرين.

وهذه الأدوار تجري على أربعة أربعة في الأمراض الحادّة إلى اليوم العشرين على التزيّد والترتيب، وليس ينبغي أن [٦٥/ و/ك] تحسب شيئاً من هذا على حساب أيّام تامّة، إذ كان ليس يمكن أن تحسب السنة ولا شهورها على حساب أيّام تامّة من بعض

(١) كذا العنوان بالأصل في (ك)، ولعل صحته (المقالة الثالثة لشرح تقدمة المعرفة لمهذب الدين) تبعاً لعنوان المقالة الثانية. والعنوان لم يرد في (س).

(٢) ما بين قوسين من وضع المحقق، وكذا في بقية الفصول، وقد ذكرت ذلك قبل.

هذه الأدوار على ذلك الطريق، وعلى ذلك الوجه من التزيّد يكون الدور الأوّل في أربعة وثلاثين يوماً، والثاني في أربعين يوماً، والثالث في ستّين يوماً. وما كان من هذه يأتي فيه البُحران في مُدّة أطْوَل؛ فتقدمة المعرفة في أوّله أعسر، وذلك أنّ أوائلها مشتبهة جدّاً، لكنه قد ينبغي منذ أوّل يوم أن تتفكّر، وكلّما جازت أربعة أيّام تفقّدت، فإنّه لن يخفى عليك إلى أين تميل، وسكون الربع أيضاً إنّما يكون على هذا المثال[١]».

قال مهذّب الدين: هذا الفصل جامعٌ[٢] لمعانٍ كثيرة حسنة يجب أن تعرف وتعلم وتبحث عن حقيقتها قبل الخوض[٣] في شرحه، إذ هي من جملة قواعده وهي[٤]:

أوّلاً[٥]: معرفة الحمّى وأقسامها بقدر الإمكان.

والثاني[٦]: معرفة البحران وأقسامه بقدر الإمكان أيضاً.

والثالث[٧]: معرفة الدَّوْر وحقيقة الذي يقع فيه البُحران.

والرابع[٨]: معرفة الأيّام وأقسامها.

---

(١) التي يسلم فيها من يسلم... على هذا المثال: الفقرات لم ترد في (س).

(٢) من الفصول الجامعة (ك).

(٣) حسنة... الخوض: يجب تعرفها قبل (س).

(٤) إذ هي من جملة قواعده وهي: ليظهر ما فيه من المعاني (ك).

(٥) أولاً: ساقطة (س).

(٦) والثاني: ساقطة (س).

(٧) والثالث: ساقطة (س).

(٨) والرابع: ساقطة (س).

أمّا الحمّى؛ فهي حرارة غريبة تنبعث من القلب إلى جميع البدن، تضرّ بالأفعال الطبيعيّة [٦٥/ ظ/ك] ضرراً أوّلياً، **فقولنا**: «حرارة غريبة»؛ اسم جنس. **وقولنا**: «تنبعث من القلب إلى جميع البدن»؛ احترازاً عن سخونة بعض الأعضاء التي تسخّن ما يليها ولا تعمّ. **وقولنا**: «تضرّ بالأفعال الطبيعيّة ضرراً أوّليّاً»؛ احترازاً عن حرارة الغضب والغيظ، وما أشبه ذلك ممّا لا يضرّ، فإنْ ضرّ صار حمّى يوم منسوبة إليه؛ إن كان مثلاً غضب قيل: حمّى غضبيّة[(١)] وما أشبه ذلك.

وأجناس الحمّى ثلاثة، لأنّ أجزاء البدن ثلاثة؛ الأرواح، والأعضاء، والأخلاط. فإذا وصل إلى القلب حرارة مجرّدة قلنا: إنّها حمّى يوم أو حمّى دقّ، ولكلّ واحد منها علامات تخصّه. وإن وصلت إليه حرارة مقترنة بعفونة قلنا: إنّها حمّى خِلطيّة وعفونيّة[(٢)]. ولا بدّ من تعريف العفونة وتحقيقها؛ فإنّ أكثر الأطبّاء عرّفوها بتعريف لا تُعرف حقيقتها منه[(٣)]، **فنقول**: إنّها عبارة عن كيفيّة حارّة رديئة صادرة[(٤)] عن جسم رطب، مقرونة بالنتن، والله أعلم.

فحمّى يوم تنقسم إلى أقسام ثلاثة؛

منها ما يحدث عن سخونة الروح الحيواني، وتنقسم حمّى هذا القسم [٣٦/ ظ/س] إلى سبعة أقسام: همّيّة وغمّيّة وغضبيّة وفرحيّة وفزعيّة [٦٦/ و/ك] وغشيّة[(٥)] وغيظيّة.

---

(١) إن كان... غضبية: فيقال حمى يومية (س).

(٢) وعفونية: ساقطة (ك).

(٣) فإن أكثر... منه: ساقطة (س).

(٤) حادثة (ك).

(٥) وتسمى حمى الغشي أيضاً. وهي الحمى التي يحدث عنها الغشي عند ورودها (اصطلاحات الطب القديم).

ومنها ما يحدث عن سخونة الروح النفساني وتنقسم أيضاً إلى سبعة أقسام؛ نوميّة وفكريّة وحزنيّة ووجعيّة وتعبيّة وسهريّة وراحيّة[١].

ومنها ما يحدث عن سخونة الروح الطبيعيّة، وتنقسم أيضاً إلى سبعة أقسام تكون؛ تخميّة وسدديّة واستحصافيّة وقشفيّة وشربيّة وامتلائيّة وورميّة.

فتكون جملة أصناف حمّى يوم إحدى وعشرين صنفاً، وقد ذكرناها، ويجب أن تحفظ، فإنّني تعبت عليها وعلى تحريرها وتحقيقها من كتب كثيرة[٢].

وأمّا حمّى الدقّ فتنقسم إلى ثلاثة أقسام لأنّها متعلّقة برطوبات الأعضاء .**فإن** قال قائل: «هذا القول مشهور[٣]، فرطوبات البدن أربعة، فكيف تجعلون أقسام حمّى الدقّ ثلاثة؟

قلنا: له جوابان؛ **الأوّل** أنّ رطوبات البدن أربعة: الواحد منها الأخلاط، فتبقى الثلاثة الأُخَر وهي متعلّقة بها. وهذا ذهب إليه جماعة من الأطبّاء من جملتهم **المسيحي**[٤]

---

(١) وراحية: ساقطة (س).

(٢) وقد ذكرناها... كثيرة: ساقطة (س).

(٣) هذا القول مشهور: ساقطة (س).

(٤) وهذا ذهب... المسيحي: ساقطة (س).

المسيحي: هو أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني، طبيب فاضل بارع في صناعة الطب علمها وعملها... وقيل: إن المسيحي هو معلم الشيخ الرئيس صناعة الطب، كان بخراسان، ومات (٤٠١هـ) وله من العمر أربعون سنة. ولأبي سهل من الكتب: كتاب المائة في الطب، كتاب الطب الكلي، وكتاب «إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان» وقد قمنا بتحقيقه. (**عيون الأنباء**، ٤٣٦، **أعلام الحضارة**، ٢: ١٨٥)

وأمّا الجواب الثاني: إنّ كلّ قسم من أقسامها الثلاثة ما يوصف بما يختصّ به، إلّا إذا فنيت الرطوبة الواحدة، وتعلّقت الحرارة بالأخرى، [٦٦/ظ/ك] فتكون الرطوبات أربعة، وأقسام حمّى الدقّ ثلاثة، لأنّ ما بين الأربعة من الفُرَج ثلاثة، والله أعلم.

وإلى هذا أشار حنين[١] في كتاب «المسائل»، وجالينوس في كتاب «الحمّيات»، وذاك أنّ كلّ واحد منها إذا فنيت الرطوبة الأولى وتعلّقت بالثانية كانت قسماً، وإذا فنيت الرطوبة الثانية وتعلّقت بالثالثة كانت قسماً ثانياً، وإذا فنيت الرطوبة الثالثة وتعلّقت بالرطوبة الرابعة كانت قسماً ثالثاً.

وأمّا أقسام حمّى الأخلاط فإنّها تنقسم إلى ثلاثة أصناف؛ **الحمّى** الحادثة عن عفونة الصفراء وتسمّى الغبّ[٢]، ولا تَفهم من هذا الحكم[٣] أنّ أصناف الصفراء جميعها يحدث عنها عفونة، [٣٧/و/س] فإنّ ذلك ممّا يقع، فتأمّله. وذاك لأن بعض أصنافها لا يقبل العفونة لعدم الرطوبة فيه كالزنجاري، وباقي الأصناف يحدث عنها الحمّى.

---

(١) هو حنين بن إسحق العبادي (١٩٤ ـ ٢٦٤هـ/ ٨٠٩ ـ ٨٧٧م): موسوعي، طبيب كحال، أصله من نصارى الحيرة، خدم المأمون والمعتصم، وأصبح رئيس الأطباء ببغداد، من مؤلفاته: المسائل في الطب، العشر مقالات في العين، وغير ذلك كثير في الطب وغيره. (أعلام الحضارة ١/ ٤٠٦).

(٢) **حمّى الغبّ**: هي الحمّى الصفراويّة، وهي حمّى مع نافض، تنوب يوماً ويوماً لا، والتي مادّتها تعفن خارج العروق؛ مثل فُرَج الأعضاء، والمعدة، والكبد. وإن نابت كلّ يوم سمّيت **شطر الغبّ**. (اصطلاحات الطب القديم).

(٣) من هذا الحكم: ساقطة (ك).

وصنف[١] الحمّى الحادثة عن عفونة الخِلط السوداوي، ويقال لها حمّى الرابع، لأنّها تأخذ في رابع يوم من ابتداء أخذها.

وصنف حادث[٢] عن عفونة البلغم ويقال لها النائبة، لأنّها تأخذ[٣] في كلّ يوم.

وصنف حادث عن عفونة الدم ـ على رأي الشيخ ابن سينا، أو من سخونته وغليانه على رأي القدماء.

واعلم أنّ من أصناف الحمّيات المركّبة ما لها [٦٧/و/ك] اسم مشهور، وهو شطر الغبّ، ويكون عن عفن الصفراء والبلغم، وينقسم إلى اثني عشر قسماً، ذلك لأنّ الصفراء والبلغم إمّا أن تكون في[٤] داخل العروق أو في خارجها، أو تكون الصفراء داخلاً والبلغم خارجاً أو بالعكس. فهذه أربعة أصناف، وكلّ واحد من هذه الأصناف الأربعة لا يخلو إمّا أن يكون الخلطان متساويين، أو تكون الصفراء أغلب، أو البلغم أغلب، فيصير ثلاثة أصناف أخرى، وثلاثة في أربعة باثني عشر قسماً[٥].

واختلفوا في شطر الغبّ الخالصة على قسمين[٦]؛ **فمنهم من قال**: إنّها التي تكون من الصفراء داخل العروق، والبلغم خارج منها. **ومنهم** من قال بالعكس. هذا مضى[٧].

---

(١) صنف: ساقطة (س).

(٢) وصنف حادث: والحمى الحادثة (س).

(٣) لأنها تأخذ: ساقطة (س).

(٤) إمّا أن تكون في: يخشنا (ك).

(٥) فيصير... قسماً: فتضرب ثلاثة في أربعة فتكون اثني عشر (ك).

(٦) على قسمين: ساقطة (س).

(٧) هذا مضى: ساقطة (س).

وأمّا البُحران فهو الفصل والتغيّر العظيم الحادث في المرض، المؤدّي إلى السلامة أو إلى العطب، **وينقسم** على رأي جالينوس إلى أقسام أربعة؛ **منه** ما يكون دفعة إلى الموت، **ومنه** ما يكون دفعة[١] إلى السلامة، **ومنه** ما يكون قليلاً قليلاً إلى الموت، ومنه ما يكون قليلاً قليلاً إلى السلامة[٢].

وعلى رأي بعضهم ينقسم إلى أقسام ستّة، لأنّهم زادوه فقالوا: **منه** ما يكون بخُراج، **ومنه** ما يكون باستفراغ.

فأقول: هذه الزيادة [٣٧/ ظ/س] لا تجدي طائلاً، لأنّها[٣] [٦٧/ ظ/ك] قسمة منتشرة غير محصورة، لأنّ كلّ من يسمعها يمكنه تقسيمها إلى أقسام كثيرة غير مفيدة[٤]، لأنّه يقول: «وهذا الاستفراغ لا يخلو إمّا أن يكون ظاهراً، وإمّا أن يكون خفيّاً». والخُراج لا يخلو إمّا أن يكون ظاهراً أو باطناً، والظاهر[٥] إمّا أن يكون شاملاً لعضو واحد أو أكثر، والباطن كذلك. ولايزال يقسم إلى أن ينتهي إلى ما لا يفيدنا شيئاً[٦]، والواجب أن يُفهم قول جالينوس في كتاب «**البُحران**»[٧]، وأن لا يُعدل عنه.

ورأيت في بعض مصنّفات العجَم غريبةً في هذا البحث[٨]، وهي قولهم: إنّ

---

(١) دفعة: ساقطة (س).

(٢) ومنه... السلامة: ساقطة (ك).

(٣) ولا تحقق [٦٧/ ظ/ك] مقصود (ك).

(٤) حسنة (ك).

(٥) والظاهر لا يخلو (س).

(٦) يفيدنا شيئاً: يليق به أن يقال (ك).

(٧) أن يفهم... البحران: الاعتماد على قول جالينوس (س).

(٨) ورأيت... البحث: وفي هذا الموضع بحث حسن لابد من ذكره لأنه غريب، رأيته في بعض مصنفات العجم (ك).

أقسام البُحران أربعة، لأنّه[١] إمّا أن تغلب القوّة للمرض دفعة، أو قليلاً قليلاً، أو يغلب المرض للقوّةَ دفعة أو قليلاً قليلاً، أو يتكافأان[٢]، فلا تغلب القوّة للمرض، ولا يغلب المرض للقوّة، ويبقى المرض مع الإنسان إلى الموت، وهذا مثل الفالج مثلاً والصرع وما أشبههما، فإنّ المرض لا يقهر القوّة دفعة، ولا قليلاً قليلاً، فيقع الهلاك، ولا القوّة تقوى عليه فتزيله دفعة ولا قليلاً قليلاً.

فاستحسنت هذا البحث[٣] مُدّة، [٦٨/و/ك] ثمّ إنني فكّرت في جوابه فقلت: هذا ما يرد على حدّ البُحران ولا يقتضيه[٤] لأنّ البُحران محدود بالفصل والتغيّر الشديد، وهذا المثال ما فيه فصل ولا تغيير شديد[٥] ولا وقع بينهما مفاعلة؛ ألا ترى العسكرَيْن إذا تقاتلا قتالاً قويّاً لا يقع الفصل بينهما إلا على ما ذكره جالينوس، ولا يقع الانفصال على التساوي أيضاً بعد الملحمة الشديدة، وإن اقتضى ما ذكره التقسيم العقلي فالواقع بخلافه.

وههنا إيرادات في البُحران وشكوك لابدّ من ذكرها[٦]، **فنقول**: ذكر جماعة من الأطبّاء المتقدّمين أنّ الأيّام ليس لها مدخل في حدوث البُحران أصلاً[٧]. وقالوا: إنّ

---

(١) لأنه: ساقطة (ك).

(٢) فنقول فيه قولاً يقتضيه العقل أو يتكافيا (ك).

(٣) البحث: ساقطة (ك).

(٤) في جوابه... يقتضيه: منه فرأيت فيه نظر، أو ذاك (س).

(٥) شديد: ساقطة (س).

(٦) وههنا... ذكرها: وههنا أبحاث حسنة في أيّام البُحران، وشكّ جيّد قويّ يحتاج إلى رجل فاضل يقرّره ويبيّنه بياناً شافياً (ك).

(٧) أصلاً، وذكر ذلك جالينوس عنهم في كتاب أيّام البُحران (ك).

الأمراض إمّا أن تغلب [٣٨/ و/ س] القوّة فيقع الهلاك، وإمّا أن تغلب القوّة للأمراض فيقع البرء.

وذكر جالينوس وغيره من الأطبّاء[١] أنّ الأيّام تؤثّر في البُحران، لا من حيث إنّها أيّام، بل من حيث تعلّقها بالقمر، فإنّه على ما زعموا[٢] مؤثّرٌ في العالم السفلي[٣]، خصوصاً في الأجسام الرطبة، واستدلّوا عليه بالمدّ [٦٨/ ظ/ ك] والجزر، فإنّه يزداد عند زيادة نور القمر وينقص بنقصانه، وهذه القضيّة ليست ضروريّة، بل إنّما صدفت[٤] بالتجربة والاستقراء في هذا الموضع المخصوص، فيقال لهم: لِمَ قلتم: إنّ الأمر في جميع الرطوبات التي في[٥] الأجسام كذلك؟ ثم كيف سلّمنا أنّها تزيد في الرطوبات؟ فلِمَ لا تزيد في رطوبات الأمراض وموادّها عند زيادة القمر فيكون سبباً للرداءة؟ ثمّ لئن سلّمنا أنّها تزيد في الرطوبات على ما قلتم، فلِمَ لا تزيد في القوى حتّى تقوى على دفع الأمراض؟ لأنّ الدافع للأمراض ليس هو الرطوبات، وإنّما هو القوى، فلا بدّ من جواب عن هذه الأمور.

ثمّ إنّ الأطبّاء بنَوا على ذلك وجعلوا أقوى البَحارِين الرابع عشر، وأقلّ منه السابع، ثمّ إنّ التجربة شهدت بصحّة ذلك، لأنّ القوى تزداد بزيادة القمر، فتقوى

---

(١) وغيره من الأطبّاء: وجماعة من المحققين (ك).

(٢) على ما زعموا: كما ذكروا (ك).

(٣) إن حادثة المد والجزر على مياه البحور بسبب القمر في أول الشهر وعندما يكون بدراً هي من المثبتات العلمية، فإذا كان ذلك الأمر ينطبق أيضاً على الإنسان... هذا ما سنراه في شرح المؤلف ـ رحمه الله.

(٤) صدقت (ك).

(٥) في جميع (ك).

على دفع المرض، فأورد عليه بعض الفضلاء شكّاً **وقال**: إن كان الأمر على هذا فيلزم أنّ المرضى يبرؤون ويصحّون في الرابع عشر دائماً، ويموتون عند نقصان القمر ومحاقه، ونرى جماعة يموتون عند زيادته، وجماعة يبرؤون عن نقصانه، ونجد جماعة يمرضون في الرابع عشر [٦٩/ و/ك] من الشهر حين زيادته، ويبرؤون في آخر الشهر عند محاقه، فبطل ما ذكرتموه من أنّ الأمر عائد إلى زيادة نور القمر.

وتحيّل بعض الأطبّاء في الجواب عن ذلك **فقال**: نحن نقول[١]: إن كلّ ما نجد من مرض [٣٨/ ظ/س] فنحسب للمريض[٢] من أوّل نقطةٍ مرض فيها من الفلك، فيكون الرابع عشر من أوّل مرضه مقابلاً له، وبحسب التشكّلات جميعاً كذلك، فيكون له مقابلة ونصفها، وغير ذلك، فيكون الرابع عشر له مقابلة توجب البرء من حيث هو رابع عشر، وكذلك السابع الذي له، فيطّرد الأمر على هذا في جميع الأمراض التي تحدث من أوّل الشهر، أو من وسطه، أو من غير ذلك، ومن جملة من ذكر ذلك صاحب «المائة» المسيحي .[٣]

فنقول: هذا الذي ذكرتموه وادّعيتموه إن كان الكلّ يوجب البرء[٤] فبطل ما ادّعيتموه وذكرتموه[٥] من أنّ الفاعل لذلك هو زيادة نور القمر ونقصانه، وإن كان

---

(١) نقول: ساقطة (س).

(٢) إن كل... للمريض: إن كل من مرض فيحسب له (ك).

(٣) ومن جملة... المسيحي: ساقطة (س).

(٤) الكل يوجب البرء: يوجب البرء والتشكل من حيث هو تشكل (ك).

(٥) وذكرتموه: ساقطة (س).

الموجب زيادة نور القمر ونقصانه فبطل ما ادعيتموه من أنّ التشكّل موجب لذلك، ولابد لكم في ذلك من جواب(١).

ثمّ اعلم أنّ البُحران يختلف في [٦٩/ ظ/ك] الأمراض، فهو في بعضها يأتي بقوّة، ويكون أظهر، مثل الأمراض الحادّة، خصوصاً في الحمّيات، وفي بعضها أخفى وأبطأ، خصوصاً في الأمراض المزمنة، وبعضها لا يأتي فيه بُحران؛ كالأمراض التي تبقى إلى آخر العمر(٢).

فهذا ما أردنا ذكره قبل شرح الفصل.

والآن نرجع إلى بيان الفصل **فنقول**(٣):

أمّا معرفة الدور؛ فهو اليوم الذي يقع فيه البُحران؛ **فمنها** ما هو متعلّق بالقمر فيحسب بالأرابيع والأسابيع، **ومنها** ما يتعلّق بالشمس ويحسب بالعشرينات وبالأشهر، **ومنها** ما يتعلّق بزحل ويحسب بالسنين، هكذا ذكر جالينوس.

ولا ينبغي أن تحسب الأرابيع كاملة، لأنّك إن فعلت ذلك خرجت عن حركة القمر، بل تحسب الأربعة الأُوَل كاملة، والثانية ناقصة، وتضيفها إليها، فيأتي في السابع، فيكون ربع المقابلة فيقع فيه البُحران، ثمّ تأخذ الثالث وتضيفه إلى السابع فيكون في الحادي عشر فتجعله كاملاً، ثمّ تضيف إليه الرابوع الرابع فيكون [٣٩/ و/س]

(١) ولابد لكم في ذلك من جواب: فلابد من جواب جيد لهذه المسألة مطرد في جميع الأحوال يعتمد عليه. (ك).

(٢) تبقى إلى آخر العمر: تأتي أو تبقى مع الإنسان ما بقي، كما ذكر ذلك أبقراط في كتاب «الفصول». (ك).

(٣) فهذا ما أردنا... فنقول: نرجع إلى شرح ما في الفصل (ك).

في الرابع عشر، فيقع فيه البُحران لأنّه المقابلة. ثمّ تأخذ الرابوع الخامس كاملاً فتضيفه إلى الرابع عشر كما فعلت، ثمّ تضيف الرابوع السادس إلى ذلك، فتكون العشرون يوماً تمامَ ثلاثة أسابيع. [٧٠/ و/ ك] يكون فعلك هكذا؛ الأوّل مع الثاني اتّصال، والثاني مع الثالث انفصال، والثالث مع الرابع اتصال، والرابع مع الخامس انفصال، والخامس مع السادس اتّصال. ثمّ افعل بالأسابيع مثل ذلك؛ الأسبوع الأوّل مع الثاني انفصال، فيكون الرابع عشر، والثاني مع الثالث[١] اتّصال، فيكون العشرون، فافهمه.

واعلم أنّ أيّام المرض تنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ **منها** ما يكون يوم بُحران، كالسابع والرابع عشر، **ومنها** ما يكون يوم إنذار كالرابع والحادي عشر، **ومنها** ما لا يكون لا هذا ولا ذاك[٢]، كالثاني والثامن. هذا مضى[٣].

وأمّا قوله: «فالدور الأوّل منها عند هذا ينتهي»؛ يعني عند الرابع، والثاني عند السابع، والثالث عند الحادي عشر، والرابع عند الرابع عشر، والخامس عند السابع عشر، والسادس عند العشرين.

فإذا وصلت إلى هذا، وهذه الأرابيع تحسب كما علمت متّصلة ومنفصلة، ثمّ بعد العشرين تحسب الأسابيع كما فعلت في الأرابيع، تحسب الأسبوعين الأوّلَين منفصلَين، فيكون الدور الأوّل ممّا يُحسب بعد العشرين في اليوم الرابع والثلاثين،

---

(١) والثاني مع الثالث: من الثالث (س).

(٢) لا هذا ولا ذاك: لا يوم إنذار ولا يوم بحران (ك).

(٣) هذا مضى: ساقطة (س).

[٧٠/ظ/ك] لأنّك أخذت أسبوعين كاملين بعد العشرين، فيكون أربعة وثلاثين يوماً، والدور الثاني يوم الأربعين، لأنّك أخذت الأسبوع الثالث مع الاثنين متّصلاً كما فعلت في الأسبوع الذي يلي الرابع عشر حتّى صار عشرين يوماً فيكون في الأربعين.

فإن قيل: كيف يكون أوّل دور اليوم الرابع والثلاثين؟

قلنا: أوّل دور [٣٩/ظ/س] يتركّب فيه الأسبوعان بعد العشرين تركيب اتّصال هو هذا اليوم، ويوم الأربعين ثاني دور يتركّب فيه الأسبوع الثالث مع الأسبوعين المتقدّمين تركيب اتّصال، ثمّ من هذا اليوم تؤخذ العشرونات بكمالها فيكون الدور الثالث يوم الستّين، يعني ثالث العشرينات.

وقال جالينوس في شرح هذا الكتاب[١]: **اعلم** أنّ الأرابيع تضعف بعد العشرين، ثمّ تأخذ الأسابيع إلى الأربعين، وتضعف أيضاً الأسابيع، ثمّ تأخذ في العشرينات إلى الستّين، ثمّ تأخذ في الأشهر، ثمّ تأخذ في السنين. هذا مضى[٢].

وقوله: «وما كان من هذه الأمراض يأتي فيها البُحران في مدّة أطوَل فتقدمة المعرفة في أوّله أعسر»؛ وذلك لسكون الأخلاط وعدم هيجانها في الأمراض المزمنة، ولعدم نهوض القوّة [٧١/و/ك] لدفعها لأنّه ليس لها سورة ولذع، فلا القوّة

(١) هذا الكتاب: كتاب «تقدمة المعرفة» (ك).

(٢) هذا مضى: ساقطة (س).

تظهر علامات الفعل[(١)]، ولا الموادّ تظهر فعلها لقوّة غلظها وبردها[(٢)]، بخلاف ما يظهر من[(٣)] الأمراض الحادّة.

قوله: «وسكون الربع كذلك إنّما يكون على هذا النظام[(٤)]»؛ يعني كما نظرت في الأمراض الحادّة في الأرابيع والأسابيع، كذلك احكم في الربع وغيرها من الأمراض المزمنة بالعشرينات، أو بالأشهر أو بالسنين على الترتيب المتقدّم[(٥)].

قوله: «وسكون الربع»؛ معناه زوال الربع أو بُحران الربع الذي يكون به السكون، يعني الزوال يكون كما ذكرنا أن نحكم به في وقت يليق به كما حكمت في الأمراض الحادّة بزوالها، وسكونها في أيّامٍ يأتي فيها بُحرانها.

(١) الفعل بقوة (ك).

(٢) لقوة غلظها وبردها: بقوة، لغلظها وبردها (ك).

(٣) يظهر من: يكون في (ك).

(٤) إنما يكون على هذا النظام: ساقطة (ك).

(٥) على الترتيب المتقدم: كما علمت بترتيب كما فعلت ذلك في غيرها بترتيب (ك).

(الفصل الثاني)

قال أبقراط: وأمّا الأمراض التي من شأنها أن تنقضي في أقلّ مُدّة فهي أسهل تعرّفاً، وذلك أنّ الأشياء التي تفارق بها غيرها على أعظم ما يكون، وأولئك[١] الذين هم على سبيل السلامة يكون نفَسهم نفَساً حسناً، ويكونون سالمين من الألم، وينامون الليل كلّه، وتكون سائر الدلائل فيهم على غاية الثقة. وأمّا الذين يعطبون فإنّ نفَسهم يكون رديئاً، ويشوبهم اختلاط، ويعتريهم [٧١/ ظ/ك] أرق، وتكون سائر الدلائل فيهم على غاية الرداءة. وقد ينبغي أن تدبّر أمر الوقت، وأمر كلّ واحد من مقادير التزيّد إلى أن تبلغ الأمراض وقت انقضائها، على أنّ هذه الأمور جارية على ما وصفت. وعلى هذا الطريق تحدث البُحرانات للنساء أيضاً من بعد ولادهنَ.

وإذا كان في الرأس آلام شديدة دائمة مع حمى، وكان مع ذلك شيء من أمارات الموت فإنّ ذلك قتّال جدّاً. فإن كانت الأوجاع من غير تلك الأمارات، وجاوز الوجع عشرين يوماً، والحمّى لازمة؛ فينبغي أن تتوقّع انبعاث الدم من المنخرين، أو غير ذلك من الخروج في المواضع السفليّة من البدن. ومادام الوجع طريّاً فينبغي أن تتوقّع انفجار الدم من المنخرين، والتقيّح، وخاصّة متى كان الألم إنّما هو نحو الصدغين والجبهة. والأَوْلى أن تتوقّع انفجار الدم لمن كان سنّه دون الخمس وثلاثين سنة، وأمّا من كان أسنّ من هؤلاء فتوقّع له التقيّح[٢]».

---

(١) بالأصل: وذلك.

(٢) وذلك أن الأشياء... التقيح: الفقرات لم ترد في (س).

قال **مهذّب الدين**: قوله: «وأمّا الأمراض التي من شأنها أن تنقضي في أقلّ مُدّة[١]»؛ يعني بها الأمراض الحادّة.

قوله: «فهي[٢] أسهل تعرّفاً»؛ لقوّة ظهور العلامات، وقرب زمان أوقات البُحران؛ كالأرابيع والأسابيع.

[٤٠/و/س] **قوله**: «وذلك [٧٢/و/ك] أنّ الأشياء التي تفارق بها غيرها على أعظم ما يكون»؛ يعني الأعراض التي يستدلّ بها الطبيب، ثمّ ذكَرها **فقال**: «إنّ الذين هم على طريق السلامة يكون نفَسهم نفَساً حسناً»؛ وهذا يدلّ على سلامة آلات التنفّس وصحّة القوّة الحيوانيّة.

قوله: «ويكونون سالمين من الألم وينامون الليل كلّه»؛ هذا يدلّ أيضاً على سلامة الدماغ، وسلامة القوّة النفسانيّة.

قوله[٣]: «وتكون سائر الدلائل فيهم على غاية الثقة»؛ يعني علامات القوّة الطبيعيّة، فإذا ثبتت صحّة[٤] القوّة الحيوانيّة والطبيعيّة والنفسانيّة كانت السلامة موثوقاً بها، وبالحكم بوجودها[٥].

---

(١) قوله... مدة: ساقطة (س).

(٢) قوله فهي: لأنها (س).

(٣) قوله: ساقطة (ك).

(٤) ثبتت صحة: كانت (س).

(٥) وبالحكم بوجودها: ساقطة (س).

ثم قال: «وأمّا الذين يعطبون فإنّ نفَسهم يكون رديئاً»؛ يعني يكون[1] ضدّ الأوّل، لأنّه يدلّ على ضرر القوّة الحيوانيّة.

قوله[2]: «ويشوبهم اختلاط ويعتريهم أرق»؛ هذا يدلّ على ضرر القوّة النفسانيّة.

قوله[3]: «وتكون سائر الدلائل منهم على غاية الرداءة[4]»؛ يعني القوّة الطبيعيّة وما يلزمها من ضرر الآلات إذا كانت رديئة.

قوله: «وقد ينبغي أن يدبّر أمر الوقت»؛ يعني أنّك تحكم بمزاج[5] الوقت إن كان مضادّاً للعلّة أو كان مناسباً لها، فإن كان [٧٢/ ظ/ك] مضادّاً نفع، وإن كان مناسباً[6] ضرّ، وهذا الحكم يُحكم به في جميع الأمراض ما يختصّ بالنساء وما يختصّ بالرجال من أمر الوقت.

قوله: «وإذا كان في الرأس آلام شديدة دائمة مع حمّى وكان مع ذلك شيء من علامات الموت فإنّ ذلك قتّال جدّاً»؛ لأنّه يدلّ على ضعف قوّة البدن بأسرها فتحكم بالموت، فإن لم يكن مع ذلك علامات الهلاك وطال الأمر حُكم بأنّ ذلك المرض ينقضي ببحران ناقص؛ إمّا برعاف إن حصل دفع من الطبيعة [٤٠/ ظ/س] للموادّ إلى خارج، وإن عجزت ودفعتها عن الدماغ إلى فضاء الصدر فتوقّع لصاحبها التقيّح، لأنّ

(١) يعني يكون: هذا (ك).
(٢) قوله: ساقطة (ك).
(٣) قوله: ساقطة (ك).
(٤) الرداءة: ساقطة (س).
(٥) أنك تحكم بمزاج: أن يحكم المزاج الوقت (س).
(٦) مناسباً: ساقطة (س).

التقيّح عند المتقدّمين من الأطبّاء يطلق حقيقة على كلّ ورم يستحيل إلى المِدّة في أيّ عضو كان.

وذكر جالينوس أيضاً اصطلاحاً قديماً[١] بأنّ التقيّح عبارة عن تجمّع المِدّة[٢] في فضاء الصدر، وكذلك أشار إليه أبقراط في كتابه هذا.

(١) وذكر... قديماً: ولكن الاصطلاح القديم ذكره جالينوس (ك).

(٢) تجمع المدة: أصحاب مادة تجمع (ك).

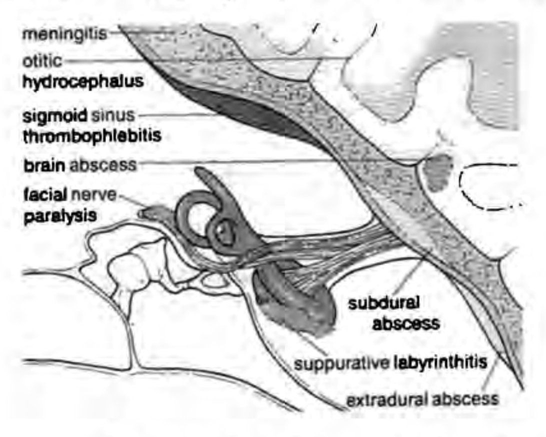
(الفصل الثالث)

قال أبقراط: «أمّا ألم الأذن الحادث مع الحمّى الدائمة القويّة فذلك[١] رديء، لأنّه لا يؤمن على صاحبه أن يختلط عقله ويعطب[٢]، فإذا كان هذا فالخطر أشدّ. فقد ينبغي أن تدبّر بعقلك سائر الأمارات كلّها [٧٣/ و/ ك] منذ أوّل يوم. وقد يعطب من الناس من كان شابّاً في اليوم السابع من هذه العلّة وأوحى من ذلك، وأمّا المشايخ فأبطأ من ذلك كثيراً، وذلك أنّ الحمّيات واختلاط الذهن يصيبهم أقلّ، وآذانهم تسبق فتتقيّح لهذا السبب، لكن في هذه الأسنان عودات المرض إذا كثرت تقتل أكثر أصحابها، وأمّا الشباب فقبل أن تتقيّح آذانهم يهلكون، وذلك أنّه إذا سالت المِدّة من آذانهم فقد يُرجى للشباب السلامة إذا ظهرت فيه أمارات أخرى محمودة[٣]».

---

(١) فدليل (ك).

(٢) أقول: هذا كان ما يزال يشاهد في وقت متقدم من العصر الحديث، حيث يحصل اختلاط من التهاب الأذن الوسطى المزمن القيحي Chronic purulent otitis media خاصة المترافق مع ورم كولستريني Cholesteatoma. فقد يحصل التهاب السحايا أو التهاب الدماغ.



(٣) فقد ينبغي أن تدبر بعقلك.. أخرى محمودة: لم ترد في (س).

قال مهذّب الدين: قوله: «وأمّا ألم الأذن الحادث مع الحمّى الدائمة القويّة فذلك دليل رديء، وذلك أنّه لا يؤمن على صاحبه أن يختلط عقله ويعطب، فإذا كان هكذا فالخطر أشدّ»[(١)].

اعلم أنّ الألم هو إحساس بالمنافي بغتة، وكلّما كان المنافي أشدّ، وفي عضو حسّاس شريف؛ كان ضرره أشدّ، لأنّه ما حدث فيه إلّا عن سبب قويّ أوجبه، وليس شيء من الحواسّ أشدّ ألماً من الأذن لقربها من الدماغ، وإنّ ألَمَها إذا كان شديداً كان قاتلاً، بخلاف غيرها من الحواسّ كالعين وغيرها، فإذا كان [٧٣/ ظ/ ك] فيها ألم شديد، ولاسيّما إذا اقترن به حمّى فإنّها ممّا يزيد في ضرر الدماغ، ولا يؤمن أن يحدث لصاحبها اختلاط عقل لأنّ الأذن ملاصقة لوسط الدماغ وهو البطن الأوسط، وهو محلّ القوّة الفكرية والعقل والذهن، فإذا تضرّر هذا البطن والقوّة التي فيه؛ أعني ما ذكرنا فلا يؤمن على صاحبه العطب لشدّة شرف هذا العضو الرئيس.

ولا يُفهم من قول أبقراط: «الأذن»؛ هذا العضو بأسره؛ أعني غضاريفه وتعاريجه وجلده، بل يُفهم عنه الغشاء الرقيق المبسوط على المجرى الواصل إلى الدماغ الذي يشبه **الطبل**[(٢)]، وهو الآلة الأولى للسمع، فإنّ نكاية الألم فيه أشدّ، وإلى هذا أشار أبقراط.

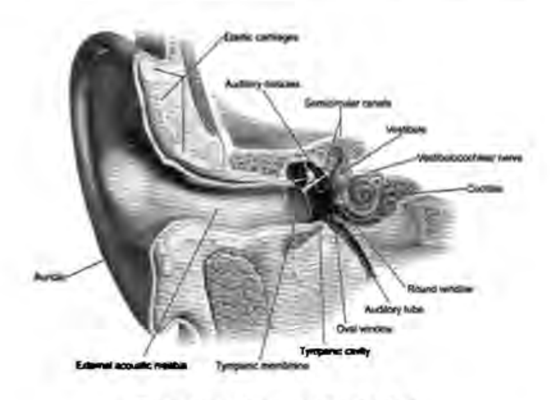
---

(١) قوله... أشد: ساقطة (س).

(٢) وهي التسمية الحالية لغشاء الطبل Tympanic membrane والجوف أيضاً يسمى في الطب الحديث جوف الطبل وهو جوف الأذن الوسطى Tympanum ولعل تسمية الطبل هنا لم يسبق إليها المؤلف رحمه الله ـ حسب اطلاعي وما حققت من كتب الطب القديم. سوى ما جاء من وصف آلة السمع عند ابن سينا في تشريح الأذن في كتاب القانون دون تسمية الطبل، فقال: «وثقب الأذن =

قال[١] [٤١/و/س]: «وقد ينبغي أن تدبر بعقلك سائر الأمارات كلّها منذ أوّل يوم[٢]»؛ يعني[٣] تدبّر بعقلك وتتلطف وتنظر إن كان المريض شابّاً أو شيخاً، **فإن** كان

= يؤدي إلى جوبةفيها هواء راكد، وسطحها الإنسي مفروش بليف العصب السابع الوارد من الزوج الخامس من أزواج العصب الدماغي، وصلب فضل تصليب لئلا يكون ضعيفاً منفعلاً عن قرع الهواء، وكيفيته. فإذا تأذى الموج الصوتي إلى ما هناك، أدركه السمع».. بينما في القرن الحادي عشر الهجري ذكر باسم الغشاء الطبلي عند القوصوني في قاموس الأطبا (مادة سمع)، وعند نور الدين المناوي «رسالة في الحواس الخمس» لنور الدين علي بن محمد المناوي المتطبب، انتهت الرسالة في **٢٣** شوال سنة **١٠٣٣** هـ بخط محمد الجازي. مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز جامعة أم القرى (لدينا صورة عنها). وهو علي بن محمد المناوي (نور الدين، أبو الهمم) توفي بعد (٩٠٠هـ). (معجم المؤلفين ج٢ ص٥٢٧).



The Anatomy of the Ear

(١) قال أبقراط (س). ويبدو أن الناسخ جعل الفقرة فصلًا منفصلاً في (س) وليس ذلك بصحيح، فهو في الأصل (تقدمة المعرفة) ليس منفصلاً.

(٢) سائر... يوم: إلى قوله وأما المشايخ (ك).

(٣) قال المفسر يعني (س).

شابّاً كان الألم أشدّ لمناسبته في المِزاج[١] والحمّى وحدّة الأخلاط، فتعالجه بما يقتضيه الحال، وكذلك إن كان مزاج الهواء والبلد معينَيْن له. **وأمّا** المشايخ فأبطأ ضرراً لبرودة أخلاطهم.

قوله[٢]: «وآذانهم تسبق فتقيح[٣]»؛ أي [٧٤/و/ك] تسبق الضرر والعطب، لأنّ القوّة تستولي عليها وتنضجها لعدم سورتها[٤] وقلّة نكايتها، فتتصرّف فيها بالتقيّح، بخلاف الأخلاط الحادّة اللذاعة فتتقيّح لهذا السبب. وأمّا الشباب فقبل أن تتقيّح آذانهم[٥] يهلكون لِما ذكرنا. وقد تقوى القوّة على المواد الحادّة في الشباب فتحيلها إلى التقيّح ولا يقع الضرر، ولاسيّما إذا ساعد القوّة أمورٌ أُخَر محمودة؛ مثل مضادّة البلد والهواء والسن وغير ذلك للمرض[٦].

---

(١) المزاج للمرض (ك).

(٢) قوله: ساقطة (ك).

(٣) فتقيح: ساقطة (ك).

(٤) شدتها (ك).

(٥) آذانهم: ساقطة (ك).

(٦) للمرض: ساقطة (س).

(الفصل الرابع)

قال أبقراط: «وأمّا الحلق الذي يحدث فيه القرحة مع الحمّى فهو دليل رديء، فإن ظهر مع ذلك دليل آخر ممّا وصفت فيما تقدّم أنّه رديء؛ فينبغي أن تتقدّم وتنذر بأنّ المريض على حالٍ ذات خطر. وأمّا الذبحة فأردؤها وأقتَلها بسرعة ما كان منها لا يظهر منه في الحلق ولا في الرقبة شيء بيّن، وكان فيه أشدّ الوجع وانتصاب النفَس، فإنّ من كانت هذه حاله من الذبحة فقد يختنق صاحبه في اليوم الأوّل والثاني أو الثالث أو الرابع، وأمّا الذبحة التي لا يكون فيها الألم على ذلك المثال، لكن يحدث معها ورم وحمرة في الحلق؛ فإنّها [٧٤/ظ/ك] قتّالة جدّاً، إلّا أنّها أبطأ من التي ذكرتها قبل. وأمّا الذبحة التي تحمرّ معها الرقبة والحلق فإنّها أبطأ مُدّة، وأحرى أن يسلم منها صاحبها إذا كان في الرأس والرقبة حمرة، ولم تجْرِ الحمرة إلى داخل، فإن كانت غيبة الحمرة لا في يوم من أيّام البحران، ولا عند خُراج ينعقد في ظاهر البدن، ولا عندما يقذف العليل بالسعال المِدّة بسهولة، ورأيتَ المريض كأنّه قد هدأ ألَمُه؛ دلّ ذلك على الموت، أو على عودة من المرض. والأجود أن تكون هذه الحمرة مائلة إلى خارج، وأن تكون سائر الخُراجات أميل إلى برًّى، فإن انتقلت الخُراجات إلى الرئة أحدثت اختلاط عقل، وحدث عن ذلك في أكثر الأمر التقيّح»[1].

(١) فإن ظهر مع ذلك دليل آخر... التقيح: الفقرات لم ترد في (س).

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ القرحة عبارة عن تفرّق الاتّصال الذي يكون في اللحم بشرط تقادم العهد، فإن حصلتْ في الحلق، وكان معها الحمّى **فاعلم** أنّ ذلك من العلامات الرديئة، ولاسيّما إذا اتفق معها علامات أُخَر رديئة فإنّ ذلك ممّا يدلّ على كثرة من أخلاط رديئة حادّة لذّاعة مؤلمة، وهذا العضو لشرفه وكثرة حسّه يتألّم ألماً شديداً، فلا تحتمل القوّة الألم الشديد والحمّى.

وغرض [٧٥/ و/ ك] أبقراط في هذا الفصل أن يعرّفك أنّه إذا كان السبب قويّاً فينبغي أن تبالغ في المعالجة ولا تهملها.

[٤١/ ظ/ س] **واعلم** أنّ الذبحة تطلق على الخوانيق؛ والخوانيق مشتقّة من الخنق وهو ضيق مجرى النفَس حتّى يبلغ لصاحبه الموت[١].

وتنقسم إلى أقسام عشرة، منها ما يكون بغير مادّة ـ أعني من غير خِلط، مثل الذي يكون عن ميل خرز الفقار[٢] إلى داخل، وهذا يقع لمن يهبط على رأسه أو على رقبته.

ومنه ما يكون عن تعلّق العلق[٣] في داخل المري فإذا عظم بسبب ما يمتصّ من الدم خنَق؛ وهذا الذي أشار إليه الشيخ ابن سينا في «القانون» **فقال**: «ومنه ما يكون عن الدود»؛ يعني به العلق.

ومنها ما يكون عن سوء مِزاج رديء مفرط يخنق.

---

(١) وأهمها الخناق الدفتريائي كما هو معروف في العصر الحديث، وهو أخطرها Diphtheria.

(٢) العنق (ك). وهذا هو انخلاع الفقرات الرقبية الذي قد يكون مميتاً في أغلب الأحيان لانقطاع النخاع الشوكي.

(٣) ولا يزال العلق موجوداً ويحدث في عصرنا عن شرب مياه الآبار التي في العلق، فتنشب في الحلق أو البلعوم، وأحياناً في الحنجرة.

ومنها ما يكون عن أبخرة رديئة مفرطة؛ إمّا من داخل كما يعرض في أمراض مهلكة حادّة رديئة[١] تخنق، أو من خارج كما يعرض من الدخان والغبار.

فهذه أربعة أقسام، والستّة الباقية تكون عن الأخلاط؛

منها ما تكون المادّة[٢] مستقرّة في الرقبة ابتداءً، فإذا كثرت وعظمت خنقت.

ومنها ما تكون مستقرّة ابتداءً في المري، فإذا عظمت وكثرت[٣] خنقت.

ومنها ما تكون المادّة[٤] مستقرّة في قصبة [٧٥/ظ/ك] الرئة، فإذا عظمت وكثرت[٥] خنقت.

ومنها ما تكون المادّة[٦] مستقرّة ابتداء في المري والرقبة، فإذا عظمت[٧] وكثرت خنقت.

ومنها ما تكون المادّة[٨] مستقرّة في المري وقصبة الرئة، فإذا عظمت وكبرت[٩] خنقت.

---

(١) رديئة: ساقطة (س).

(٢) الأخلاط (ك).

(٣) وكثرت: ساقطة (ك).

(٤) المادة: ساقطة (س).

(٥) وكثرت: ساقطة (ك).

(٦) المادة: ساقطة (س).

(٧) عظمت و: ساقطة (ك).

(٨) المادة: ساقطة (س).

(٩) وكبرت: ساقطة (ك).

ومنها ما تكون المادّة[١] في هذه الثلاثة ابتداءً، فإذا عظمت وكثرت خنقت[٢].

فهذه أقسام[٣] الخوانيق على التفصيل.

واعلم أنّ لكلّ واحد من هذه الأقسام الخلطيّة علامات تُعرف[٤] بها، يتميّز كلّ واحد منها عن غيره.

أمّا التي تكون موادّها في الرقبة ابتداءً فيظهر النفور فيها ابتداء من غير [٤٢/و/س] ضرر للمجرَيَين المذكورين؛ أعني مجرى الطعام ومجرى النفَس، ثمّ إذا كثرت فتارة تصيب المري فيعسر البلع[٥]، وتارة تصيب قصبة الرئة فيضيق النفَس، وتارة تعمّ الموضعَين فيحصل العرَضان المذكوران[٦].

أمّا علاماته؛ ما كان ابتداءً في المري فظهور عسر الازدراد ابتداء، ثمّ[٧] يتبع ذلك إن ازدادت المادّة ضيق النفَس والخُناق.

وأمّا التي تكون المادّة فيه ابتداءً في قصبة الرئة فيحصل ضيق النفَس ابتداءً والخُناق.

وأمّا التي تكون المادّة فيه ابتداءً في [٧٦/و/ك] المجموع فتظهر معه جميع

---

(١) المادة: ساقطة (س).

(٢) قتلت (ك).

(٣) الأقسام أقسام (ك).

(٤) تعرف بها: يجب أن تعرف حتى (ك).

(٥) البلع للطعام (ك).

(٦) العرضان المذكوران: الضرر في كل واحد منهما (س).

(٧) في المري... ثم: الرقبة أن (س).

العلامات المذكورة، وهي ظهور المادّة في الرقبة، وعسر الازدراد، وضيق النفَس، فإذا كثرت المادّة قتلت.

واعلم أنّ من هذه الأصناف ـ أعني الخوانيق ما لها اسم عامّ وهو الخوانيق مطلقاً، **ومنها** ما يقال لها **الخوانيق الكلبيّة**(١)، وهو الذي فيه أعراض شبيهة بما يعرض للكلب إذا عطش أو تعب، وهي ثلاثة أعراض؛ فتح الفم، وادّلاع اللسان، وتواتر النفَس، فإذا عرضت هذه في الخوانيق قيل لها: الخوانيق الكلبيّة، للاشتراك(٢) في الأعراض.

وهذا النوع هو أردؤها، وهو الذي أشار إليه أبقراط بقوله: «وأمّا الذبحة فأردؤها وأقتلها بسرعة ما لا يظهر منه في الحلق والرقبة شيء بيّن، وكان فيه أشدّ الوجع، وانتصاب النفس، وهذا الذي يقتل في اليوم الأوّل أو الثاني أو الثالث، ولا يتعدّى الرابع.

وأمّا الذبحة التي تكون فيها الأعراض أقلّ فهي خطرة إلّا أنّها إذا قتلت تقتل أبطأ من الأوّل، وهذه الخوانيق يسلم منها صاحبها إذا ظهرت علامات تدلّ على انتقال المادّة إلى خارج.

وأمّا إذا سكنت [٤٢/ظ/س] من غير أن يظهر شيء، [٧٦/ظ/ك] ولا يكون السكون في يوم من أيّام البُحران، ولا عند قذف المادّة بوجه من الوجوه، **فاعلم** أنّ المادّة قد غارت إلى داخل.

---

(١) ذكر ابن سينا في القانون في معرض حديثه عن مرض بوليموس والشهوة الكلبية بأنه قد يحصل لهؤلاء ضيق نفس وخوانيق، فلينظر.

(٢) للاشتمال (ك).

فأمّا أن تنتقل إلى الرئة؛ فإن أثبت المادّة فيها ارتفع منها أبخرة رديئة إلى الدماغ فأوجبت اختلاط العقل وتغيّره[1]، وإن اندفعت إلى فضاء الصدر أو جبت التقيّح، لأنّه عبارة عن اجتماع المادّة في فضاء الصدر واستحالتها إلى المِدّة.





(١) وتغيره: ساقطة (س).

(الفصل الخامس)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا اللهاة فإنّ الأمر في قطعها وفي بطّها خطر مادامت حمراء عظيمة، وذلك أنّه قد يتبع ذلك أورام وانبعاث دم، لكنّه في ذلك الوقت ينبغي أن تضمر بسائر الحيَل، فإذا تفرّغ جميع ذلك الذي يقال له العنبة، وصار طرف اللهاة أعظم وأغلظ وأميَل إلى الكمودة، وصار ما هو أعلى منه أدقّ؛ في ذلك الوقت ثق بعلاج اللهاة، والأجوَد أن ترومَ علاجها بعد أنْ تستفرغ البطن إذا كانت مُدّة الزمان مواتية، ولم تخَفْ على المريض أن يختنق[(١)]».

✍ **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ اللهاة إذا كانت وارمة ورماً عظيماً فالأمر في قطعها وبطّها خطر، لأنّ عِظَم الورم يدلّ على الامتلاء، فلا يؤمن إذا وقع فيها القطع أو البطّ أن يتبع ذلك [٧٧/ و/ ك] انفجار دم[(٢)] كثير يوجب ضرراً عظيماً، فإذا تمادى الحال وتغيّر شكلها وضمرت، وصار شكلها على ما كان عليه؛ فحينئذ[(٣)] أقدم على القطع والبطّ، وإن فعلتَ ذلك بعد استفراغ البدن كان أصلح، بل الواجب أن تبدأ بالاستفراغ العامّ، ثمّ بعده بالخاصّ.

واعلم وتحقّق[(٤)] أنّ قطع اللهاة من الصبيان الصغار وخصوصاً الأطفال يوجب

---

(١) وذلك أنه قد يتبع ذلك... يختنق: إلى آخر الفصل (س).

(٢) دم: ساقطة (س).

(٣) بالأصل في (س): فحـ، وهو اختصار فحينئذ.

(٤) وتحقق: ساقطة (س).

أماناً من حدوث الخوانيق، وهذا أمرٌ مستفاض[١] عند أكثر الأطبّاء، وفي بعض البلدان يفعلون ذلك بصغارهم ليكون أماناً لهم ممّا ذكرنا[٢]، وهي بلاد أذرعان[٣]، وهذا عندهم ضروري. وكذلك كيّ الرأس يوجب أماناً من حدوث النوازل، وهذا أيضاً مستفاض عند جميع الأطبّاء المتقدّمين، وفي بعض البلاد يستعملونه ضرورة، وهي بلاد الخطا[٤]، فيكون أماناً لهم ممّا ذكرنا[٥].

فليكن ما ذكرناه من ذلك مستحضراً في ذهنك، تستعمله وقت الحاجة إليه[٦].





(١) مستفاض: مستعاض (س). مستفاض: مأخوذ فيه وشائع بين الناس **(العين)**.

(٢) ليكون أماناً لهم مما ذكرنا: ساقطة (س).

(٣) أدزعات (س). ينظر أذرِعات: بلد في أطراف **الشام، يجاور أرض البلقاء وعمّان، وقيل:** أذرِعات بلد في البلقاء، وقيل **بالتثنية (أذرعان). (معجم البلدان ج١ ص١٣٠).**

(٤) **بلاد الخِطا:** بكسر **الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألِف في الآخر؛ وهم جنس من الترك بلادهم متاخمة بلاد الصين. (القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤ ص٤٨١).**

(٥) **فيكون أماناً... ذكرنا: ساقطة (س).**

(٦) **فليكن... إليه: فليكن ذلك على خاطرك تنتفع به إذا احتجت إليه وإلى العمل به (ك). أقول: في الطب الحديث لا يوجد استطباب لقطع اللهاة إلا في تطاولها الشديد فيستأصل جزء منها، أو إذا ظهرت بعض الكتل الورمية فيها.**

(الفصل السادس)

قال أبقراط[(١)]: «وأمّا من سكنت عنه الحمّى من غير أن تكون قد ظهرت فيه علامات تدلّ على انقضاء المرض، ولا كان سكون الحمّى في يوم من أيّام البُحران؛ فإنّه ينبغي أن تتوقّع له عودة من مرضه».

[٧٧/ ظ/ ك] **قال مهذّب الدين**: اعلم أنّ زوال الأمراض إنّما يكون بزوال أسبابها الموجبة لوجودها، كما أنّ وجودها يكون بوجود تلك الأسباب. ولكلّ واحد من الأمرَين علامات؛ فعلامات زوال الحمّى أن تقلع في يوم من أيّام البُحران، وأن تزول الأعراض اللازمة لها، وأن يكون ذلك باستفراغ، وأن تظهر القوّة علامات القهر والاستيلاء، فإذا سكنت الحمّى، ولم يظهر شيء من هذه العلامات؛ فاعلم أنّ ذلك لعدم الشعور بها، كما يعرض عند الضعف من عدم تألّم المريض، وإن كان السبب باقياً، أو لأنّ المادّة قد توجّهت إلى جهة ولم تستقرّ، فإذا استقرّت ظهر عنها ما كان مناسباً لما تقدّم، وهو عبارة عن عودة المرض[(٢)].





(١) هذا الفصل لم يرد في (س).

(٢) أعود للتذكير بأن هذا الفصل لم يرد في (س).

(الفصل السابع)

✍ **قال أبقراط**: «وأمّا [٤٣/و/س] من طالت به حمّاه، وكان بحال سلامة، وليس به ألم من التهاب أصلاً، ولا من سبب آخر بيّن[(١)]؛ فينبغي أن تتوقّع له الخُراج، مع[(٢)] ألم وورم في مفاصله، وخاصّة السفليّة، وأحرى أن تكون هذه الخُراجات في مدّة من الزمان أقلّ لمن كان سنّه دون الخمس وثلاثين سنة، وينبغي عند ذلك أن تتوقّع الخُراج منذ يتجاوز المرض عشرين يوماً، وأمّا من كان أسنّ من أولئك فحدوث الخُراجات [٧٨/و/ك] به إذا طالت حمّاهم أقلّ، وينبغي أن تتوقّع مثل هذا الخُراج متى كانت الحمّى دائمة، وتتوقّع انتقال الحمّى إلى الربع إذا كانت تغيب وتعاود على غير نظام، ويكون ذلك منها وقد قرب الخريف.

وكذلك يحدث الخُراج لمن كان سنّه من الشباب دون الخمس وثلاثين سنة، وكذلك أيضاً يحدث الربع لمن كانت قد أتت عليه أربعون سنة، أو من كان أسنّ منه.

وأمّا الخُراجات فينبغي أن تعلم من أمرها أنها تكون في الشتاء أكثر، ويكون سكونها أبطأ، وتكون معاودتها أقلّ.

وأمّا من شكى في حمّى ليست بالقتّالة صداعاً، أو رأى أمام عينيه شيئاً أسوَد؛ فإنّه إن أصابه مع ذلك وجع في فؤاده فإنّه يحدث له قيء مرار، فإن أصابه مع ذلك نافض، وكانت المواضع السفليّة فيما دون الشراسيف منه باردة، وكان

---

(١) بين: ساقطة (ك).

(٢) من (ك).

القيء أسرع إليه، فإن تناول شيئاً في ذلك الوقت من طعام أو شراب أسرع إليه القيء جدّاً»[١].

قال مهذّب الدين: قوله: «ومن طالت به حمّاه وكان بحال سلامة وليس به ألم من التهاب أصلاً، ولا من سبب آخر بيّن؛ فينبغي أن تتوقّع له خُراجاً مع ورم وألم في مفاصله [٧٨/ ظ/ ك] وخاصّة السفلية»[٢].

اعلم[٣] أنّ كلّ حمّى تطول وليس معها علامات تدلّ على حدّة الأخلاط أو حرارة المِزاج من السنّ أو غيره؛ فموادّ تلك الحمّى باردة غليظة غير[٤] متهيّئة لسرعة الاستفراغ، فالطبيعة تدفعها بخُراج، والأحرى أن تتوقّع الخُراج في أسافل البدن، لأنّ أعلاه أشرف.

وأمّا حدوثها في المفصل لسببين؛ **أحدهما** لكثرة حركتها تقبل الموادّ، **والثاني** لبردها تبقى فيها الموادّ غير قابلة للتحلّل.

قوله: «وأحرى أن تكون هذه الخُراجات في مدّة من الزمان أقلّ لمن كان سنّه دون الخمس وثلاثين سنة».

قال مهذّب الدين[٥]: لأنّ القوى في هذا السنّ قويّة قادرة على دفع الموادّ بالاستفراغ وغيره، فحدوث الخُراجات فيه أقلّ.

---

(١) وأحرى أن تكون هذه الخراجات... القيء جداً: الفقرات لم ترد في (س).

(٢) قوله... السفلية: لم ترد في (س).

(٣) قال مهذب الدين: اعلم (ك).

(٤) غير: ساقطة (س).

(٥) قال مهذب الدين: ساقطة (س).

قوله: «وينبغي عند ذلك أن تتوقّع الخُراج منذ يتجاوز المرض العشرين يوماً».

قال مهذّب الدين[(١)]: لأنّ الموادّ كما ذكرنا تكون غليظة باردة غير حادّة، لأنّها لو كانت حادّة لانقضت قبل العشرين، فحيث تعدّت إلى العشرين كانت أقرب إلى حدوث الخُراجات.

قوله: «وأمّا من كان أسنّ من أولئك فحدوث الخُراجات إذا طالت حمّاه أقلّ».

قال مهذّب الدين[(٢)]: يعني [٧٩/ و/ ك] إذا أمعن الإنسان في السنّ ضعفت قوّته عن دفع الموادّ فلا يحدث خُراجات لضعفها.

قوله: «وينبغي أن تتوقّع مثل هذا الخُراج متى كانت الحمّى دائمة، وتتوقّع انتقال الحمّى[(٣)] إلى الربع إذا كانت تغيب وتعاود على غير نظام، ويكون ذلك وقد قرب الخريف».

قال مهذّب الدين[(٤)]: هذا يكون لأنّ ضرر الحمّى إذا دامت أكثر من ضررها إذا كانت [٤٣/ ظ/ س] مفارقة، فالقوّة تنهض لضررها إلى دفع المؤذي، وقد بيّنّا أنّها موادّ فيها غلظ، فهي لا تواتي للاستفراغ، فتحدث الخُراجات.

وقوله: «ويتوقّع انتقال الحمّى إلى الربع»؛ هذا يكون بشرط أنّها تتغيّر عن أخذها الطبيعيّ لها، وتأخذ على غير نظام، فيدلّ على زيادة غلظها، وأنّها قد تشبّهت

---

(١) قال مهذب الدين: ساقطة (س).

(٢) قال مهذب الدين: ساقطة (س).

(٣) المادة أي الحمى (ك).

(٤) قال مهذب الدين: ساقطة (س).

بالأخلاط السوداويّة، ولاسيّما إذا كان ذلك في وقت الخريف، فإنّه من أعظم الدلائل على الربع، لمناسبته له في المِزاج.

قوله: «وأمّا الخُراجات فينبغي أن تعلم من أمرها أنّها تكون في الشتاء أكثر، ويكون سكونها أبطأ، وتكون معاودتها أقل».

قال مهذّب الدين(١): هذا يكون لأنّ الموادّ الغليظة تتولّد في الشتاء أكثر ممّا تتولّد في جميع الفصول، ويكون سكونها [٧٩/ ظ/ ك] أبطأ لعدم الحرارة المحلّلة، ومعاودتها أقلّ، لأجْل غلظها وبردها، فهي لا تقدر أن تثور وتعاود.

وقوله(٢): «وأمّا من شكى في حمّى ليست بالقتّالة صداعاً، ورأى أمام عينيه شيئاً أسودَ فإنّه إن أصابه مع ذلك وجع في فؤاده فإنّه يحدث له في مرّات، فإن أصابه مع ذلك نافض، وكانت النواحي السفليّة فيما دون الشراسيف منه باردة؛ كان القيء أسرع إليه، فإن تناول شيئاً في ذلك الوقت من طعام أو شراب أسرع إليه القيء جدّاً»(٣)؛

هذا(٤) دليل على انصباب موادّ صفراويّة حادّة مبخّرة إلى الدماغ، ولاسيّما إذا وَجد وجعاً في فؤاده، ونعني بالفؤاد ههنا فم المعدة، فإن أصابه مع ذلك نافض؛ دلّ

(١) قال مهذب الدين: ساقطة (س).
(٢) قال أبقراط (س)، أي أنه جعل ذلك فصلاً منفصلاً، وليس ذلك بصحيح، فهو بالأصل في (تقدمة المعرفة) ليس منفصلاً.
(٣) ورأى أمام عينيه... القيء جداً: ساقطة في (ك).
(٤) قال المفسر هذا (س).

على شدّة لذعها للأعضاء الحسّاسة؛ فالقيء يسرع إليه بسبب ذلك، فإن تناول شيئاً من طعامٍ أو شراب[1] أو غيره أسرع إليه القيء جدّاً لأنّ المعدة ممتلئة [٤٤/و/س] من الموادّ المذكورة، فتحيل ما يأتيها من الأطعمة إلى جنس ما فيها فيكثر، فيحصل القيء بسبب ذلك.

(١) أو شراب: ساقطة (ك).

(الفصل الثامن)

قال أبقراط: «وأمّا من بدأ به الوجع من هؤلاء من أوّل يوم فإنّه أَحرى أن يشتدّ به في اليوم الرابع أو الخامس، فإذا كان السابع ذهب عنه، فأمّا أكثرهم فيبتدئ بهم الوجع في اليوم الثالث، ويشتدّ بهم خاصّة في اليوم الخامس، ثمّ يذهب عنهم في اليوم التاسع، أو في اليوم الحادي عشر.

ومنهم من يبتدئ به الوجع في اليوم الخامس، ثم تكون سائر أحوالهم على قياس أحوال [٨٠/ و/ ك] الذين تقدّموهم، ثمّ ينقضي مرضهم في اليوم الرابع عشر. وهذه الأشياء تكون في الرجال والنساء في حمّيات الغبّ خاصّة، فأمّا من هو أحدث سنّاً من أولئك فقد تحدث لهم تلك الأشياء في تلك الحمّيات، إلّا أنّ حدوثها في الحمّيات التي هي أدْوَم أكثر، وفي حمّيات الغبّ الخالصة.

فأمّا من أصابه في تلك الحمّيات صداع أو أصابه في عينيه مكان السواد الذي يراه أمامها غشاوة، أو رأى أمام عينيه شبيهاً باللمع، أو أصابه مكان وجع الفؤاد تمدّد فيما دون الشراسيف من الجانب الأيمن والأيسر من غير وجع ولا لهيب؛ فتوقّع لهذا انبعاث دمٍ من منخريه مكان القيء، وتوقّع خاصّة في مثل هذا الموضع لمن كان أحدث سنّاً انفجار الدم. وأمّا من كان قد ناطح الثلاثين، ومن كان أسنّ منه؛ فيكون توقّعك له انفجار الدم أقلّ، لكنّه ينبغي أن تتوقّع له القيء.

وأمّا الصبيان فيؤمن لهم التشنّج، ومن كانت حمّاهم حادّة، وكانت بطونهم معتقلة، وكانوا يسهرون ويتفزّعون ويبكون، وتحول ألوانهم إلى الخضرة أو إلى

الكمودة أو إلى الحمرة. وأسهل ما تكون [٨٠/ ظ/ك] هذه الأشياء للصبيان الذين هم في غاية الصغر إلى أن ينشؤوا إلى سبع سنين، وأمّا الصبيان الذين هم أكبر من هؤلاء، والرجال؛ فلا يعرض لهم في حمّياتهم التشنّج متى لم يحدث لهم من الدلائل شيء ممّا هو في غاية القوّة وفي غاية الرداءة، مثل الدلائل التي تحدث في البَرْسام[١]. وقد ينبغي أن يستدلّ على من يسلم، ومن يعطب من الصبيان، ومن غيرهم من جميع الأعلام كيما يبيّن من أمْر كلّ واحد منهم في كلّ واحد من الأمراض. وقولي هذا إنّما هو في الأمراض الحادّة وما يتولّد منها»[٢].

قال مهذّب الدين: قوله: «وأمّا من بدأ به الوجع من هؤلاء منذ أوّل يوم؛ فإنّه أحرى أن يشتدّ في اليوم الرابع أو الخامس، فإذا كان السابع ذهب عنه، فأمّا أكثرهم فيبتدئ فيهم الوجع في اليوم الثالث، ويشتدّ بهم خاصّة في اليوم الخامس، ثمّ يذهب عنهم في اليوم التاسع أو في الحادي عشر، ومنهم من يبتدئ به الوجع في اليوم الخامس، ثم تكون سائر أحوالهم على قياس أحوال الذين تقدّموهم، ثمّ ينقضي مرضهم في اليوم الرابع عشر، وهذه الأشياء تكون في الرجال والنساء في حمّيات الغبّ خاصّة»[٣].

اعلم[٤] أنّ [٨١/ و/ك] الحكم في هذه القضيّة مبنيٌّ على أنّه متى حدث الوجع في أوّل يوم فإنّه يحصل إنذار في الرابع، ويأتي البُحران بفراق المرض في اليوم السابع،

(١) البرسام: هو في اصطلاح الطب القديم ورم الصدر (أي التهابه).
(٢) فإنه أحرى أن يشتد (في بداية قول أبقراط)... وما يتولد منها: إلى آخر الفصل (س).
(٣) قوله... خاصة: لم ترد في (س).
(٤) قال مهذب الدين: اعلم (ك).

ومن بدأ به الوجع في الثالث، فحكمه كحكم الأوّل، وهو أن تحسب من الأيّام الثالث يوم إنذار السابع منه وهو الخامس إن لم يَفِ الرابع بالإنذار فيتأخّر إلى الخامس وهو نادر، ويأتي البُحران في السابع[١] إن كانت القوّة قويّة وإلّا ففي اليوم الحادي عشر. ومن ابتدأ به الوجع في اليوم الخامس فاحسب على ما تقدّم يكون إنذاره في اليوم الحادي عشر، ويكون بُحرانه في اليوم الرابع عشر.

فهذا الضابط في جميع حدوث البُحران في هذه الأيّام على ما ذكرنا.

قوله: «وهذه الأشياء تكون في الرجال والنساء في حمّيات الغبّ خاصّة، فأمّا من هو أحدث سنّاً من أولئك فقد تحدث لهم تلك الأشياء في تلك الحمّيات، إلّا أنّ حدوثها في الحمّيات التي هي أدْوَم أكثر، وفي حمّيات الغبّ الخالصة»[٢].

قال مهذّب الدين[٣]: هذا يكون لحدّة الموادّ وكونها تُعدّ من الأمراض الحادّة التي تنهض القوّة لدفعها بسرعة، وكذلك يحدث لمن كان أحدثَ سنّاً، لأنّه ممنوّ[٤] [٨١/ ظ/ ك] بالأخلاط الحادّة كما ذكرنا، وحدوثها في الحمّيات التي هي أدوَم، أكثر هذا لشدّة المجاهدة، وفي حمّيات الغبّ الخالصة[٥] هم لِما ذكرنا من حدّة الموادّ الموجبة لنهوض القوّة لدفع المؤذي عنها.

قوله: «وأمّا من أصابه في تلك الحمّيات صداع، أو أصابه في عينيه مكان السواد

(١) التاسع (ك).

(٢) فأما من هو أحدث... الخالصة: ساقطة (س).

(٣) قال مهذب الدين: ساقطة (س).

(٤) مني بكذا: بلي به، وهو ممنوّ به. (أساس البلاغة للزمخشري).

(٥) الخاصة (س).

الذي يراه أمامها غشاوة، أو رأى أمام عينيه شبيهاً باللمع، أو أصابه مكان وجع الفؤاد تمدّد فيما دون الشراسيف من الجانب الأيمن أو الأيسر من غير وجع ولا تلهّب، فتوقّع له انبعاث دمٍ من منخريه مكان القيء، وتوقّع خاصّة في مثل هذا الموضع لمن كان أحدث سنّاً انفجار دم، وأمّا من ناطح الثلاثين، ومن كان أسنّ منه فيكون توقّعك له انفجار الدم أقلّ، بل ينبغي أن تتوقّع له القيء[١]».

قال مهذّب الدين[٢]: هذه الأعراض المذكورة تدلّ على ميل الموادّ الدمويّة إلى الأعالي، فيتوقّع انبعاث الدم من المنخرَين مكان القيء، لأنّ الدلائل [٤٤/ ظ/س] التي تدلّ على القيء تقدّمت مع عدم أعراض الموادّ الدمويّة، وإذا انضاف إلى ذلك أن يكون المريض أحدث سنّاً كانت الموادّ الدمويّة أحدّ، وكلّما طعن في السنّ أكثر فيكون حدوث الرعاف أقلّ [٨٢/ و/ك] لقلّة حدّة الأخلاط الموجبة له؛ أعني الرعاف.

واعلم أنّ الرعاف عبارة عن خروج الدم من الأنف، **وينقسم** إلى أقسام ثلاثة؛ إمّا أن يخرج من المنخر الأيمن أو من الأيسر أو منهما، وكلّ واحد من هذه الأقسام ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ وهو إمّا أن يكون عن دفع من القوّة الدافعة ـ كما يعرض عن البُحران في الأمراض الدمويّة، أو من الكثرة كما يعرض لكثير من الأصحّاء، أو من ضعف القوّة الماسكة له في الأوعية[٣].

---

(١) أو أصابه في عينيه... القيء: إلى قوله يتوقع له القيء (س).

(٢) قال مهذب الدين: ساقطة (س).

(٣) أسباب الرعاف في الطب الحديث كثيرة، منها أسباب عامة؛ حموية أو اضطرابات تخثر الدم، أو ارتفاع التوتر الشرياني، أو عشاشة وعائية. أو موضعية في مكان الرعاف وتكون بسبب رضوض متكررة وتخريش في المنطقة، وقد تكون لتوسع الأوعية في المنطقة وهو وراثي. وهناك نوع يسمى رعاف الشبان الأصحاء.

وينقسم قسمة أخرى؛ وهو أن يكون خارجاً من الأنف من العروق الضوارب، وله علامات، وهو خطر قاتل، وأكثر من يموت ممّن يرعف بهذا القسم لما يستصحب[(١)] من خروج الروح الحيواني الموجب للضعف العظيم، ومن علاماته أيضاً خروجه مختلف مع نفر[(٢)] كما في حركة العروق الضوارب، ورقّة مع شقرة، ولطافة في القوام. والخارج من العروق غير الضوارب بخلاف هذا؛ وهو أن يكون غليظاً كمداً مسترسلاً في الخروج من غير اختلاف في الوضع، ولا يعقب ضعفاً عاجلاً كما يعقب ذاك إلّا إذا أسرف.

ولذلك يحتاج الطبيب الفاضل إذا أسرف الدم [٨٢/ ظ/ ك] الخارج بالرعاف[(٣)] من العروق الضوارب أن تكون عنايته بتقوية القلب، بأن[(٤)] يضع المحاجم على الناحية الجاذبة[(٥)] بغير نار، وهذا سرّ عظيم غريب، لم أعرف من ذكره سوى جالينوس، فإنّه ذكره في مقالة وقعت لي [٤٥/ و/ س] في **تدبير الأمراض المختصّة بالصبيان والشبّان**، فيجب أن يكون ذلك على ذهنك[(٦)].

وهذه المقالة من المقالات الحسنة الجامعة لأمراض عجيبة تحدث للصبيان

---

(١) يستصحف (ك).

(٢) بالأصل فقر (س)، قفه (ك)، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

(٣) إذا أسرف الدم الخارج بالرعاف: إذا حصل الرعاف ينظر ويحقق القسم [٨٢/ ظ/ ك] الذي خروجه (ك).

(٤) وإذا أسرف (ك).

(٥) الجاذبة: ساقطة (س). الناحية: القلب (ك).

(٦) الخاطر لينتفع به (ك).

والشبّان كالورشكين[١] والجُدَري والحصبة والحميقاء[٢] والطواعين الدموية والماشرا[٣] والتشنّج الحادث عن الدم، والحمّيات المطبقة، والرعاف، والتفزّع، وأمّ الصبيان، والتخم[٤]، والدود، والسرسام، والعرق المديني[٥]، والربو[٦]،

(١) قال جيرائيل عن علة الورشكين: هو اسم ركّبته الفرس من الكسر والصدر، واسم الصدر بالفارسيّة الفصيحة (ور) والعامة تسميه (بر)، واسم الكسر أشكين، فإذا جمعت اللفظتين كانتا (ورشكين)، أي هذه العلة من العلل التي يجب أن يكسر عليها الصدر، وهي علّة لا تستحكم بإنسان فيكاد ينهض منها، وإن من نهض منها لم يؤمن عليه النكسة سنة إلا أن يخرج منه استفراغ دم كثير تقذفه الطبيعة من الأنف أو من أسفل في وقت العلة أو بعدها قبل السنة، فمتى حدث ذلك سلم منه. (عيون الأنباء ١/ ١٣١). وفي (تكملة المعاجم): ورشكين= شكين: حمّو وورم الجلد Erysipelas (معروفة بالحميرة). وهي حمرة والتهاب الجلد.

(٢) الحُماق والحُميقاء: هو نوع من البثور لا يعتدّ به، وقيل: إنه شيء بين الجدري والحصبة. وفي الطب الحديث؛ الحُمَاق Varicella, Chicken pox هو جدري الماء. وقيل: هي نوع من الجدر؛ وهي حبّات بيض كبار متفرّقة يمكن عدها، ولا يكون معها حمّى. (اصطلاحات الطب القديم).



(٣) ماشرا: حرارة وتلهّب داخل الجلد من غير أن يتقرّح أو يبرز إلى الخارج.

(٤) بالأصل الثخم (ك)، النحم (س).

(٥) بالأصل الدموي، ولعل الصحيح ما أثبتناه. والعِرْق المديني دودة تحت الجلد تسمى Dracunculus medinensis.

(٦) بالأصل والربه.

والنقرس العارض للصغار، واعوجاج الساقين، والحدبة، وخروج الفقار. وذكر أمراضاً كثيرة يطول ذكرها ههنا(١)، فمن أراد الانتفاع بها فليطلبها وينتفع بها(٢).

قوله: «وأمّا(٣) الصبيان فيعرض لهم التشنّج، ومتى كانت حمّاهم حادّة، وكانت بطونهم معتقلة وكانوا يسهرون ويتفزّعون ويبكون، وتحول ألوانهم فتصير إلى الخضرة أو إلى الكمودة أو إلى الحمرة، وأسهل ما تكون هذه الأشياء للصبيان الذين هم في غاية الصغر إلى أن [٨٣/ و/ك] ينتهوا إلى سبع سنين. وأمّا الصبيان الذين هم أكبر من هؤلاء، والرجال فإنّه لا يعرض لهم في حمّياتهم التشنّج متى لم يحدث لهم من الدلائل شيء ممّا هو في غاية القوّة وفي غاية الرداءة، مثل الدلائل التي تحدث في البَرْسام(٤)».

قال مهذّب الدين: اعلم أنّ التشنّج الذي أشار إليه أبقراط هنا هو التشنّج الذي يحدث عن الامتلاء، وهذا يعرض للصبيان الصغار لسببين؛ **أحدهما** كثرة الأخلاط الدمويّة في أبدانهم، **والثاني** رطوبة أعضائهم وشدّة انفعالها لهذا المرض. وضعف القوّة فيها يوجب [٤٥/ ظ/س] وقوعه بسرعة، ويزول أيضاً بسرعة، لا لضعف القوّة، بل لرطوبة الأعضاء الموجبة لسرعة الانفعال، بخلاف من كان أكبر منهم سنّاً،

---

(١) ذكرها ههنا: المكان ههنا عن شرحها (س).

(٢) وينتفع بها: ويطالعها (ك).

(٣) قوله وأما: بالأصل قال أبقراط وأما (س)، ولعل الناسخ هنا جعله فصلاً منفصلاً، وهو ليس بذلك، لأنه بالأصل في (تقدمة المعرفة) ليس فصلاً. قوله: ساقطة (ك)، ووضعناها لصحة السياق والعادة.

(٤) مثل... البرسام: ساقطة (ك).

فإنّ أعضاءهم يابسة، غير قابلة لهذا المرض إلا بعسر[١] وشدّة، وإذا قبلت فيعسر زوالها.

قوله: «وقد ينبغي أن يستدلّ على من يسلم، وعلى من يعطب من الصبيان وغيرهم من جميع الأعلام، كيما يبين من أمر كلّ واحدٍ منهم في كلّ واحد من الأمراض. وقولي هذا إنّما هو في الأمراض الحادّة، وما يتولّد منها[٢]».

قال مهذّب الدين[٣]: هذا الفصل فيه تذكير لك بجميع الأمراض التي تعرض للإنسان أن تستدلّ فيها بالعلامات [٨٣/ ظ/ ك] التي ذكرها لك في هذا الكتاب من أوّله إلى هنا ما كان يدلّ على الخير وما كان يدلّ على الشرّ من السلامة والعطب[٤]، ينبغي أن تكون حاضرة في ذهنك، متصوّرة[٥] في خاطرك لتحكم بها في كلّ مرض تراه، لتقع الثقة بك في معالجتك ومزاولتك[٦].

وهذه العلامات التي في هذا الكتاب[٧] قد أورد عليها بعض المتقدّمين اعتراضاً لأنّ[٨] هذا الكتاب مخصوصٌ بذكر الأمراض الحادّة وعلاماتها ـ كما

---

(١) بسرعة (ك).

(٢) وعلى من يعطب... منها: إلى قوله وما يتولد منها (س).

(٣) قال مهذب الدين: ساقطة (س).

(٤) من السلامة والعطب: ساقطة (ك).

(٥) في ذهنك متصورة: ساقطة (ك).

(٦) لتقع... ومزاولتك: ساقطة (ك).

(٧) التي في هذا الكتاب: ساقطة (ك).

(٨) اعتراضاً لأن: إيراد إغفال (س).

ذكر جالينوس[١]، فلِمَ ذكر فيه الربع والاستسقاء وغيرهما من الأمراض المزمنة؟

فالجواب ما قاله أبقراط، وهو قولي هذا: إنّما هو في الأمراض الحادّة وما يتولّد منها، فإنّ أبقراط ما ذكر مطلق الاستسقاء، بل **قال**: «فأمّا الاستسقاء الذي يكون من الأمراض الحادّة»، وكذلك الربع أيضاً لم يذكرها على الإطلاق، بل ذكَر منها الذي يكون عن احتراق الأخلاط في الأمراض الحادّة.

(١) كما ذكر جالينوس: ساقطة (س).

(الفصل التاسع)

✍ **قال أبقراط**: «وينبغي لمن يريد أن يتقدّم فيخبر بسلامة من يسلم، وبموت من يموت، وينذر بطول من يدوم مرضه أيّاماً أكثر، ومن يقصر مرضه، وأن يعرف جميع الدلائل بعد أن يقيس قواها بعضها ببعض، وخاصّة في البول والبصاق إذا نفث المريض مِدّة مع مرار»[(١)].

✍ **قال مهذّب الدين**: قد تقدّم القول[(٢)] بأنّ الطبيب إذا كان عارفا بأعراض الأمراض ودلائلها [٤٦/ و/ س] حكم حكماً جيّداً[(٣)]، ثمّ لا يكتفي بعدد العلامات؛ أن تقول[(٤)] [٨٤/ و/ ك] مثلاً: قد اجتمع[(٥)] خمس علامات تدلّ على الخير، وخمس علامات تدلّ[(٦)] على الشرّ؛ فالأمر متوسّط لا يكفي في الحكم، لأنّه قد تكون علامة واحدة قوّتها[(٧)] تقاوم خمس علامات ضعاف.

ولا تقول أيضاً: خمس[(٨)] علامات تدلّ على الشرّ وعلامة تدلّ على الخير فتحكم

---

(١) ويموت من يموت... مرار: إلى قوله نفث المريض مدة مع بصاق مرار (س).

(٢) قد تقدم القول: ساقطة (ك).

(٣) حكم حكماً جيداً: [٤٦/ و/ س] ضراتها قادراً على أن يحكم حكماً جيداً على الأكثر (س)، ولعل صحة العبارة: كان قادراً على أن يحكم حكماً جيداً على الأكثر.

(٤) أن تقول: ساقطة (ك).

(٥) قد اجتمع: ساقطة (ك).

(٦) علامات تدل: ساقطة (ك).

(٧) قوية (ك).

(٨) قد دفع خمس (ك).

بالشر، فإنّ ذلك خطأ[١]، إنّما ينبغي أن تزنَ قوّة الأدلّة وضعفها مع العدد، لأنّ العدد وحده لا يقع في الحكم صحيحاً.

قوله[٢]: «وخاصّة في البول والبصاق»؛ هذا لأنّ البطن ينقسم إلى بطنَين أحدهما آلات الغذاء الذي يستدلّ عليها دلالة صحيحة البول[٣]. والثاني آلات التنفّس، والذي يُستدلّ به على أحوالها أمران[٤]؛ **أحدهما** البصاق، **والثاني** النبض، لكن لمّا كان النبض أمره عامّاً يُستدلّ به[٥] في جميع الأمراض على ضعف القوّة وقوّتها أهمَلَهُ. وأمّا البصاق؛ لمّا كان مختصّاً بآلات التنفّس ذَكَرَه.

---

(١) فإن ذلك خطأ: ساقطة (ك).

(٢) قوله: ساقطة (ك).

(٣) الذي يستدل... البول: الدال عليها دلالة صحيحة (ك).

(٤) والذي يستدل... أمران: الدال على أمرين (ك).

(٥) أمره عاماً يستدل به: دالاً (ك).

(الفصل العاشر)

قال أبقراط: «وينبغي أن تتفطّن دائماً بحدوث الأمراض الوافدة، ولا يفوتك حال الوقت الحاضر. وقد ينبغي أن تعلم في أمر الدلائل في كلّ سنة وفي كلّ وقت من أوقاتها؛ ما كان منها رديئاً فهو يدلّ على شرّ، وما كان محموداً يدلّ على خير، وذلك تجد جميع الدلائل التي تقدّم ذكرها تصحّ في بلاد النوبة وإيلوس(١) والصقالبة(٢).

وقد ينبغي أن تعلم أنّه ليس صوابك أضعافاً إذا أنت تعرّفت الدلائل [٨٤/ظ/ك] وعلمت كيف تميّزها وتدبّرها، وليس ينبغي أن تتشوّف إلى اسم مرض من الأمراض لم نذكره، وذلك أنّ جميع الأمراض التي تنقضي في المُدد من الزمان التي تقدّمنا فحدّدناها أن تعرفها وتميّزها»(٣).

قال مهذّب الدين(٤): اعلم أنّ علامات الخير والصحّة والسلامة(٥) صادقة في

---

(١) كذا بالأصل، ولعل صحتها (ذيلوس) تبعاً لما جاء في مخطوط تقدمة المعرفة نسخة الإسكندرية التالي ذكرها.

(٢) **الصقالبة**: نسبة إلى صقلب بن لنطي بن يافث، والمشهور بهذه النسبة جماعة كثيرة. (الأنساب للسمعاني). وفي (معجم البلدان لياقوت الحموي): بُلْغار، بالضم والغين معجمة؛ مدينة الصقالبة. والصقالبة جيل حمر الألوان، صهب الشعور، وقيل للرجل الأحمر صقلاب على التشبيه بألوان الصقالبة.

وقد جاء في نسخة الإسكندرية من تقدمة المعرفة شرح لهذه البلاد من قبل الناسخ فقال: اعلم أن مراد أبقراط في قوله: **النوبة** هو البلاد الحارة كعدن وصنعاء ومكة ونحوها، وفي قوله: **ذيلوس** (بالذال وليس بالألف إيلوس كما وردت في هذا الكتاب) البلاد المعتدلة كالحبشة والإقليم الرابع وبلاد الغرب كقرطبة وإشبيلية ونحوها، وفي قوله: الصقالبة، البلاد الباردة كالإقليم السادس والسابع مثل بلاد الترك الباردة ونحوها، فيكون قد حصر صحة الاستدلال في سائر الأقاليم، فاعلم ذلك.

(٣) ولا يفوتك حال... وتميّزها: الفقرات ساقطة في (س).

(٤) أعود للتذكير هنا بأن عبارة (قال مهذب الدين) هي في نسخة (س) دائماً: قال المفسّر.

(٥) والصحة والسلامة: ساقطة (ك).

جميع الأسنان والأوقات[(١)] والبلدان، وكذلك علامات الشرّ والسقم والضرر صادقة في جميع الأسنان والأوقات والبلدان[(٢)]؛ فإنّ قوّة القوّة دليل صادق صالح دالٌّ[(٣)] على الخير والصلاح، وإنّما في جميع الأسنان والأوقات والبلدان[(٤)].

وكذلك ضعف القوّة وسقوطها دليل[(٥)] رديء في جميع [٤٦/ظ/س][(٦)] الأسنان[(٧)] والأوقات والبلدان، سواء كانت البلدان والأوقات والأسنان[(٨)] حارّة أو باردة أو غير ذلك[(٩)].

ولهذا مثّل أبقراط بهذه البلدان المذكورة[(١٠)]؛ الحارّة وهي النوبة، والباردة وهي الصقالبة، والمعتدلة وهي بلاد إيلوس[(١١)]، وهي تحت خطّ الاستواء.

قوله[(١٢)]: «ولا ينبغي أن تتشوّف إلى اسم مرض من الأمراض لم نذكره في هذا الكتاب»؛ لأنّ الغرض معرفة الأعراض والدلائل والعلامات المختصّة بالأمراض

---

(١) والأوقات: ساقطة (س).

(٢) والسقم... والبلدان: ساقطة (ك).

(٣) صالح دال: ساقطة (ك).

(٤) والصلاح... والبلدان: دائماً (ك).

(٥) وسقوطها دليل: ساقطة (ك).

(٦) هذه آخر صفحة في المخطوط الذي عدد أوراقه (٤٧ ورقة) من نسخة (س)، وهي [٤٦/ ظ/ س]، ورقمها في المخطوط (٤٧/ ق).

(٧) الأسنان: ساقطة (ك).

(٨) البلدان والأوقات والأسنان: ساقطة (ك).

(٩) أو غير ذلك: ساقطة (ك).

(١٠) مثل... المذكورة: قال أبقراط (ك).

(١١) لعل صحتها (ذيلوس) كما أشرت قبل.

(١٢) قوله: ساقطة (ك).

الحادّة وما يحدث عنها، وذلك ممّا يغنيك عن معرفة أسماء الأمراض[١]، فإنّك إذا عرفتها وحقّقتها قدرت أن تحكم بما يؤول إليه حال المريض من السلامة والعطب.

وينبغي لمن أراد معرفة هذه الصناعة الطبّيّة، أن يكون فاضلاً، خبيراً في معالجة أمراض البدن الإنساني، ويديم مطالعة هذا الشرح، فإنّني جمعته من أقاويل جماعة من المتقدّمين[٢].

وأسأل الله المعونة لمن كان قصده إيصال الراحة
إلى المرضى بكلّ طريق، تمّ والله الموفّق والمعين،
وصلواته على خاتم النبيين وسيّد المرسلين،
وأهل بيته الطاهرين،
والله أعلم بالصواب.
حرّره الفقير مصطفى بن رمضان
في شهر شعبان المعظّم
سنة ١٠٩٠هـ[٣]

---

(١) الحادة... الأمراض: ساقطة (ك).

(٢) هذا الشرح... المتقدّمين: شروح هذا الكتاب، ويتأمله جيداً، لينتفع به وينتصح (س).

(٣) كذا كانت نهاية نسخة (س).

نهاية نسخة (ك): **ومن الله أسأل المعونة والخير في الدنيا والآخرة [٨٥/ و/ ك] (بالأصل: ٧٥/ و/ ك) لي ولمن استعد به آمين، وكان قصده إيصال الراحة إلى المرضى بكلّ طريق، فبذلك يحصل له حسن الثناء من الناس، والمجازاة من الله تعالى. والحمد لله ربّ العالمين.** آمين. **تم.** (ولا يوجد اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ).

أما نسخة (د) فكانت نهايتها حسب ما ورد في فهرس مخطوطات بودليان:... وكان قصده إيصال الراحة للمرضى بكل طريق، فبذلك يحصل له حسن الثناء من الناس، والمجازاة من الله تعالى. تم الشرح وكمل بعون الله تعالى وحسن توفيقه، نفع الله به كاتبه ومن طالعه آمين رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. (هذه النسخة غير مؤرخة وليس فيها اسم الناسخ، المجموع عليه تاريخ التملك سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م، وشكل الورق والحبر والخط يوحي بأن التاريخ هو في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي).

وعلمت كيف تميزها وتدبرها ولكن ينبغي ان تتشوف الى المرض
من الامراض لم نذكره، وذلك ان جميع الامراض التي تنقضي في المدد
من الازمان التي قدمنا خبرناها ان نعرفها ونميزها قال بقراط
ان علامات الخير صادقة في جميع الاسنان والاوقات
والبلدان وعلامات الشر كذلك، فان قوة القوة دليل صادق
على الخير دائما، وكذلك ضعف القوة ردي في جميع الاوقات والبلدان
سوا كانت حارة او باردة، ولهذا قال بقراط البلاد الحارة
الجنوبية والباردة الشمالية والمعتدلة ايضا التي تحت خط
الاستوا، ولا ينبغي ان تتشوق الى المرض من الامراض لم نذكره
في هذا الكتاب لان الغرض معرفة الاعراض والدلايل والعلامات
المختصة بالامراض فاذا عرفتها وحققتها قدرت ان تحكم بما يؤول
اليه حال المريض من السلامة والعطب، وينبغي لمن اراد معرفة هذه
الصناعة الطبية ان يكون فاضلا خبيرا في معالجة امراض البدن
الانساني بديمومة مطالعة هذا الشرح فانني جمعته من اقاويل جماعة
من المتقدمين ومن الله اسال المعونة والخير في الدنيا والاخرة

لي

لي ولمن استعد به امين، وكان قصده ايصال الراحة الى
المرضى بكل طريق، فبذلك يحصل له حسن الثنا من الناس
والمجازاة من الله تعالى
والحمد لله رب
العالمين
امين

نهاية نسخة (ك)

أهم مصادر ومراجع التحقيق

• **أبقراط؛ تقدمة المعرفة**، مخطوط نسخة مكتبة الإسكندريّة برقم ٣٧٢٢، ونسخة سوهاج (ف١٦).

• **ابن أبي أصيبعة**، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي؛ **عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء**، تحقيق امرؤ القيس بن الطحان، المطبعة الوهبية ١٨٨٢م.

• **الأنطاكي**، داود؛ **التحفة البكرية في أحكام الاستحمام** الكليّة والجزئية، تحقيق الدكتور محمد ياسر زكور، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠١٧م.

• **البستي**، أبو الفتح؛ **ديوان شعر**؛ تحقيق درّيّة الخطيب ولطفي الصقّال، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق ١٩٨١م.

• **الثعالبي**، أبو منصور عبد الملك (٤٢٩ هـ)؛ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق محمد قميحة، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٣م.

• **الحموي**، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.

• **حميدان**، زهير؛ **أعلام الحضارة** العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٦م.

• **دوزي**، رينهارت؛ **تكملة المعاجم العربية**، تعريب محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م.

• **الذهبي**، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ هـ)؛ **تاريخ الإسلام**، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٩٠م.

• **الزركلي**، خير الدين؛ **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.

• **زكّور**، الدكتور محمد ياسر؛ **اصطلاحات الطب القديم**، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠١٧م.

• **الزمخشري**، محمود بن عمر؛ **أساس البلاغة**، على ذمة يوسف شيت البعلبكي، المطبعة الوهبية، ١٨٨٣م.

• **الزهراوي**، خلف بن عباس (٤٠٤ هـ)؛ **الزهراوي في الطب لعمل الجراحين**، تحقيق الدكتور محمد ياسر زكور، وزارة الثقافة ـ دمشق ٢٠٠٩م.

• **السمعاني**، عبد الكريم بن محمد (٥٦٢ هـ)؛ **الأنساب**، وزارة المعارف الهندية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند ١٩٧٧م.

• **ابن سيده**؛ علي بن إسماعيل الأندلسي؛ **المخصّص**، دار الكتب العلمية ـ بيروت، أوفست.

• **ابن سينا**، أبو علي الحسين بن علي، **القانون في الطب**، طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق، دار صادر، بيروت. وطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩٩م. ومخطوط نسخة جامعة يِيل .Yale

• **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤ هـ)؛ **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد أرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ٢٠٠٠م.

• **عيسى**، الدكتور أحمد عيسى بك؛ **معجم أسماء النبات**، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤٩هـ

• **عيسى**، الدكتور أحمد؛ **معجم الأطباء**، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٢م.

• **الفراهيدي**، الخليل بن أحمد؛ **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.

• **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن علي (توفي ٨٢١هـ)؛ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ـ ١٩٦٣م.

• **القوصوني**، مدين بن عبد الرحمن: مخطوط **قاموس الأطبا وناموس الألبا**، مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٩م.

• **كحالة**؛ عمر رضا، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة ١٩٥٧م.

• **المناوي**، علي بن محمد (بعد ٩٠٠ هـ)؛ **رسالة في الحواس الخمس**، مخطوط في مكتبة أم القرى.

• **ابن منظور**؛ **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة.

• **النديم**، محمد بن إسحق الوراق؛ **كتاب الفهرست**، تحقيق رضا ـ تجدد، ١٩٧١م.

• **ابن النفيس**، علاء الدين ابن أبي الحزم القَرْشي؛ **شرح تقدمة المعرفة لأبقراط**، نسخة الإسكندريّة ٢٣٦.

• **النويري**، أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠٠٤ م.

المواقع الإلكترونيّة على شبكة الإنترنت:

- فهرس مخطوطات مكتبة بودليان الإلكتروني.

http://www.hrist.org.uk/prole/manuscript/c2454c-6f07-c6b-bd9d-7441f97e0064

- الرسالة لحنين بن إسحق.

https://www.graeco-arabic-studies.org/single-text/text/bergstraesser-38/page/27.html

الكشّاف العام

وفيه فهرس لما ورد في متن المخطوط من أسماء الأعلام، والأماكن والبلدان، والكتب، والمفردات العامّة، وقد أشرت إلى مكان وجودها في متن المخطوط برقم الصفحة من نسخة الإسكندريّة (ك) فهي الأكمل والأكثر في عدد الصفحات، وذلك حفاظاً على الترقيم من التغير عند الطباعة، بدلاً من الترقيم حسب صفحات الطباعة؛ فمثلاً حين ورود المفردة في (١٩/ و/ك) هذا يعني أنها في وجه الورقة (١٩) من نسخة الإسكندرية (ك)، أو (٢٧/ ظ/ك): أي في ظهر الورقة (٢٧) من نسخة (ك). وحين ورود المفردة أكثر من ثلاث مرات وضعت إشارة (+).

فهرس الأعلام

اسم العلم	صفحة المخطوط	صفحة المطبوع
• ابن التلميذ	[٤٥/ و/ ك]	١٩١
• ابن سينا	[٤١/ ظ، ٤٤/ ظ، ٦٦/ ظ/ ك]	١٨٤، ١٩٠، ٢٤٤
• ابن النقاش	[٤٥/ و/ ك]	١٩٠
• أرسطو	[٣٩/ ظ/ ك]	١٧٨
• أسعد بن المطران	[١/ ظ، ١٤/ ظ، ٢٩/ و/ ك++]	٧١، ١٠٨، ١٤٧++
• جالينوس	[١/ ظ، ٣/ ظ، ٥/ و/ ك++]	٧٠، ٧٨، ٨١++
• حنين	[٦٦/ ظ/ ك]	٢٤٣
• الرازي	[٤٤/ ظ/ ك]	١٩٠
• الشيخ الرئيس (ابن سينا)	[٢٤/ ظ، ٤١/ ظ، ٤٢/ و/ ك++]	١٣٦، ١٨٤++
• محمد بن عبد الرحيم بن مسلم	[٢/ و/ ك]	٧١
• المسيحي عيسى بن يحيى	[٦٦/ و، ٦٩/ و/ ك]	٢٤٢، ٢٤٨

فهرس أسماء الكتب

الكتاب	صفحة المخوط	صفحة المطبوع
• إبيذيميا	[٤/ و/ك]	٧٩
• البُحران	[٥/و، ٦٧/ ظ/ك]	٢٤٥،٨١
• تدبير الأمراض المختصة بالصبيان والشبان	[٨٢/ ظ/ك]	٢٧٩
• تقدمة المعرفة لأبقراط	[١/ ظ، ٥٠/ ظ/ك]	٢٠٤،٧٠
• حفظ الصحة	[٦١/ ظ/ك]	٢٢٨
• الحميات	[٦٦/ ظ/ك]	٢٤٣
• حيلة البرء	[٢٣/ ظ/ك]	١٣١
• شرح تقدمة المعرفة (لجالينوس)	[٧٠/ ظ/ك]	٢٥١
• شرح الفصول لجالينوس	[٥/و، ٩/و، ٣٠/ ظ/ك]	٢٥١
• العلل والأعراض	[٤٤/و، ٤٥/ و/ك]	١٩٢،١٨٩
• الفصول لأبقراط	[٥/و، ٢٦/ ظ، ٤٢/ و/ك++]	١٨٤،١٤٠،٨٢++
• القانون	[٢٤/ ظ، ٤٢/و، ٤٦/و، ٧٥/ و/ك]	٢٦٢،١٩٤،١٨٤،١٣٦
• كتاب جالينوس إلى أغلوقن	[٢٣/ و/ك]	١٢٩
• المائة	[٦٩/ و/ك]	٢٤٨
• المسائل	[٦٦/ ظ/ك]	٢٤٣
• النبض الكبير	[٥/ ظ/ك]	٨٣

فهرس الأماكن والبلدان

اسم المكان	صفحة المخطوط	صفحة المطبوع
• أذرعان (أذرعات)	[٧٧/ و/ ك]	٢٦٨
• الخطا	[٧٧/ و/ ك]	٢٦٨
• دمشق	[٢/ و/ ك]	٧١
• ذيلوس (إيلوس)	[٨٤/ و، ٨٤/ ظ/ ك]	٢٨٦، ٢٨٧
• الصقالبة	[٨٤/ و، ٨٤/ ظ/ ك]	٢٨٦، ٢٨٧
• المارستان	[٤/ و/ ك]	٨٠
• المدرسة الدخواريّة	[١/ ظ/ ك]	٧١
• النوبة	[٨٤/ و، ٨٤/ ظ/ ك]	٢٨٦، ٢٨٧

فهرس الأبيات الشعريّة

البيت	صفحة المخطوط	صفحة المطبوع
كما يكتسي خده. . .	[٥٥/و/ك]	٢١٤
وقد يكتسي المرء. . .	[٥٥/و/ك]	٢١٤



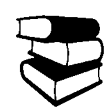
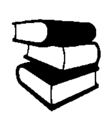


فهرس المفردات

المفرد	صفحة المخطوط	صفحة المطبوع
• استسقاء	[٦/ ظ، ١٩/ و، ٢٤/ و/ ك++]	٨٦، ١١٨، ١٣٥++
• أغراس	[٢٩/ ظ، ٣٠/ و/ ك]	١٤٨، ١٤٩
• أفيون	[٤/ ظ/ ك]	٨٠
• أكهب	[٣٤/ و/ ك]	١٦٥
• أم الدماغ	[٨/ و/ ك]	٩٠
• البُحران	[١٣/ ظ، ١٥/ ظ، ١٦/ و/ ك++]	١٠٧، ١١٠، ١١٢++
• برسام	[٨٠/ ظ، ٨٣/ و/ ك]	٢٧٦، ٢٨١
• تربل	[١٧/ ظ، ١٨/ ظ/ ك]	١١٥، ١١٨
• ترياق	[٤/ ظ/ ك]	٨٠
• تقدمة الإنذار	[٣/ و/ ك]	٧٥
• تقدمة المعرفة	[٣/ و، ٤٨/ ظ، ٦٥/ و++]	٧٥، ١٩٩، ٢٤٠++
• تلزز	[٥/ ظ/ ك]	٨٣
• جذام	[٨/ و، ٢٤/ ظ، ٢٥/ و/ ك]	٩٠، ١٣٦، ١٣٧
• جُلال	[٣٣/ ظ، ٣٦/ و/ ك]	١٦٤، ١٦٩
• الجلاوزة	[٦١/ ظ/ ك]	٢٢٨
• الجنداريّة	[٦١/ ظ/ ك]	٢٢٨
• الحركات المعتاصة	[٤٣/ ظ، [illegible]]	

المفرد	صفحة المخطوط	صفحة المطبوع
• حمى الدق	[٦/ ظ، ٥٤/ و، ٦٦/ و/ ك++]	٨٥، ٢١٢، ٢٤٢++
• حمى الغب (وشطر الغب)	[٦٦/ ظ، ٦٧/ و، ٨٠/ و/ ك++]	٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧٥++
• الحمى الغشيية	[٦٦/ و/ ك]	٢٤١
• الحميقاء	[٨٢/ ظ/ ك]	٢٨٠
• خرخرة	[٤٣/ و/ ك]	١٨٦
• الخوانيق الكلبية	[٧٦/ و/ ك]	٢٦٥
• دبيلة	[٢٢/ ظ، ٢٣/ و/ ك]	١٢٨، ١٢٩
• دشيش	[٣٣/ ظ، ٣٤/ ظ/ ك]	١٦٤، ١٦٦
• ذرب	[٨/ ظ، ٢٤/ و/ ك]	٩٢، ١٣٦
• رمص	[٧/ و، ٨/ و/ ك]	٨٧، ٩١
• سابق العلم	[٣/ و/ ك]	٧٥
• سابق النظر	[٢/ و، ٢/ ظ، ٣/ و/ ك++]	٧٣، ٧٤، ٧٥++
• سخافة	[٥/ ظ/ ك]	٨٣
• سرسام	[٨/ و، ١٣/ و، ١٣/ ظ، ٨٢/ ظ/ ك]	٩٠، ١٠٥، ١٠٦، ٢٨٠
• سَوِيق	[٣٣/ ظ، ٣٦/ و/ ك]	١٦٤، ١٦٩
• الشترة	[٧/ ظ/ ك]	٨٩
• الشراسيف	[١٧/ و، ١٨/ و، ١٨/ ظ/ ك++]	١١٥، ١١٧، ١١٨++
• شنبليدي	[٣٤/ و/ ك]	١٦٥، ١٦٦
• الطبل	[٧٣/ ظ/ ك]	٢٥٨

المفرد	صفحة المخطوط	صفحة المطبوع
• العِرْق المديني	[٤/و، ٨٢/ظ/ك]	٨٠، ٢٨٠
• العروق الخشن	[٤١/و، ٤١/ظ/ك]	١٨٢، ١٨٣
• الفؤاد الأصغر	[٤٠/و، ٨٠/و]	١٧٩، ٢٧٥
• القروح الخيرونيّة	[٤/و/ك]	٧٩
• القلد	[٢٠/ظ/ك]	١٢١
• اللقوة	[٧/ظ/ك]	٨٩
• الماشرا	[٨٢/ظ/ك]	٢٨٠
• المِدّة	[٢٢/ظ، ٢٣/و، ٢٣/ظ/ك++]	١٢٨، ١٢٩، ١٣٠++
• المد والجزر	[٦٨/ظ/ك]	٢٤٧
• الموت الوحي	[١٧/ظ، ١٩/و، ٢١/ظ/ك++]	١١٦، ١١٩، ١٢٥++
• ناصور	[٥٩/و/ك]	٢٢١، ٢٢٢
• النافض	[٤٤/و، ٤٥/ظ، ٥٢/ظ/ك++]	١٨٨، ١٩٢، ٢٠٩++
• ورشكين	[٨٢/ظ/ك]	٢٨٠

فهرس المحتويات

مقدّمة المحقّق ٧

تقديم بقلم الدكتور مصطفى عبد الفتاح ١١

تعريف تقدمة المعرفة وأنواعُها ١٥

فوائد تقدمة المعرفة: ١٦

ترجمة المؤلِّف ومن في حكمه ١٧

مهذَّب الدين عبد الرحيم بن علي الدَّخْوار ١٧

شيوخه ١٩

منزلته العلمية ومآثره ٢٢

زملاء الدَّخوار ومعاصروه ٢٧

تلاميذه ٢٨

مؤلفات الدخوار ٣٤

المدرسة الدخواريّة الطبيّة ٣٦

تأسيس المدرسة الدخواريّة: ٣٧

افتتاح المدرسة الدخواريّة: ٣٨

الأطباء الذين درّسوا في المدرسة الدخواريّة: ٣٩

مصادر ومراجع ترجمة المؤلِّف ٤٢

ترجمة ابن قاضي بعلبك ٤٥

ترجمة ابن مسلم الطبيب ٤٦

ابن المطران ٤٦
ابن النقّاش ٤٧
ابن التلميذ ٤٧
أبقراط ٤٧
أهمّيّة الكتاب التاريخيّة والعلميّة ٤٩
نسبة الكتاب إلى المؤلّف ٥٥
النسخ الخطّيّة للكتاب ٥٧
النسخ المستخدمة في التحقيق ٥٨
منهج التحقيق ٦٣
إثبات النصّ: ٦٣
شرح ما يلزم: ٦٣
تقسيم النص إلى فصول: ٦٣
الحواشي: ٦٤
المقالة الأولى من كتاب تقدمة المعرفة ٧٣
(الفصل الأول): معنى تقدمة المعرفة ٧٣
(الفصل الثاني): الأمراض القتالة، والسليمة ٧٧
(الفصل الثالث): وضع إنذار المرض ٧٩
(الفصل الرابع): الأمراض الحادة، والمزمنة ٨١
(الفصل الخامس): معرفة ابتداء المرض ٨٧
(الفصل السادس): ظهور بياض العين وقت النوم ٩٢

(الفصل السابع): التواء الجفن والشفة ٩٤

(الفصل الثامن): وضعية استلقاء المريض ٩٥

(الفصل التاسع): أفضل أنواع الاستلقاء ٩٧

(الفصل العاشر): وضع القدمين ٩٨

(الفصل الحادي عشر): علامات فتح الفم أثناء النوم ٩٩

(الفصل الثاني عشر): وثوب المريض ١٠١

(الفصل الثالث عشر): علاقة الحمى بالسن ١٠٣

(الفصل الرابع عشر): علامات القرحة في الجسم ١٠٤

(الفصل الخامس عشر): حركة اليدين في الأمراض الحادة ١٠٥

(الفصل السادس عشر): تواتر التنفس ١٠٧

(الفصل السابع عشر): أنواع العرق ١١١

(الفصل الثامن عشر): حالات ما دون الشراسيف ١١٥

(الفصل التاسع عشر): أدوار الحمى ١٢١

(الفصل العشرون): أنواع الأورام ١٢٣

(الفصل الحادي والعشرون): الأورام المزمنة ١٢٤

(الفصل الثاني والعشرون): الأورام الصلبة ١٢٥

(الفصل الثالث والعشرون): تقيح الأورام ١٢٧

(الفصل الرابع والعشرون): أنواع تقيح الأورام ١٢٨

المقالة الثانية من شرح تقدمة المعرفة لمهذّب الدين ١٣٥

(الفصل الأوّل): الاستسقاء ١٣٥

(الفصل الثاني): برد الأطراف في الأمراض الحادة ١٤٠

(الفصل الثالث): الحرارة المعتدلة، وتقلّب المريض ١٤١

(الفصل الرابع): الأنثيان والقضيب ١٤٤

(الفصل الخامس): النوم ١٤٥

(الفصل السادس): البراز ١٤٧

(الفصل السابع): ثخن البراز ١٥١

(الفصل الثامن): صفرة البراز ١٥٢

(الفصل التاسع): الحيات في البراز ١٥٤

(الفصل العاشر): خلوّ البطن من الأورام ١٥٥

(الفصل الحادي عشر): أنواع البراز غير الطبيعية ١٥٦

(الفصل الثاني عشر): البراز اليسير اللزج ١٥٧

(الفصل الثالث عشر): أنواع البراز الدالة على الموت ١٥٨

(الفصل الرابع عشر): كثرة ألوان البراز ١٥٩

(الفصل الخامس عشر): خروج الريح من الدبر ١٦١

(الفصل السادس عشر): الأورام دون الشراسيف ١٦٣

(الفصل السابع عشر): أنواع البول ١٦٤

(الفصل الثامن عشر): أردأ أنواع البول ١٧٢

(الفصل التاسع عشر): الدسومة الطافية على البول ١٧٤

(الفصل العشرون): الغمامة في البول ١٧٦

(الفصل الحادي والعشرون): علامات المثانة ١٧٧

(الفصل الثاني والعشرون): القيء ١٧٨

(الفصل الثالث والعشرون): البصاق والنفث ١٨١

(الفصل الرابع والعشرون): الزكام والعطاس ١٨٧

(الفصل الخامس والعشرون): البصاق المخالط للدم ١٩٤

(الفصل السادس والعشرون): البصاق المخالط للقيح ١٩٨

(الفصل السابع والعشرون): أنواع التقيّح ٢٠٥

(الفصل الثامن والعشرون): ابتداء التقيح ٢٠٧

(الفصل التاسع والعشرون): علامات سلامة التقيح ٢١٩

(الفصل الثلاثون): خراجات ونواسير الرقبة ٢٢١

(الفصل الحادي والثلاثون): علاقة النفث بالبول ٢٢٧

(الفصل الثاني والثلاثون): غياب الخراجات والنفث ٢٢٩

(الفصل الثالث والثلاثون): ذات الرئة ٢٣٠

(الفصل الرابع والثلاثون): أوجاع القطَن ٢٣٢

(الفصل الخامس والثلاثون): صلابة المثانة ٢٣٣

المقالة الثالثة من كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط ٢٣٩

(الفصل الأوّل): البُحران والحميات ٢٣٩

(الفصل الثاني): الأمراض الحادة ٢٥٣

(الفصل الثالث): ألم الأذن ٢٥٧

(الفصل الرابع): قرحة الحلق ٢٦١

(الفصل الخامس): اللهاة ٢٦٧

(الفصل السادس): زوال الأمراض ٢٦٩

(الفصل السابع): طول الحمى ٢٧٠

(الفصل الثامن): الوجع والرعاف في الحميات ٢٧٥

(الفصل التاسع): معرفة الطبيب لدلائل الأعراض ٢٨٤

(الفصل العاشر): الأمراض الوافدة ٢٨٦

أهم مصادر ومراجع التحقيق ٢٩١

المواقع الإلكترونيّة على شبكة الإنترنت: ٢٩٤

الكشّاف العام ٢٩٥

فهرس الأعلام ٢٩٦

فهرس أسماء الكتب ٢٩٧

فهرس الأماكن والبلدان ٢٩٨

فهرس الأبيات الشعريّة ٢٩٩

فهرس المفردات ٣٠٠

فهرس المحتويات ٣٠٣

كتُب للمحقّق

١ ـ نزهة الأذهان في تدبير الأبدان لداود الأنطاكي، (تحقيق). وزارة الثقافة بدمشق ٢٠٠٧م.

٢ ـ الطب الملوكي لأبي بكر الرازي (تحقيق)، دار المنهاج بجدة ٢٠٠٩.

٣ ـ الزهراوي في الطب لعمل الجراحين لأبي القاسم الزهراوي (تحقيق)، وزارة الثقافة بدمشق ٢٠٠٩م.

٤ ـ المغْني في تدبير الأمراض لسعيد بن هبة الله (تحقيق)، دار المنهاج بجدة ٢٠١١م.

٥ ـ تاريخ الطب والأطبّاء في إدلب الخضراء (تأليف)، دار الفتاة بدمشق ٢٠٠٩م.

٦ ـ الأسرة في التراث الطبي العربي والإسلامي (تأليف)، وزارة الثقافة بدمشق ٢٠١٠م.

٧ ـ شرف الطب في التراث العربي (تأليف)، اتحاد الكتاب العرب بدمشق ٢٠١٣م.

٨ ـ غاية البيان في تدبير بدن الإنسان لابن سلوم الحلبي (تحقيق)، وزارة الثقافة بدمشق ٢٠١٣م.

٩ ـ كتاب الطيب لأبي الحسن الخازن (تحقيق)، وزارة الثقافة بدمشق ٢٠١٥م.

١٠ ـ غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان لابن سلوم الحلبي (تحقيق)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠١٧م.

١١ ـ شجرة الطب لأحمد الحياتي (تحقيق)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠١٧م.

١٢ ـ الجوارح وعلوم البزدرة لأبي بكر القاسمي (تحقيق)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠١٧م.

١٣ ـ اصطلاحات الطب القديم (تأليف)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠١٧م.

١٤ ـ التحفة البكرية في أحكام الاستحمام الكلية والجزئية لداود الأنطاكي (تحقيق)، دار الكتب العلمية.

١٥ ـ الرسالة الشهابية في الصناعة الطبية لمحمد بن إبراهيم المارديني (تحقيق)، دار البارودي ـ بيروت.

١٦ ـ غاية الغرض في معالجة المرض لمنصور الحسيني (تحقيق)، دار البارودي ـ بيروت.

١٧ ـ المعْلَم على حروف المعجم في تعبير الرؤيا لابن غنام (تحقيق)، دار البارودي ـ بيروت.

١٨ ـ المنصوري في الطب لأبي بكر الرازي (تحقيق) ـ مؤسسة الرسالة ناشرون ـ بيروت ٢٠١٧ م.

١٩ ـ البهجة الأنسيّة في الفراسة الإنسانيّة، والتحفة البهيّة لزين العابدين محمد الغَمري ـ دار الكتب العلمية.

٢٠ ـ أساس الرئاسة في علم الفراسة، والنظر والتحقيق في تقليب الرقيق لابن الأكفاني ـ دار الكتب العلمية.

٢١ ـ نصيحة المحبّ في ذمّ التكسّب بالطب لإبراهيم الوجيه القليوبي (تحقيق)، مؤسسة الرسالة ناشرون ـ بيروت.

٢٢ ـ إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان لأبي سهل عيسى بن يحيى المسيحي (تحقيق)، مؤسسة الرسالة ناشرون ـ بيروت.

٢٣ ـ الوجيز المنتقى والعزيز الملتقى لأحمد بن يوسف بن هلال الشغري الصفدي (تحقيق)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٤ ـ شرح تقدمة المعرفة لأبقراط، تأليف عبد الرحيم بن علي الدخوار (تحقيق)، مؤسسة الرسالة ناشرون ـ بيروت، وهو هذا الكتاب.

الإخراج الفني

تهاني محمد مارديني